

الأسرار السبعة

بحسب معتقد وطقس الكنيسة السريانية الأرثوذكسية

تأليف

المطران سويريوس زكا عيواص و الأب الربان اسحق ساكا

طبعة أولى

١٩٧٠

مطبعة شفيق - بغداد

نأذن في طبعه

دمشق في ١٩٦٩/١٠/٣٠

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

مصادر الكتاب

١ ـ الكتاب المقدس بعهديه .

٢ ـ ميامر ومداريش القديس مار أفرام السرياني (٣٧٣ +)

٣ ـ ميامر القديس مار يعقوب السروجي (٥٢١ +)

٤ ـ كتاب اللاهوت لمار أيوانيس مطران دارا (٨٦٠ +)

٥ ـ تفسير القداس لمار موسى ابن كيفا مطران الموصل (٩٠٣ +)

٦ ـ قوانين مجمع دير الزعفران عام ١١٥٦

٧ ـ تفسير الكتاب المقدس لمار ديونيسيوس ابن صليبي (١١٧١ +)

٨ ـ تفسير الاسرار لمار ديونيسيوس ابن صليبي

٩ ـ كتاب الجدل لمار ديونيسيوس ابن صليبي

١٠ـ التاريخ الديني المدني العام للبطريرك مار ميخائيل الكبير (١١٩٩ +)

١١ـ كتاب الكنوز لمار سويريوس يعقوب البرطلي مطران دير مار متى (١٢٤١ +)

١٢ـ منارة الاقداس للمفريان مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري ١٢٨٦ +

١٣ـ الاشعة للمفريان مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري (١٢٨٦ +)

١٤ـ الهدايات للمفريان مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري

١٥ـ طقوس الرسامات الكهنوتية ـ مخطوطة

١٦ـ اللؤلؤ المنثور للمثلث الرحمة البطريرك أفرام الاول برصوم (١٩٥٧ +)

١٧ـ الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة للمثلث الرحمة البطريرك أفرام الاول برصوم (١٩٥٧ +)

١٨ـ طقس العماد طبعه المثلث الرحمة البطريرك أفرام الاول برصوم

١٩ـ كتاب تبريك الخطب والاكاليل طبعه المثلث الرحمة البطريرك أفرام الاول برصوم

٢٠- تاريخ الكنيسة الانطاكية - الجزء الاول والجزء الثانى لقداسة سيدنا البطريرك يعقوب الثالث

٢١- دفقات الطيب فى تاريخ دير القديس مار متى العجيب لقداسة سيدنا البطريرك يعقوب الثالث

٢٢- المختار فى الاسرار لنيافة مار فيلكسينوس دولبانى مطران ماردين ٠

٢٣- علم اللاهوت - المجلد الثانى - لميخائيل مينا القبطى

٢٤- أسرار الكنيسة السبعة لحبيب جرجس القبطى

٢٥- ألانوار فى الاسرار - لجراسيموس مسرة (عام ١٨٨٧)

٢٦- التعليم المسيحى نقله من اللاتينية الى السريانية توما اودو الكلدانى (عام ١٨٨٩)

٢٧- اللالئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة - للقمص يوحنا سلامة القبطى

٢٨- كتب ومجلات متفرقة ٠



بعد حمد الله تعالى نقول :

راودتنا فكرة تأليف هذا الكتاب مذ كنا طالبين فى الكلية الاكليريكية فى الموصل ما بين عام ١٩٤٧ ـ ١٩٥٤ ، نجلس على طاولة واحدة ، ونتلقى الدروس الدينية معا ، وكثيرا ما كنا نستغل اوقات الفراغ فى النقاش حول قضايا لاهوتية ، والمداولة فى أمور عقائدية كنسية فتكوّن من ذلك نواة لهذا البحث ، فصرنا من ثم نتحين الفرص المواتية لانجازه •

ولما جمعتنا الايام فى هذه السنة بعد ان كانت قد فرقتنا سنين طوالا بسبب تأدية كل منا رسالته الدينية فى خدمة أمنا الكنيسة المقدسة ، انتهزناها فرصة سانحة تمكنا من خلالها من تنفيذ تلك الفكرة التى ذر قرنها فى خلدنا فى عهد التلمذة فأخذنا على عاتقنا انجاز هذا الكتاب وتهيئته واصداره بهذا الشكل الذى وضعناه بيد القراء •

وان ماحدا بنا الى ذلك عوامل ثلاثة اولها الفة ، وصداقة فكر ، وانسجام ، واتفاق فى تقرير القضايا التى كانت مدار النقاش • ثانيها عامل روحى ذلك ان الاسرار السبعة هى من الامور الهامة التى رسمها السيد المسيح فى الكنيسة كوسائل فعالة للحصول على النعمة وبعث الحياة الروحية فى نفوس المؤمنين • وثالثها هو ان آباء وملافنة كنيستنا السريانية

الانطاكية المقدسة قد اولوا دراسة مثل هذه المواضيع ، عناية فائقة ، ووضعوا فيها ابحاثا عديدة كافية ووافية وذلك باللغة السريانية الارامية مجموعة او مبعثرة فى مخطوطات مختلفة ، طالعناها واستعرضناها فوجدناها وثائق لاهوتية هامة ومادة روحية خصبة دسمة ، وقد اشرنا الى معظمها فى مصادر الكتاب ، كما استقينا أيضا ما رأيناه نافعا وصالحاً من مؤلفات عربية أشرنا اليها في مصادر الكتاب أيضا .

وانّا لنأمل ان يجد القراء الكرام المتتبعون لمثل هذه المواضيع ، فى هذا الكتاب أمورا كثيرة كانت مخفية عنهم ، ويجنوا فائدة روحية ، فيزدادوا نموا فى الحياة المسيحية الطاهرة ، ويتباهوا بنتاج الفكر السريانى الخالد ..

الموصل ١٧ تشرين الثانى ١٩٦٨

المؤلفان

الباب الاول

الاسرار في وجـه العموم

الفصل الاول

تعريف الســـر

السر لغة ما يكتمه الانسان فى نفسه وفى عرف الكتاب المقدس يـــدل على أمور مقدسة غير منظورة ،ومن جملة هذه الامور اولا : رموز واشارات الى حوادث مستقبلة ، كتقدمة اسحق التى كانت ترمز الى ذبيحة الصليب كقـول السيد ألمسيح « ابوكم أبراهيم تهلل بأن يرى يومى فراى وفــــرح » (يو ٨ : ٥٦) وكالحية النحاسية التى كانت ترمز الى السيد المسيح كقـول الانجيل « وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى ان يرفع ابن الانسان لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابـدية » (يـو ٣:١٤) وكالمن السماوى الذى كان يرمز الى القربان المقدس كقول الكتاب « اباؤكم أكلوا المن فى البريه وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منـه الانســـان ولا يموت . أنا هو الخبـــز الحى الذى نزل من الســـماء ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذى انا اعطى هـو جســـدى الذى ابذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٤٩-٥١) وكالصخرة التى هى المسيح كقول الرسول بولس « لانهم كانوا يشربون من صخرة روحيـــة تابعتهم والصخرة كانت المسيح » (١ كو ١٠ : ٤) .

ثانيا : مقاصد الهية ، كقول الكتاب « سر الرب لخائفيه » (مز ٢٥:١٤) و « اذ عرّفنا بسر مشيئته » (اف ١:٩) و «اعلم جميع الاسرار » (اكو ١٣:٢)

ثالثا : عقيدة تفوق ادراك العقل البشرى ، كعقيدتى التثليث والتوحيد ، والتجسد الالهى كقول الكتاب «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » (١ تى ٣:١٦) و « السر الذى كان مكتوما فى الازمنة الازلية ولكن ظهر الان واعلم به جميع الامم بالكتب النبوية حسب أمر الاله الازلى لاطاعة الايمان » (رو ١٦:٢٥) . وعقيدة القيامة العامة كقول بولس الرسول «هوذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير ، فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الاخير » (١ كو ١٥:٥١) .

أما فى الاصطلاح الكنسى فتدل كلمة سر على عمل مقدس به ينال المؤمن نعمة غير منظورة ، وغير محسوسة ، تحت مادة منظورة ومحسوسة غايتها التبرير والتقديس ، وقد استندت الكنيسة فى تحديدها هذا الى أقوال الكتاب المقدس ونصوصه الكثيرة التى تشير الى هذا المعنى بوضوح تام من ذلك اتخاذه سر الزواج علامة على أتحاد المسيح بالكنيسة كقول الرسول بولس « هذا سر عظيم ولكننى انا اقول من نحو المسيح والكنيسة » (أف ٥:٣٢) واتخاذه سرى المعمودية والقربان المقدس علامة على موت الرب « ام تجهلون اننا كل من اعتمد بيسوع المسيح اعتمدنا لموته » (رو ٦:٣) و « فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى أن يجىء» (١ كو ١١:٢٦) .

الفصل الثانى

السر من حيث هو علامة وعمل

أولا : السر من حيث هو علامة: العلامة شىء محسوس يشير الى شيء آخر . وعليه يشترط للعلامة امران ، اولهما ان يكون شيئا محسوسا . وثانيهما ان يؤدى الى معرفة شىء آخر ، وهذا الشرط الاخير هو المطلوب

على الأخص : لان العلامة لم توضع للدلالة على نفسها •

والعلامات بوجه الاجمال قسمان ، طبيعية ، وغير طبيعية • فالعلامات الطبيعية الى جانب الدلالة على ذاتها تشير أيضا الى معرفة شيء آخر ، وهذه صفة خاصة في جميع العلامات ، كالدخان الذى يشير الى اشتعال ما • أما العلامات غير الطبيعية ، فهى ما اصطلح عليه البشر كواسطة للتفاهم مع بعضهم ، كالايماء بشيء نحو استخدام اللون الازرق لسير القطار ، ورفع الاعلام البيضاء اعلانا للاستسلام •• الخ وهناك علامات اخرى وضعها الله للانسان منها للدلالة على التحذير والاحتراز فقط كالتطهير الذى فى الناموس الموسوى ، ومنها تتجاوز هذه الدلالة الى العمل وهى علامات العهد الجديد كلها اذ تتضمن دلالة وعملا مقدسا فى آن واحد • ومن ضمنها الاسرار الكنسية السبعة التى هى علامات لا بسيطة مجردة بل فعالة تشير الى ما تعمله قوة الله فى النفوس بشكل لا تدركه الحواس ، فمثلا المعمودية التى هى بالظاهر غسل خارجي بالماء مع تلاوة الفاظ خاصة تشير الى محو اوساخ الخطيئة بقوة تعمل فى النفس ما يشير الغسل اليه ولكى نفهم ذلك بصورة واضحة نأتى بالمثال التالى : ان يوحنا المعمدان كان يعمد بالماء غير انمعموديته لم تكن تحدث النعمة لانها لم تكن سرا ولم يكن لها مفعول فى النفس بل كانت حافزا للتوبة والندامة • أما معمودية المسيح فهى علامة فعالة لانها لا تمثل النعمة فقط بل توجدها حقيقة فى النفس التى تقبلها • والكتابالمقدس يعتبر الاسرار المقدسة ضمن العلامات والاشارات كقول الرسول بولس فى حديثه عن الختان الذى كان سر العهد القديم : « واخذ العلامة ختما لمبدء الايمان » (رو ٤:١١) •

ثانيا : السر من حيث هو عمل مقدس • لقد اجمع المسيحيون على اختلاف مذاهبهم على أن الاسرار قد وضعها السيد المسيح فى الكنيسة والحال ان كل ما يرسمه السيد المسيح لابد من ان يكون مقدسا

اذن الاسرار هى عمل مقدس ، ونعنى بالعمل المقدس نعمة الله التي تقدسنا وتزيننا بحلة سائر الفضائل الالهية ، وبتأثير هذه النعمة تتقدس انفسنا وتتكرس لله وتتحد به ، لذلك فالسر هو مادة تقع تحت الحواس وفيه قوة للدلالة وعمل القداسة والبر • ومن هنا نستنتج ان صور القديسين والصلبان وما اشبه لايمكن أن تسمى اسرارا ولئن اشارت الى شيء مقدس • أما الاسرار السبعة فلها قوة ثلاثية الدلالة فهى تشير ١ ـ الى ما مضى كآلام السيد المسيح التى هى واسطة تبريرنا وتقديسنا • ٢ ـ والى ما هو حاضر كالتبرير والتقديس • ٣ ـ والى المستقبل كالحياة الابدية والسعادة فى السماء • وهذا هو نفس تعليم الكتاب المقدس اذ يقول الرسول بولس « أم تجهلون اننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته » (رو ٦:٣) فاعلن الرسول بقوله هذا ، أن المعمودية علامة تذكرنا بآلام المسيح وموته • وبقوله « فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من بين الاموات هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة » (رو ٦:٤) • ابان ان المعمودية علامة تشير الى النعمة الآلهية التى تنسكب علينا نحن وبواسطتها تمنح لنا قوة للسير فى طريق الحياة الجديدة واكمال وصايا الله تعالى • وبقوله « لاننا ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته » (رو ٦:٥) يظهر أننا بواسطة المعمودية سنرث حياة الابد مع المسيح •

الفصل الثالث

عدد الاسرار وتاريخها

استلمت الكنيسة المقدسة اسرارها السبعة من ربنا يسوع المسيح ، وذلك بواسطة رسله الاطهار • وقد شاءت العناية الربانية أن يكون عدد الاسرار سبعة ، كما أشار الكتاب المقدس كقول سفر الامثال « الحكمة بنت بيتها

نحتت اعمدتها السبعة » (أم ٩: ١) • وزكريا النبى « فهو ذا الحجر الـذى وضعته قدام يهوشع على حجر واحد سبع اعين » (زك ٣: ٩) وهذه الاسرار تفى بحاجات المؤمن فى كل ظرف من ظروف حياته •

وقد اجمعت الكنائس الرسولية استنادا الى تسليم الاباء وشهادة المجامع المقدسة على ممارسة هذه الاسرار السبعة منذ بدء المسيحية بلغاتها العديـدة وطقوسها المتنوعة ، ومع اختلاف هذه الكنائس منذ القرن الخامس فى أمور عقائدية كثيرة ، وتباين اساليب ممارسة بعض هذه الاسرار ، فقد اتفقت على عددها وجوهرها • وهذا برهان ساطع على أن هذه الاسرار تسليم رسولى، أخذه الرسل من الرب يسوع مباشرة وسلموه الى الكنيسة ، ولا عبرة فى عدم ذكر بعضها فى الانجيل المقدس ذكرا صريحا ، أو فى عدم تكلم بعض الآباء عنها جملة في كتاباتهم • فكثيرا ما تكلم بعض الآباء عن سرين أو ثلاثة بحسب المناسبة والحاجة والغاية من ذلك الكلام • وهذه الاســرار السبعة هى :ــ

اولا : سر المعمودية : هو باب ومدخل الى باقى الاسرار • به نولد من السماء ميلادا ثانيا ، كقول الرب « ان كان احد لا يولد من الماء والـروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله » (يو ٣: ٥) •

ثانيا : سر الميرون المقدس أو المسحة : به ينال المؤمن الروح القـدس فيتقوى وتزداد به النعمة الالهية • كما حصل للرسل حين حلّ عليهم الروح القدس بحسب ما وعدهم به الرب قبل صعوده الى السماء حيث قال « وها انا أرسل اليكم موعد أبى فأقيموا فى مدينة اورشليم الى أن تلبسـوا قوة من الاعالى » (لو ٢٤: ٤٩ وأع ١: ٨) •

ثالثا : سر القربان المقدس : به يتغذى المؤمن بجسـد المسيح ودمه فينمو بالروح ويزداد قوة واتحادا بربه كقوله تعالى : « ان لم تأكلوا جسـد

ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (يو ٦:٥٣) ٠

رابعا : سر التوبة والاعتراف : به يشفى الانسان من أمراض الخطيئة التى تعرضه للموت الابدى كقول الرب « ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣:٣) وقد منح تعالى السلطان لرسله لمغفرة الخطايا بقوله « من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه امسكت » (يو ٢٠:٢٣) ٠

خامسا : سر مسحة المرضى : به ينال المؤمن الشفاء من أمراضه الجسدية والروحية كقول الرسول يعقوب « أمريض احد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفى المريض ، والرب يقيمه ، وان كان قد فعل خطيئة تغفر له » (يع ٥:١٤ و١٥) ٠

سادسا : سر الكهنوت : بواسطته ينال بعض المؤمنين موهبة الاستحقاق لخدمة الاسرار المقدسة لبناء الكنيسة ورعاية شعب الله ، واتمام حاجتها الى اساقفة وكهنة كقول الرسول بولس « هكذا فليحسبنا الانسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله » (١ كو ٤:١) ٠

سابعا : سر الزواج : هو اتحاد شرعى مقدس ما بين رجل وامرأة الغاية منه ولادة البنين لحفظ الجنس البشرى وعبادة الله كقوله تعالى « اثمروا واكثروا واملأوا الارض » (تك ١:٢٨) ٠

الفصل الرابع

شروط اتمام السر

لكى يتم كل سر من الاسرار السبعة يقتضى له شروط ثلاثة : ١ ـ المادة ٠ ٢ ـ الصورة ٠ ٣ ـ الخادم ٠ كالماء مادة لسر المعمودية ، وعبارة « يعمد عبد المسيح فلان باسم الاب والابن والروح القدس » صورة له ،

والكاهن خادم له كما قال مار اوغسطينوس « ما هى معمودية المسيح ؟ حميم ماء نقى ، وبعض عبارات يقال عليه • فان نزعتم الماء فليس تعميد أو حذفتم العبارات فليس تعميد ايضا » (تفسير يو ٤:١٥) •

ودونك شرحا لشروط السر الثلاثة :

أولا : المادة : هى العلامة الحسية المنظورة التى تستعمل فى السر ، وتكون ملائمة لمفعوله ونتائجه كالماء في المعمودية ، فكما ان الماء يزيل اوساخ الجسد كذلك يشير ويرمز الى النعمة الروحية الغير المنظورة التى ينالها الانسان بغفران الخطية الابوية بالولادة الجديدة •

وسبب استخدام مادة حسية فى السر كعلامة الى شىء خفى مقدس هو لعدم استطاعة الانسان التوصل الى معرفة تلك الامور المعنوية والروحية بحواسه الظاهرة الا باستخدام مادة حسية تعينه على ادراك الامور الروحية كما قال الملفانان الشهيران مار ايوانيس الدارى ٨٦٠ + ومار ديونيسيوس ابن صليبى ١١٧١ + « لو كان الانسان روحيا محضا لسلم المسيح منحه روحية دون استخدام مادة حسية لكن بما ان النفس مرتبطة بالجسد لذلك سلم المسيح منحه الروحية تحت اشارات حسية أى المادة لكى تكون مناسبةوموافقة للطبيعة البشرية » وقال احد اللاهوتيين ايضا « لو كان الانسان مجردا عن الكثافة الهيولية والجسمية ، لمنحت له الخيرات والنعم ظاهرة للعيان لا محجوبة • وحيث ان النفس متحدة بالجسد فقد دعت الضرورة الى الالتجاء الى المحسوسات التى بواسطتها تعلن الروحيات » •

ثانيا : الصورة : هى العبارات المقدسة المعينة التى يلفظها خادم السر استدعاء للروح القدس فى اثناء ممارسة السر لتقديسه ، مثل عبارة « ليعتمد عبدالمسيح فلان باسم الاب والابن والروح القدس » وقد اشار الرسول بولس الى الصورة بقوله « لان كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شىء اذا اخذ مع

الشكر لانه يقدس بكلمة الله والصلاة » (١ تى ٤:٥) .

والصورة تزيد فى ايضاح العلامات اذ بدونها يكون ما تشير اليه مادة السر غامضا . فالماء الذى هو مادة سر المعمودية مثلا فيه قوة للرواء والغسل فلولا الصورة لجاز ان يشير الماء الى كلا الامرين الرواء والغسل معا ، أو الى الامر غير المطلوب فى السر أى الرواء فالصورة اذن تشخص القوة المطلوبة. أضف الى ذلك ان الصورة توضح ما يكمل بواسطة الاسرار ، وتسوق المؤمنين الى التأمل بقداسة مفاعيل السر وادراك نتائجه الروحية ، وتضرم في قلوبهم الايمان والرجاء والمحبة .

ثالثا : الخادم: لقد منح السيد المسيح سلطان مباشرة الاسرار للبشر لا للملائكة ، ولجنس الرجال فقط ، وحصره فى فئة خصوصية بالكنيسة هم رسله الاثنا عشر والاثنان والسبعون مبشرا وخلفاؤهم ، كما يحدثنا عن ذلك الرسول بولس اذ يخص هذا السلطان باصحاب الدرجات الكنسية بقوله « فوضع الله اناسا فى الكنيسة اولا رسلا ثانيا انبياء ثالثا معلمين ، ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء فاعانات وتدابير وانواع السنة ، العل الجميع رسل العل الجميع انبياء العل الجميع معلمون » (١ كو ١٢:٢٨-٣٠) و «هو اعطى البعض ان يكونوا رسلا والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لاجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح » (اف ٤:١١ و ١٢) . فالرسول يتحدث هنا عن الخدم المتنوعة التى عينها الرب لبنيان الكنيسة ويصرح بانها لم تعط للجميع بل منحها للاساقفة والكهنة الذين انيطت بهم شرعا ممارسة هذه الخدم فى بيعة الله ، والكتاب ينص صريحا بان دعوة الكهنوت لم تعط الا للذين وهب لهم ذلك « ولا يأخذ احد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هارون ايضا » (عب ٥:٤) .

فخادم السر اذن هو الكاهن الشرعى المشرطن قانونيا بوضع اليد ويشترط فيه ان يكون ذا صلاحية وسلطان ويفترض فيه ان يتحلى بالاعمال

الصالحة ونقاء القلب ، وصفاء النية ، وحسن السريرة ، والا استوجب الموت والقصاص الابدى • فان الاسرار مقدسة ، لذلك يجب ان تخدم بقداسة وبخوف الله • قال النبى داؤد « وللشرير قال الله مالك تحدث بفرائضى وتحمل عهدى على فمك وانت قد ابغضت التأديب والقيت كلامى خلفك » (مز ٥٠ : ١٦ و١٧) •

فاذا كان الشرير على حد قول النبى لا يحق له حتى سرد اخبار دينيه وشرح فرائض الله وشرائعه • فكم بالحرى التجزؤ على خدمة اسرار الرب النقية والتى هى سبيل الحياة الابدية ؟ وهب ان سيرة خادم السر لا تليق بقدسية السر فان ذلك لا يبطل قوة فاعلية السر ولا يمنع بركات الله الممنوحة منه تعالى مجانا لابناء الكنيسة لا استنادا على بر الكاهن او عدمه : بل باستحقاق وارادة ابن الله الحبيب ربنا يسوع المسيح الذى قيل عنه «انت كاهن الى الابد على رتبة ملكيصادق » (عب ٥ : ٦) وهو الذى يمنح النعم الناتجة عن الاسرار بواسطة الكهنة « خدام المسيح ووكلاء سرائر الله » (١ كو ٤ : ١) فالكاهن مثلا لدى قيامه بخدمة سر العماد لا يكون سوى واسطة منظورة يستخدمها السيد المسيح عند منحه تعالى النعمة الغير المنظورة للمؤمن القابل للعماد بجعله ابنا لله بالنعمة • فان يوحنا المعمدان لما قال عن المسيح انه « يعمد بالروح القدس ونار » (مت ٣ : ١١) لم يذكر الانجيل المقدس عنه انه عمد احدا فى حياته على الارض اذ يقول يوحنا الرسول عنه « مع ان يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه » (يو ٤ : ٢) فكيف يصح ان يقال ان المسيح يعمد بالروح القدس ونار ان لم يكن قد عمد احدا !؟ الجواب على ذلك : ان السيد المسيح هو الحبر الاعظم غير المنظور ويكمل هذه الاسرار بواسطة الكهنة المنظورين الذين ينوبون عنه في خدمة سر المعمودية وبقية الاسرار • ولذلك فالقديس

يوحنا الذهبي الفم يقول : « فعندما ترى الكاهن يناولك لا تظن ان الكاهن يفعل هذا الفعل بل اعترف ان اليد الممدودة هى يد المسيح » • وقال القديس اثناسيوس الرسولى « ان عمدنا وان ثبتنا وان صفحنا فان المسيح هو علة هذا كله وفاعله » والقديس غريغوريوس الثاولوغوس فى خطابه فى المعمودية يقول « عندى خاتمان احدهما من ذهب والاخر من حديد وعلى كل منهما الصورة الملكية نفسها • فان طبعت بكل منهما طبعة على شمع لا تستطيع ان تميز بين الطبعتين بتاتاً • ومهما كنت حاذقا لا تقدر ان تميّز الصورة التى طبعت بالخاتم الذهبى عن التى ختمت بالخاتم الحديدى • فقابلوا على ذلك كل واحد من الكهنة الذين يعمدونكم فالواحد يمكن ان يسمو على الاخر بالسيرة الروحانية غير ان قوة المعمودية واحدة » •

أما بخصوص اتمام السر بالنسبة الى ايمان قابله أو عدم ايمانه فمن المفروض على المتقدم الى أحد الاسرار المقدسة ان يستعد لذلك ، بايمان متين بمفعولها، وثقة تامة بنتائجها، ومع كل ذلك فايمانه وعدم ايمانه واستعداده وعدم استعداده لا يؤثران على قوة السر فى جوهره ، وبرهان ذلك منح سر المعمودية للاطفال الذين لا قابلية لهم للايمان منذ العهد الرسولى فالسر يبقى سرا مقدسا له مفعوله وعمله وان أخذه الانسان عن غير ايمان ولا استحقاق ولكن مثل هذا الانسان ينال دينونة على عدم ايمانه وسوء نيته كقول الرسول بولس عن الذين يتقدمون الى سر القربان المقدس « اذا أيُّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب ودمه » (١ كو ١١ : ٢٧ و ٢٩) فلو كان اتمام السر مبنيا على ايمان المتقدم اليه او عدم ايمانه واستعداده أو عدم استعداده لما كان المتقدم الى سر القربان بدون استحقاق مجرما فى جسد الرب ودمه واخذ دينونة لنفسه لعدم تميزه هذا السر العظيم •

الفصل الخامس

مفعول الاسرار ونتائجها

ان للاسرار كافة مفعولا رئيسيا عاما هو « النعمة المبررة » فالمعمودية مثلا تمنح المؤمن نعمة الولادة وميراث الملكوت (يو ٣:٥) والكهنوت يمنح نعمة وضع الايدى (١ تى ٤:١٤) والميرون يعطى موهبة حلول الروح القدس (أ ع ١٧:٨) ومسحة المرضى تمنح نعمة شفاء الامراض الجسدية والنفسية (يع ٥:١٤ و ١٥) والتوبة تمنح مغفرة الخطايا (يو ٢٠:٢٣) والقربان المقدس يهب نعمة الاتحاد بالمسيح (يو ٦:٥٦) فالاسرار اذن ليست علامات خارجية لاعمل لها بل تملك القوة لمنح النعمة ، ولا نعنى بهذا ان لهذه الاسرار فى ذاتها وطبعها قوة لفعل النعمة واصدارها مباشرة ، بل هي الوسائل الالهية والعلل الفعالة التى تعمل كأدوات بيد الروح القدس بطريقة تفوق ادراك العقل البشرى انما تقبل بالايمان •

ولاسرار المعمودية والميرون والكهنوت الى جانب المفعول العام الذى هو النعمة المبررة ، مفعول خاص يسمى « الوسم » وهو ختم روحى يرافق المؤمن فى حياته كلها مهما اضحت حالته الروحية والجسدية من سمو او أنهيار لان هذا (الوسم) يرسم لا على لحم ودم بل على قوى النفس بنوع لا يمحى الى الابد •

فوسم سر المعمودية يجعل المؤمن ابنا لله واهلا لاقتبال الاسرار الاخرى باعتبار المعمودية هى الباب الذى يدخل منه المؤمن الى حظيرة المسيح • وبه ايضا يتميز المسيحى عن غيره •

ووسم سر الميرون • يكرس المؤمن كجندى المسيح يكون دوما على أهبة الاعتراف باسمه جهرا والنزول الى القتال ضد العدو الروحى (اف٦:١١و١٢)

ووسم سر الكهنوت هو سلطان الكمال وخدمة الاسرار الكنسية الاخـــرى وتمييز قابله عن بقية المؤمنين •

وهذه الاسرار الثلاثة الواسمة المعمودية والميرون والكهنوت يقبلهـــا المسيحى مرة واحدة فى حياته ولا يجوز ان تعاد كقول الرســـول بولس « ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا ايضـــا وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » (٢ كو ١ : ٢١و٢٢) •

الفصل السادس

ضرورية الاســرار

ان الاسرار السبعة كلها ضرورية للكنيسة كجماعة • اما بالنسبـــــة للكنيسة كأفراد فبعض الاسرار ضروري للخلاص وهى المعمودية والمـــيرون والقربان والتوبة والبقية غير ضرورية للخلاص وهى الكهنوت ومســـحة المرضى ، والزواج • ولكنها ضرورية بالنسبة للكنيسة كهيئة اجتماعية •

الباب الثاني
ســـر المعمودية
الفصل الاول
تعريف ســر المعمودية

المعمودية سر مقدس به يولد المؤمن ميلادا ثانيا من الماء والروح وينال نعمة التبرير فيصبح ابنا لله واخا للمسيح يسوع ، ووريثا لملكوت الله • وقـد عرفها اباؤنا السريان تعاريف متنوعة استعرضها العلامة ابن العبرى ولخصها بقوله : « المعمودية هى الانتساب الى الله بترك الحياة الدنسة والشـهوات الجسدية وكما ان العين الكليلة لا تقوى على الاحداق بأشعة الشمس الساطعه هكذا أيضا لا يجوز احراز هذا الانتساب الالهى ما لم يبتعد الانسان عـن الشهوات • لذلك فان الناموس نبذ قورح وداثان وابيرام (عد ١٦) لانهم لمسوا أماكن طاهرة وهم دنسون والايمان الذى هو مطابقة العقل لشـريعة اللـه هـو باعث التوبـة التـى تقـود الانسـان الى الانتسـاب المذكور وهذا الانتساب هو الباعث فى حفظ الوصـايا وحفظ الوصايا هـو باعث لمحبة الله كما قال الرب « الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الـذى يحبنى والذى يحبنى يحبه ابى وانا أحبه وأظهر له ذاتى » (يـو ١٤:٢١) وهكذا تتسلسل هذه السلسلة حتى تصل الى الكمال وأساسها الايمان بالله وغايتها محبة الله [١] •

---

(١) منارة الأقداس فى شرح المعمودية

الفصل الثانى

اســماء ســر المعمودية

اطلق اباء الكنيسة السريانية عـلى المعمودية جملة اســماء استنتجوها من مفاعيل السر ومواهبه الروحية منها :

١ ـ المعمودية : وهى كلمة سريانية تعنى الغوص والاغتسال • أما الغوص فلاختفاء المعتمد فى الماء وتغطيسه عند العماد • أما الاغتسال فلانها تغسل الانسان روحياً من خطاياه ، وجسديا من اوساخه الطبيعية •

٢ ـ سر الايمان : لان الذى يقتبل سر المعمودية يجب ان يؤمن اولا بسائر العقائد المسيحية كقول الرب « من امن واعتمد خلص » (مر ١٦:١٦) •

٣ ـ الاستنارة : لان المعتمد يستضىء بنور الايمان الذى يعترف بـــه بالمعمودية كقول الرسول « ولكن تذكروا الايام السالفة التى فيها بعـــدما انرتم صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة » (عب ١٠:٣٢) • فيقصد بالايام السالفة التى انيروا بها الى سر المعمودية التى تؤهلهم ايضا للحظـوة بضياء ملكــوت السماء حيث « يضىء الابرار كالشمس » (مت ١٣:٤٣) •

وانفرد مار ايوانيس الدارى عن باقى الآباء بالتعليـق على هذا الاســم بقوله : (ان هذا الاسم صار لقبا مختصا بسر المعمودية يميزه عن باقىالاسرار ولئن كانت الاسرار الاخرى ايضا هى أنوار غير ان سر المعمودية من حيث أنه يعطى النور الاول احتفظ بهذا اللقب بذاته دون غيره) •

٤ ـ التطهير : لان المعتمد يتطهر من الطبيعة الاصلية التى فســدت بخطية ادم والتى عبر عنها الرسول بولس « بالخميرة العتيقة » ويصبح المؤمن بالمعمودية « خليقة جديدة » (١ كو ٥:٧) •

٥ ـ الميلاد الجديد : وذلك لدى مقارنته بالميلاد الجسدى من امـرأة

الذى يدعى الميلاد الاول ، اما المعمودية فهى الميلاد الثانى من الروح القدس • أو الميلاد الجديد ، فبالطبيعة نولد من آدم ابنـــاء للغضب (أف ٢:٣) أمـا فى المعمودية فنولد من جديد ابناء لله فى المسيح كقول الكتاب « واما كل الـذين قبلوه فاعطاهم سلطانا ان يصيروا اولاد الله » (يو ١:١٢) وقـــد اطلـق ابـاء الكنيسة فى القرون الاولى على المعمودية اسماء عديدة عدا التى ذكرت منهـا: ختم الايمان ، حميم الخلاص ، حميم الحياة ، ختم الدين ، الـدين المسيحى وماء الحياة •

الفصل الثالث

رتبة المعمودية بين الاســرار

تحصل الاولية في المقام بحسب رأى مار ايوانيس الدارى • أما نظرا الى النظام والترتيب أو نظرا الى الكرامة والسمو فمن الثابت أن للمعموديـه المقام الاول بين الاسرار بالنسبة الى النظام والترتيب لانها بمثابة باب يدخـل منه الانسان الى الحظيرة المسيحية لعبادة الله وممارسة الاعمال الصالحة ، ويقول ابن صليبى أنها تحوز على الاوليـة ايضا على معظم الاسرار الاخرى بالنسبة الى السمو والكرامة فهى مثلا أسمى من سر الكهنوت لان الروح القـــدس يحل فى المعمودية اقنوميا شخصيا كما حل على السيد المسيح فى نهر الاردن عند عماده • أما فى سر الكهنوت فيحل بمفعوله أى بمواهبه • اضف الى ذلك أن المعمودية ضرورية لكل مؤمن بالمسيح كقوله تعالى « ان كان أحد لا يولـد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣:٥) اما الكهنوت فليس ضروريا للجميع ، لذلك يمنح سر المعمودية للمؤمن قبل أى سر آخر ، ومن لايقتبله لا يحق له الاشتراك فى باقى الاسرار •

الفصل الرابع

تأسيس ســر المعمودية

انه لامر ثابت ومحقق ان الذى أسس هذا السر فى الكنيسة هو السيد المسيح ذاته ، ويقول آباء الكنيسة ان تأسيس هذا السر تم على مرحلتين :

اولا : عندما اعتمد السيد المسيح من يوحنا المعمدان فى نهـــر الاردن (مت ١٦:٣) حيث جعل فى الماء قوة التقديس • قال القـديس غريغوريوس النزينزى (فى الساعة التى اعتمد بها الرب صار للماء قوة ليلد الناس للحياة الروحية) وايّد ذلك القديس مار يعقوب السروجى فى ميمره عن المعمودية• وقال ابن صليبى أيضا (ان المسيح أعتمد لا لانه كان محتاجا الى التطهـــير والتقديس بل ليطهر الماء ويقدسه بمس جسده الطاهر والبرهان على ذلـك ظهور الاقانيم الثلاثة التى هى كمال لهذا السر فقد كان الابن يعتمد والاب يصرخ من السماء « هذا هو ابنى الحبيب » والروح يحل على الابن بشـــكل حمامـــة •

ومن الواضح ان سر المعمودية ولئن كان قد رسمه السـيد المسيح قبل آلامه غير أنه استمد قوته ومفعوله من آلام المسيح وموته وقيامته لانهـا كانت مسك الختام لسائر تدابيره الالهية على الارض ذلك ان أسرار العهد القديم التى كانت عبارة عن ظلال للاسرار العهد الجديد ، ظلت قائمة طيلة حيـــاة الرب المقدسة على الارض وانتهت وبطلت عند موته وقيامته •

ثانيا : أما المرحلة الثانية للتأسيس فهى مرحلة اعلان السر جهرا عندمـا أمر السيد المسيح تلاميذه بقوله « دفع اليّ كل سلطان فى السماء وعلى الارض فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح والقدس » (مت ١٨:٢٨ و ١٩) و « من آمن واعتمـــد خلص ومن لـــم يؤمن يـدن »

(مر ١٦:١٦) ومن بعد هذه المرحلة صارت المعمودية سرا ضروريا للخلاص الابدى يمارس فى الكنيسة وجوبا كما يظهر من قول الرسول بطرس (١ بط ١:٣) « مبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الاموات » وكقول بولس الرسول (أف ٥:٢٥ و ٢٦) « واسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة » فالمتأمل بدقة فى قول الرسولين يدرك بسهولة ولا شك ان سر المعمودية صار فرضا على المؤمن ان يقتبله من بعد موت الرب وقيامته •

الفصل الخامس

شروط سر المعمودية

شروط كل من الاسرار هى ثلاثة كما اسلفنا سابقا : المادة ، الصورة ، والخادم •

اولا : المادة : لقد عين الرب يسوع الماء الطبيعى مادة لسر المعمودية بقوله « ان كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله » (يو ٥:٣) وكقول الرسول بولس « بغسل الماء » (أف ٢٦:٥) وكقول يوحنا أيضا « فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الاب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم الواحد والذين يشهدون فى الارض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم » (١يو ٧:٥ و ٨) •

أما قول يوحنا المعمدان عن الرب انه « سيعمدكم بالروح القدس والنار » (مت ١١:٣) انما يشير الى مفعول الروح القدس الداخلى كما حدث يوم عيد العنصرة اذ حلّ الروح القدس على التلاميذ بشكل السنة نارية (أ ع ٣:٢) واثر فيهم وقد سبق واشار الى ذلك الرب ذاته بقوله «لأن يوحنا عمد بالماء واما انتم فستتعمدون بالروح القدس » (أع ٥:١) •

وقال آباء الكنيسة ان الله اختار الماء مادة لسر المعمودية لأعتبارات كثيرة منها : ١ـ لان الجبلة الاولى للانسان الاول تمت بالماء « وجبل الرب الاله ادم ترابا من الارض» • ٢ـ لسهولة وجوده فى كل مكان وزمان • ٣ـ للتناسب القائم ما بين مفعول السر الذى هو غسل النفس من الخطية ومفعول الماء الطبيعى الذى هو غسل الجسد من الاوساخ • ٤ـ لوجود القوة فى الماء للتوليد والنمو الطبيعيين • قال الله « لنفض المياه زحافات ذات نفس حية » (تك ١ : ٢٠) • ٥ـ لاتخاذه رمزا للمعمودية منذ البدء كالبحر الاحمر الذى اعتمد فيه موسى وبنو اسرائيل ونهر الاردن الذى تطهر فيه نعمان السريانى ، والساقية التى رآها حزقيال •• الخ غير ان العبرة ليست بالماء الطبيعى انما هى بالقوة الالهية التى تستقر فيه ، ولذلك لابد له من التقديس كما سيأتى شرح ذلك فى الفصول القادمة •

انواع المعمودية

ذهب بعض اللاهوتيين الى ان المعمودية نوعان : ١ـ معمودية يوحنا المعمدان للتوبة • ٢ـ معمودية التبنى التى اسسها الرب يسوع •

أما القديسون غريغوريوس الثاولوغوس وموسى ابن كيفا ويوحنا اسقف دارا والملفانان ابن صليبى وابن العبرى ، فعددوا اصنافا من المعمودية أهمها ما يلى :ـ

١ ـ معمودية الطوفان التي بها تطهرت الارض من الخطية كقول القديس بطرس الرسول « كانت اناة الله تنتظر مرة فى أيام نوح اذ كان الفلك يبنى الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى انفس بالماء الذى مثاله يخلصنا نحن

الآن أى المعمودية لا ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح » (١ بط ٣:٢١) •

٢ ـ معمودية البحر والسحابة : كقول بولس الرسول « فأنى لست اريد أيها الاخوة ان تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا فى البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر (١ كو ١٠:١ و ٢) •

٣ ـ معمودية الناموس : وتسمى « التطهير » وهى التى كان يمارسها الاسرائيليون فى عباداتهم اليومية فقد أمر الكهنة عند دخولهم خيمة الاجتماع ان يغتسلوا فى المرحضة المقدسة التى بين خيمة الاجتماع والمذبح (خر ٣٠:١٨) ولم يعط الرب الكهنوت لهرون الا بعد ان غسل جسده اولا بالماء (خر ٢٩:٤) ولم يكونوا يأكلون ما لم يغتسلوا اولا •

٤ ـ معمودية يوحنا : وهى معمودية التوبة (مر ١:٤) او معمودية الدموع التى يسكبها الخطاة عند توبتهم ولم تكن حائزة على قوة الروح القدس بل الغاية منها النهى عن الشرور والمعاصى وان يعمل قابلوها اثمارا تليق بالتوبة وبالتالى اعدادهم لمعمودية المسيح (أع ١٩:١ـ٧)•

٥ ـ معمودية التلاميذ : وهى التى كان يكملها تلاميذ الرب فى مدة حياته على الارض ولم تكن تمتاز عن معمودية يوحنا بشىء•

٦ ـ معمودية الدم او الاستشهاد : وقد اعتبرتها الكنيسة استنادا الى (مت ١٠:٣٢) « فكل من يعترف بى قدام الناس اعترف انا ايضا به قدام ابى الذى فى السموات » ولانه قد خرج من جنب المخلص دم وماء (يو ١٩:٣٤) فبالدم يعمد الشهداء المؤمنون ابان الاضطهاد • وبالماء يعمد المؤمنون زمن السلم ولذلك قال الرسول يوحنا (١ يو ٥:٦ـ٨) «هذا هو الذى اتى بماء ودم يسوع المسيح ، لا بالماء فقط بل بالماء والدم والروح هو الذى يشهد ، لان الروح هو الحق ، فان الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الاب والكلمة

والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد • والذين يشهدون فى الارض هم ثلاثه الروح والماء والدم والثلاثه هم فى الواحد » •

هذه هى انواع المعمودية كما يحصيها آباء الكنيسة غير ان معمودية الماء أى معمودية العهد الجديد تفوق جميعها سموا وكمالا اذ هى الغاية • وان معموديات العهد القديم الطوفان (١ بط ٣:٢-٢١) والناموس والسحابة (١كو ١٠:١و٢) كانت رموزا تشير الى معمودية المسيح ومعمودية الدم اى الاستشهاد تقوم مقامها فى حالات الضرورة القصوى • قال ابن صليبى فى كتاب الجدل فى الباب الخاص ضد اليهود (ان الأنبياء فى العهد القديم) قد اشاروا الى المعمودية فى اقوالهم من ذلك ماجاء فى (تك ١:٢) «وروح الله يرف على وجه المياه » فى بدء الخليقة اشارة الى بث روح الحياة فى المادة• وفى (أش ١:١٦) «اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر افعالكم من امام عينى كفوا عن الشر» وفى (أش ٣٥:٦و٧) ايضا «لانه قد انفجرت فى البرية مياه وانهار فى القفر ، ويصير السراب اجما والمعطشة ينابيع ماء » وقال زكريا النبى « فى ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان اورشليم للخطية وللنجاسة » (زك ١٣:١) وقال حزقيال « واسكب عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاستكم » (حز ٣٦:٢٥) •

الفصل السادس

صورة سر المعمودية والخادم

اتخذت الكنيسة صورة سر العماد المقدس «ليعمد عبدالمسيح فلان بآسم الاب والابن والروح القدس استنادا الى قول الرب لتلاميذه «فأذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس»(مت ٢٨:١٩) ومن هذا يظهر اولا : ان الناتج عن هذا السر انما يصدر عن القوة الالهية

مباشرة لا عن الخادم بدليل قول الخادم «يعتمد فلان» وليس «اعمــد فلانا فالخادم ليس الا واسطة بيد الروح القدس ثانيا : وبعبارة « جميع الامــم » اشارة الى الشخص القابل للسر الذى يشار اليه بالصورة بـ «عبدالمسيح فلان».

ثالثا : وفى عبارة « باسم الاب والابن والروح القدس » اسماء الاقانيم الالهية المميزة اشارة الى القوة الالهية الصادرة عن الاقانيم الثلاثة مجتمعة واكمال هذا السر واتحاده ، فليس اقنوم الابن لوحده يعمل السر بل الاقانيم الثلاثة معا . فالاب ارسل ابنه ليموت من أجل البشر ، والابن رسم هذا السر بموتــــه ، والروح القدس يقدس النفوس من ادناس الخطية ويطهرها باطنا . رابعا : وقول الخادم « يعمد فلان باسم لا باسماء » فهذه اشارة الى وحدة الطبع الالهى وجوهره لان الاسم فى العبارة ليس مضافا الى الاقانيم بل على الجوهر والقوة والسلطان الالهي ، اله واحد فى ثلاثة اقانيم . وعبارة باســم الاب والابـــن والروح القدس مادة اساسية فى الصورة ان اهملت بطل مفعول السر . كما لا يصح الاكتفاء بذكر اقنوم واحد وقت العماد بل يجب ذكر الاقانيم الثلاثة ملفوظة بكلام محسوس فردا فردا ، ولا يجوز ان يقال يعمد فلان باســـم الثالوث . جاء فى قوانين الرسل « ان كان اسقف او قسيس لا يعمد باســـم الاب والابن والروح القدس كقول الرب يحرم » وقد اضيف الى هذه الصورة الجوهرية اضافات اخرى من قبل اباء الكنيسة سنشرحها فى محلها .

واما ما جاء فى خطاب الرسول بطرس فى سفر اعمال الرسل **(٢:٣٨)** قوله « ليعتمد كل واحد منكم على أسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » .

ففى ذلك وجهتا نظر

الاولى : بما ان هدف الرسول بطرس من قوله هذا كان جذب العالمين اليهودى والوثنى الى اتباع المسيح اذ قال لهم « لان الموعدهو لكم ولاولادكم ولكل الذين

على بعد » (أع ٢:٣٩) ، وحيث ان الخلاص بالمسيح هو عن طريق المعمودية ، ولكى يميز المعمودية المسيحية من معمودية يوحنا ، فقد ركز الرسول بطرس « بعبارة « باسم المسيح » دون ان يحدد الصورة اللفظية لها والتى كانت على الاغلب معروفة ومصطلح عليها اذ قد حددها ربنا يسوع بقوله « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس » (مت ٢٨:١٩) .

أما وجهة النظر الثانية فهى ان اسم يسوع المسيح يحتوى ضمنا الاقانيم الثلاثة كقول موسى ابن كيفا (ان المسيح يتضمن كل الثالوث فكأن المعنى هو الاب يمسح ، والابن ممسوح والروح هو المسحة فكلمة المسيح تتضمن معا الثالوث فى آن واحد . الماسح والممسوح والمسحة فالماسح هو الاب والممسوح هو الابن والمسحة هو الروح كما يقول الرسول بطرس « يسوع الذى من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس» (أع١٠:٣٨) وفى هذا المعنى قال الرسول بولس في غلاطية (٣:٢٧) « لان كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح » وهو يعنى بهذا ان المؤمنين اعتمدوا بأيمان المسيح وليس بالصورة المغايرة للصورة التى رسمها السيد المسيح .

خادم سر المعمودية

ان خدمة سر المعمودية منوط بالاساقفة والقسس . ونرى فى الكتاب رجالا ليسوا رسلا ولا كهنة كالشمامسة وغيرهم يمنحون سر العماد كما فعل فيلبس الشماس الذى عمد قيم خزائن ملكة الحبشة (أ ع ٨:٣٨) ولم يذكر ان بولس الرسول عمد الذين امنوا فى افسس بل يذكر مايشعر بنفى ذلك ، وان بولس احتفظ لذاته ان يمنحهم بعد قبولهم العماد سر التثبيت« فلما سمعوا

اعتمدوا باسم الرب يسوع ولما وضع بولس يديه عليهم حلّ الروح القدس عليهم » (أ ع ١٩: ٥ و٦) ولما آمن اهل السامرة بما كان فيلبس يبشرهم به أعتمدوا رجالهم ونساؤهم (أع ٨: ١٠و٣٠) •

ولم يكن اذ ذاك احد من الرسل فى السامرة ، وانما ذهب اليها بعد ذلك بطرس ويوحنا ليعطيا الروح القدس للذين كانوا اعتمدوا قبلا •

فبعد الوقوف على هذه الحوادث من اعمال الرسل يظهر ان الشمامسة المبشرين فى اوائل الكنيسة كانوا يمنحون سر المعمودية عند الحاجة الماسة اذا لم يتوفر وجود كاهن يقوم بهذا الواجب • وقد اجازت القوانين الكنسيه للشماس الانجيلى ان يعمد الطفل المشرف على الموت ان لم يوجد قسيس ليعمده[1] •

الفصل السابع

ضرورة المعمودية

ان سر المعمودية ضرورى للخلاص لانه الطريق الوحيد المؤدى الى ملكوت الله كقول الرب « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله[2] (يو ٣: ٥) وقوله ايضا «من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن » (مر ١٦: ١٦) وقد أكد الرسول بطرس بانه الوسيلة التى ينالَ بها الانسان غفران الخطية الاصلية وعطية الروح القدس كقوله « توبوا

(١) طقس العماد المطبوع (ص ١٠٥) •

(٢) ملكوت الله نوعان الملكوت الذى هو فى السماء حيث يسعد فيه الابرار بعد الموت ، وملكوت آخر فى هذه الحياة كقوله « ان ملكوت الله فى داخلكم » ، وبعبارة أخرى هو الكنيسة التى تتألف من جماعة المؤمنين كقوله « توبوا لانه قد اقترب ملكوت الله » •

وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس» (أع ٢:٣٨) وقال القديس مار ايوانيس الدارى (الـــولادة الجديدة هى البدء فى السير فى طريق وصايا الله وتشق الطريق الذى يؤدى الى الملكوت ، فلا تستطيع ان تنال ملكوت الله ما لم تولد من الماء والـــروح » وقال العلامة ابن العبرى « بواسطة العماد ننتسب الى الله » •

الفصل الثامن

معمودية الاطفال

قال ابن صليبى: جرت العادة فى الكنيسة قديما ان يعتمد المؤمنون فى سن الثلاثين من عمرهم باعتباره سنا كاملا ، غير ان هذه العادة لم تلبث طويلا ان تغيرت ، واجيز من ثم العماد للجميع على مختلف الاعمار سواء اكانوا فى سن الشيخوخة ام الطفولة وذلك يعود الى أسباب كثيرة منها :

١ ـ لتأخير البعض عن العماد فينزلقوا فى مهاوى الخطية وبالتالى يفقدون نعمة المعمودية • ٢ـ لامتناع بعضهم عن العماد لشغفهم بمحبة الشهوات العالمية وسيرهم وراء اهوائهم الدنيئة • ٣ـ وهناك قسم اخر كان يزدرى العماد ويستخف به • ولما رأى القديسون اثناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس فى القرن الرابع الاضرار الناتجة عن ذلك ، وعلموا ان اكثر الناس يموتون بدون عمـــــاد لاسباب مختلفة كالتى مر ذكرها ، صرفوا عنايتهم لتوجيه المسيحيين جميعـــا لاقتبال هذا السر المقدس فى أى وقت كان • والصحيح ان التقليد الرسولى نص وجوب تعميد الاطفال والكبار كما اثبت القديسان ايرناوس وقبريانس ومعهما اوريجانس[1] وان الكنيسة تسلمت تعليم عماد الاطفال من الرسل الاطهار

---

(١) الدرر النفيسة ص ٤٠٢ •

الذين اتبعوا هذه القاعدة، حيث نرى بطرس الرسول يصرح في يوم الخمسين بعماد الذين قبلوا المسيح من الكبار واعلن عن قبول اولادهم معهم بقوله لهم (أع ٢:٣٩) «لكم ولاولادكم» وهذا تصريح واضح بقبول الاولاد في الايمان ومنحهم المعمودية • وحينما كرز الرسل بالانجيل قبلوا عائلات كاملة وعمدوهم كبارا وصغارا ومن ذلك ان بولس الرسول عمد بيت استفانوس (١ كو ١:١٦) ولابد انه كان في ذلك البيت اطفال ايضا اقتبلوا سر المعمودية مع ذويهم • كذلك ليدية بائعة الارجوان التي قبلت الايمان واعتمدت هي واهل بيتها (أع ١٦:١٤ و١٥) وعمد ايضا حافظ السجن ومن كان معه (أع ١٦:٣٣)

وقد اوجبت الكنيسة عماد الاطفال للاسباب التالية :

١ ـ لان سر المعمودية ضروري لخلاص الجميع دون استثناء بدليل قول الرب «اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم» (مت ٢٨:١٩) اذ ان الجميع مشتركون في الخطية الاصلية كبارا وصغارا بدون استثناء وكلهم بحاجة الى التطهير والتبرير ليحظوا بملكوت الله والمعمودية هي الطريق المؤدي الى ذلك •

٢ ـ لقد تميز الاطفال بكرامة خاصة في العهدين القديم والجديد ففي العهد القديم ملأ الله ارميا من روحه القدوس وهو جنين في بطن أمه (ار ١:٥) ومثله يوحنا (لو ١:١٥) الذي امتلأ من الروح القدس من بطن أمه • كما نال الاطفال حظوة لدى الرب يسوع ذاته الذي احب الاطفال كثيرا وباركهم وقال «دعوا الاولاد يأتون اليّ ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت السموات (مت ١٨ : ٣و١٩ : ١٤) وتكون المعمودية والحالة هذه ضرورية للاطفال ايضا نظرا لمكانتهم وكرامتهم •

٣ ـ كان الختان في العهد القديم رمزا الى العماد في العهد الجديد وغير خاف ان الاطفال كانوا يختنون في اليوم الثامن (تك ١٧ : ١١) وكما ان

الختان الذى هو عمل الايدى (اف ٢ : ١١) بخلع الجسد كان مفروضا على الاطفال ، هكذا ايضا المعمودية التى هى ختان المسيح (كو ٢:١١) فرضت على الاطفال ايضا .

ولآباء الكنيسة شهادات قوية بهذا الموضوع . قال اوريجانس (ان الكنيسة تسلمت من الرسل تقليد عماد الاطفال ايضا) وقال القديس غريغوريوس الثاولوغس (هل عندك طفل فلا يأخذن فيه الشر فرصة بل ليقدس وهو رضيع وليكرس للروح منذ نعومة اظفاره [١] .

ومما هو جدير بالذكر ان الاطفال يقتبلون العماد بناء على ايمان ابائهم ويجب ان يعمد الاطفال بالسرعة لئلا يدركهم الموت فيحرمون من الحياة الابدية .

فعلى ابناء الكنيسة ان يعمدوا اولادهم باقرب وقت ممكن والافضل ان يعمد الطفل مابين اليوم الثامن حتى الاربعين من ميلاده .

وكان المؤمنون قديما يحتفلون بالمعمودية خاصة في يومى السبت اللذين يسبقان الفصح والعنصرة وفى كل احد وكل يوم على ما اخبر ترتليانس [٢] .

الفصل التاسع
مفعول المعمودية

قال القديس مار ايوانيس الدارى (للمعمودية مفعولان رئيسيان هما ١ ـ التطهير ٢ ـ الاستنارة . ١ ـ التطهير هو غفران الخطايا برمتها على اختلاف انواعها واشكالها سواء اكانت الخطية الجدية الاصلية أم غيرها . وقد

---

(١) خطاب فى المعمودية .
(٢) الدرر النفيسة ص ٤٠٢ .

سبق الله تعالى واعلن عن ذلك بلسان نبيه حزقيال (حز ٣٦:٢٥) «وارش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاستكم ومن كل اصنامكم اطهركم» والرسول بولس بعدما استعرض انواع الخطايا كافة يقول «وهكذا كان اناس منكم لكن اغتسلتم بان تقدستم بل تبرر تم باسم يسوع وبروح الهنا» (اكو ٦:١١) وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس «ما اعظم تجديف الانسان الذى تجرأ على القول ان المعمودية لا تغفر الخطايا من اصولها لان فى سر الايمان تستأصل آثام النفس ، فتطهر وتتحد بالله وحده كقول الـرب لبطرس (يو ١٣:١٠) «الذى قد اغتسل ليس له حاجة الا الى غسل رجليه بل هو طاهر كله» •

ولكى ندرك ذلك بصورة اكثر وضوحا نذكر مثالا على ذلك ماحدث لنعمان السريانى الذى عندما اغتسل سبع مرات بنهر الاردن تطهر من برصه واصبح جسمه كجسم الطفل كما يخبرنا الكتاب المقدس • (٢مل ٥:١٤)

وهنا نواجه السؤال التالى : اذا كانت المعمودية تطهر الانسان من الخطايا كافة فلماذا اذن لا ينجو المؤمن من عذابات هذه الحياة ويرتفع بقوة نعمة العماد المقدس الى درجات الكمال التى كان فيها ادم ابو الجنس البشرى قبل سقوطه فى الخطية ؟ فنجيب : انهذا عائد الى سببين اولا : اذا كان ربنا يسوع المسيح القدوس الذى لم توجد فيه خطية قد تعرض للتجارب العديدة فى حياته على الارض ولم يدخل الى مجد الحياة الخالدة الا بعد تحمله الآلام المريرة والموت القاسى وقام من بين الاموات منتصرا ، فهل يعد من الغرابة اذن ان يتعرض المؤمنون وهم لابسون جسد الخطية الفاسدحتى بعد اكتسابهم نعمة التبرير الالهى بالمعمودية للتجارب وان يحتملوا آلام الجسد وحتى ان يذوقوا الموت من أجل المسيح لكى يستحقوا ان يقوموا معه فى اليوم الاخير ويتنعموا فى الحياة الابدية •

ثانيا ـ ان ضعف الجسد والامراض والالام والشهوة وغيرها تلبث فى المؤمن بعد المعمودية لتكون واسطة لترويضه على الفضيلة التى منها تجنى ثمار

المجد • فعندما يتحمل المؤمن عذابات هذه الحياة بصبر جميل واتكال على مؤازرة المعونة الالهية ، وبرجاء راسخ صادق ، يحفظ اكليل البر الذى يهبه له الـرب الديان العادل فى ذلك اليوم لانه جاهد جهادا حسنا واكمل السـعى وحفظ الايمان كقول الرسول •(٢تى ٤:٧) وهذا يشـبه مافعله الله تعالى مع بنى اسرائيل عندما انقذهم من عبودية المصريين واجتاز بهم البحر الاحمر لـم يدخلهم الى ارض الميعاد مباشرة بل جربهم فى برية سيناء مدة اربعين سـنة بأمور شتى لامتحانهم ، واختبار طاعتهم له ، وصدق عبادتهـم اياه • ومن فاز منهم فقط استحق ان يرث الارض (قض ٣:٤)

اضف الى هذا كله ، لو كانت المعمودية تمنح نعماً جسـدية الى جانب الهبـات الروحيـة لكان هنالـك مجـال للشك فى كثير ممن يطلبونها انهم يرغبون فيها طمعا بالخيرات الزمنية لا بالامجاد السماوية المرجوة فى الحيـاة العتيدة لان المسيحى الحقيقى لاينظر « الى الاشياء التى ترى بل الى التي لاترى لان التى ترى وقتية واما التى لاترى فابدية » (٢ كو ٤:١٨) •

اما الاستنارة المفعول الثاني الرئيسى للمعمودية فهى اسـتنارة القلب بالنعمة الالهية والفضائل السماوية التى بواسطتها يصبح المؤمن بارا وابنـا لله (يو ١:١٢) ووارثا للحياة الابدية (رو ٨:١٧) وهنا ايضا نواجه السؤال التالى: كيف يمكن للذين نالوا المواهب الروحية وحصلوا على العطايا السـماوية واستنيروا بواسطة المعمودية ان يتهاونوا فى ممارسة اعمـال الصـلاح والتحلى بالفضائل المسيحية ؟ فنجيب على ذلك : ان المعتمـد وان كان حائزا على هـذه المواهب الروحية الا انه لايزال فى صراع شديد مع عدو الجنس البشـرى (اف ٦:١٢) فلا يليق به اذن ان يتخاذل فى هذا الجهاد بل ان يتكل على رحمة

الله ويرجو رجاء مباركا لممارسة اعمال الصلاح باستمرار وان يضع نصب عينيه على الدوام ماهو طاهر وجليل • وهنالك مفاعيل اخرى تدخل فى دائرة هذين المفعولين ضمنا كالتجديد مع المسيح والاتحاد به وختم الروح القدس الذى هو الميرون المقدس • قال القديس اثناسيوس بهذا الصدد (اما أنت يامن تقترب الى ماء المسيح ، لاتتطلع الى الامور الحسية المنظورة ولا تتخيل امرا بسيطا بل تأمل القوة الكامنة فى الماء التى تحصل باستدعاء الروح القدس تذكر الاله الذى تألم من أجلك ومنحك ماء مطهرا بواسطة آلامه • فتقدم وكلك ايمان بانك ستخلع عنك الانسان العتيق الارضى وتلبس انسانا جديدا روحيا وتنتقل من السيرة الارضية الزمنية الى السيرة السماوية الخالدة فلا تترك فيك اثرا للشهوة العالمية عندما تدنو الى المعمودية) وقال القديس غريغوريوس ثاولوغوس (المعمودية تغفر الخطايا) وقال القديس ايوانيس الذهبى الفم (لاتقل كنيقوديموس كيف يمكن الانسان ان يولد وهو شيخ) (يو ٣:٤) ولاتقل للكاهن كما قال اسحق لابيه ابراهيم هوذا النار والحطب ولكن اين الخروف؟ (تك ٢٢:٧) لاتقل لنفسك عندما تدنو من جرن المعمودية هوذا الماء فاين الروح ؟ لاتدن مرتابا بل مؤمنا فليس هنالك ما يرى بالعين المجردة ولكن النفس المؤمنة تشعر به روحيا «المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح » (يو ٣:٦) و « ليس من دم ولا من مشيئة رجل بل من الله » (يو ١:١٣) لاتفكر افكارا ارضية وتقول كيف يولد الانسان مرتين ؟ ولا تقل كيف يطهر الماء الخطايا ؟ انك لاتعتمد بماء بسيط فأن نارا خفية تستقر فيه تحرق الخطايا وتصون نقاء الجسد كما يصهر الحديد بالنار ويصفى من الشوائب • خذ لك برهانا النار البابلية التى التهمت الرباطات وصانت اجساد الفتية الثلاثة فالمعمودية ايضا تلتهم الخطايا وتصون الجسد) •

الفصل العاشر

عـــدم اعادة المعمودية

لاتعاد المعمودية للاسباب التالية :

١ ـ لانها واحدة كقول الرسول (اف ٤:٥) «رب واحد ايمان واحد معمودية واحدة»

٢ ـ ان المعمودية بحد ذاتها ولادة روحية جديدة • فكما ان الانسان لا يولـــد سوى مرة واحدة ولادة جســدية • هكــذا ايضا لايولـــد ولادة روحية سوى مرة واحدة (يو ٣:٥) •

٣ ـ بما ان المعمودية تشير الى موت المسيح ودفنه وقيامتــه ، وبما ان المسيح لايمكن ان يموت ثانية هكذا ايضا لايمكن ان يموت المؤمن ثانيـة أى ان يعتمد لموت المسيح وقد رأينا الرسول بولس يحذر الرومانيين من ان يفقدوا الحياة التى قبلوها من الله بعد ان ماتوا بواسطة المعمودية مع المسيح الذى مات للخطية مرة واحدة (رو ٦:١٠) •

وقال الذهبى الفم «قد دفنا معه بالمعمودية للموت وكما انه غير ممكن ان يصلب المسيح مرة ثانية هكذا لايقدر من قد اعتمـــــد مرة واحدة ان يقبـل معمودية ثانية» •

٤ ـ لانها ترسم فى المعتمد ختما لايمحى ولا يستأصل بل يستمر باقيـا عليه كل ايام حياته •

٥ ـ اذا وجد شخص يرتاب فى معموديته هل هو معمد ام لا فليعمده الكاهن قائلا « يعمد فلان ان لم يكن اعتمد باسم الاب والابن والروح القدس» وذلك طبقا لما أمر به البطريرك سويريوس اخذا بطريقة القديس كيرلـــس بطريرك الاسكندرية (هدايات ٢:٣ عن مار سويريوس الانطاكى) •

٦ ـ وقد اعتادت الكنيسة ايضا ان تمنح سر العماد للمرضى المدنفين بتلاوة طقس مختصر جدا وبدون تغطيس لئلا يحرموا من نعمة هذا السر واذا ما صحوا لاتعاد معموديتهم بل يلقنون الايمان لكى يدركوا الموهبة الالهية التى اقتبلوها كما حدد مجمع اللاذقية (هدايات ٢:٢)٠

٧ ـ قال العلامة ابن العبرى فى كتاب الاشعة (لقد حدد المجمع النيقاوى وحدة المعمودية بقوله «ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا» اما السابليون والاريوسيون والمقدونيون والاونوميون والابوليناريون والاوطاخيون ، اذا عادوا الى الكنيسة وجب ان تعاد معموديتهم لعدم صحة معتقدهم بلاهوت السيد المسيح ولعدم استخدام الصورة الصحيحة المطلوبة فى معموديتهم ، لا لان معتقدهم غير صحيح بالنسبة الى الناسوت فقط بل بالنسبة الى اللاهوت ٠

وقد انتقد القديس مار سويريوس الانطاكى اعمال مجمع قرطاجنة الذى قرر تعميد الهراطقة ايا كانوا بدون تمييز كأنهم غير معمدين ٠ واستشهد بقول القديس ديونيسيوس الاسكندرى الذى ميز مابين الهراطقة اذ قال : ان الذين اقتبلوا العماد من الهراطقة باسم الثالوث لاتعاد معموديتهم كما حدد ذلك المجمعان النيقاوى والافسسى بقولهما : الذين يرجعون من هرطقة ثاودورس ونسطور لايعتمدون ولا يمسحون بل يجب ان يحرموا التعاليم التى كانوا متمسكين بها فقط ٠ (الهدايات ١:٢) قال القديس مار يعقوب الرهاوى « ان المسيحى الذى يمرق ثم يعود ثانية الى المسيحية لايعمد بل يصلى عليه رئيس الكهنة صلاة التائبين ، محددا له زمان التوبة واصفا له بعض الشروط التى اذا كملها يشركه فى الاسرار المقدسة ٠ (الهدايات ب ٣ ف١) ٠

قال جورجى «يعزل القسيس الذى يعمد الوثنى او الهرطوقى» ويعنى بذلك الذين لايتعهدون بقبول الايمان (هدايات ١:٢)

ومما هو جدير بالذكر ان قضية معمودية الهراطقة كانت من جملة القضايا الجوهرية التي دار حولها النزاع فى الكنيسة فى قرونها الاولى وعقدت لاجل ذلك مجامع مكانية عديدة للنظر فيها وقد حسم الخلاف فى المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ على الشكل المذكور أنفا ٠

جاء فى كتاب طقس العماد الذى طبعه الطيب الذكر البطريرك افرام برصوم ص ١٠٤-١٠٥ مايلى : ١ - اذ قبل احد مواليد السريان سر العماد من كاهن لاتينى حيث لابيعة ولاكاهن لنا ولم يتقبل بعد سر الميرون الذى يؤخر اتمامه عند اللاتين حتى نحو السنة العاشرة من العمر اذا حضر كاهننا فليختم المعتمد بالميرون وهو لابس حلته تاليا الصلوات المفروضة فى الكتاب ويناوله القربان المقدس ٠

٣ - اذا اتفق ان يعمد قس من الشيع البروتستانتية احد مواليد السريان وأذا حضر احد كهنتنا فليعمده ثانية عمادا كاملا ذلك ان الشيع المذكورة خالية من الكهنوت الشرعى وليس عندها سر الميرون المقدس ٠ أما اذا صادف ان اقتبل أحد افراد الكنيسة العماد من قسيس انكليكانى (أسقفي) فاذا حضر كاهننا فليمنحه زيت الميرون فقط ويناوله القربان المقدس٠

وقد يصدف فى بعض الاحيان ان ينذر المسلمون العماد لاولادهم ففى حالة كهذه يراعى ماحدده الاباء فى القانون الخامس والعشرين من قوانين مجمع دير الزعفران عام ١١٥٦ ٠ حيث نص (اما المسلمون فلا يعمدون بالجرن المخصص للمسيحيين بل بجرن خاص وبماء بسيط تتلى عليه صلاة التوبة مشتملة على قوقليون وحساية وقال ٠ وتتلى الصورة على الوجه التالى : « يعمد فلان بمعمودية يوحنا المعمدان لمغفرة الخطايا»٠ ويمسح بزيت بسيط٠)

الفصل الحادي عشر

الاشـــابين

قال العلامة اللاهوتي مار موسى ابن كيفا « ان للاشبين اسماء عديـدة منها » :ـ

١ ـ الاشبين : هي لفظة يونانية تعني المرافق او خادم العروس وسمي كذلك لانه يرافق المعتمد في العماد ليكفر بالشيطان ويؤمن بالثالوث الاقـدس نيابة عنــــه •

٢ ـ الكفيل : لانه يكفل المعتمد امام الله وكنيسته • كما يعطـى الكفيل معنى اخر وهو انه يكفل المعتمد بان المعمودية تمنحه غفران الخطايا، فيصبح بذلك ابنا لله الاب واخا للمسيح ووريثا لملكوت الســـماء • فيما اذا احتفظ بالنعمة التي اكتسبها من العماد بممارسة الاعمال الصالحة•

٣ ـ القريب : لارتباطه بالمعتمد بقرابة روحية اكثر من سائر الناس وقد منعت القوانين ان يكون احد الوالدين قريبا لولده •

٤ ـ المرشد : لانه يرشده الى حقائق الدين المســـيحي ويأتي به الى الكهنة اذ بوساطتهم تتم المعمودية •

٥ ـ المعلم : لان من اول واجباته ان يعلم المعتمد كيفية التصرف بالسيرة الكنسية ويروضه على اعمال الفضيلة ، لذلك نصت القوانين الكنسية ان يكون الاشبين بالغا سن الرشد كي يعرف التزاماته •

قال العلامة ابن صليبي ، ان الاشبينية ظهرت في عهد يوحنا المعمـدان الذي يعد اول اشبين للمسيح •

والاشبين ضروري جدا ، لان المعمودية ميلاد روحي ، به يولد المؤمن

ابنا لله • وقد اشار الرسول بطرس الى هذا الميلاد بقوله « وكاطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلى (١بط ٢:٢)

فكما ان الانسان بعد ولادته يحتاج الى مرضعة ووصى للعناية به هكذا ايضا الذى يولد ميلادا ثانيا من المعمودية يجب ان يودع الى انسان حكيم مؤمن يعلمه الاوامر الكنسية ووصايا الديانة المسيحية ويروضه على النمو فى الحياة الروحية حتى يبلغ اشده فيأخذه الى الكنيسة ويسلمه الى خدام الله ثم يتخلى من مسؤولياته • وفى حالة عدم وجود اشابين ، فالكنيسة تجيز تعميد الطفل بدون عراب او الاستعاضة عنه بالشماس او احد خدام الكنيسة ويتحتم على الاشابين قبل حمل المعتمدين الاعتراف وتناول القربان المقدس •

والاشبينية والحالة هذه عمل مقدس لذلك يجب على الاشابين ان يكونوا ارثوذكسيين من ابناء الكنيسة ذكرا للذكر وانثى للانثى • وان يؤدوا المسؤولية الملقاة على عاتقهم وبذل العناية بابنائهم الروحيين وان يتصرفوا تصرفا لائقا بالسيرة المسيحية كى يكونوا قدوة صالحة ومثالا يحتذى •

الفصل الثاني عشر
واجبات المعتمدين

قال الرب «من امن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن» (مر ١٦:١٦) وقال بطرس الرسول «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » (اع ٢:٣٨و٣:١٩) فيتبين من هذين النصين ان من واجبات المعتمدين اولا الايمان وتلقن اصول الدين المسيحى • ثانيا : التوبة والاعتراف • اما الايمان فلادراك نعمة هذا السر قال ابن صليبى « الايمان هو بداية الاسرار المسيحية عامة لذلك نصت قوانين

الآباء القديسين أن من أراد ان ينتسب الى المسيحية ، عليه ان يتعلم اولا اصول الدين المسيحى ثم يتفرغ لسماع الكتب المقدسة مدة معينة ومن ثم يتقـــدم الى سر المعمودية المقدس • وتحديد الايمان على حد قول ديونيسيوس الاريوفاغى (هو الطريق المؤدى الى الحق المكين والسيرة الروحية المقدسة) وقال القديس باسيليوس (الايمـــان والعماد متعلقان بعضهما ببعض لا ينفصمان ابدا بهمـــا نكمل ونحيا فالايمان يتم بالمعمودية • وأساس المعمودية هو الايمان) •

أما التوبة فهى الندامة على الخطايا السالفة • والاقرار بها • والعزم على عـــدم العودة اليهـــا فى المستقبل لان من يطلب العمـــــــاد ولا يرغب فى اصلاح حياته وسيرته يرفض • لان الخطية والمعمودية ضدان لا يتفقان • لانه كيف نستطيع ان نوفق ما بين العماد الذى هو « لبس المسيح » (غـل ٣:٢٧) والاتحاد معه • وما بين حياة الشر والخطية • لذلك فالرسول بطرس يشترط على الذين عرضوا عليه قبول نعمة العماد ، أن يتوبوا اذ قال فى جوابه عـــلى سؤالهم «ماذا نصنع أيها الرجال الاخوة؟(أع٢:٣٧)«توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطـــايا فتقبلوا عطيـــة الروح القـــدس » (أ ع ٢:٣٨) وقال أيضا « فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم » (أ ع ٣:١٩) كما يشترط الرسول بولس ايضا على من يعتمد بلزوم اماتته كليا من الخطيـــة (رو ٦:٦) لذلك اوجبت الكنيسة فحص نية الراغبين فى قبول العماد والتحقق من صلاح سيرتهم والتأكد من رسوخ قدمهم فى الايمان قبل عمادهم •

الفصل الثالث عشر

كيف كان يمارس سر المعمودية قديما

يعلمنا سفر اعمال الرسل ، ان الذين كانوا يقبلون الايمان فى العصـــر الرسولى كانوا يعمدون حالا • وفي القرن الثانى ساد نظام اخر فى الكنيســـة

يقضى بالا يعمد طالبو التنصر فورا بل تحدد لهم مدة يتلقون فيها العقائد المسيحية ويتمرسون فى فضائلها ويحضرون بعض الصلوات ما عدا الاسرار ، ويسمعون الكتب المقدسة وكانوا يسمون السامعين او الموعوظين(١) •

وكتب العلامة مار ايوانيس الدارى فى كتابه ـ شرح سر المعمودية ـ واصفا كيفية ممارسة ذلك النظام قال « ان رئيس الكهنة باعتباره شبيها بالله الصالح بطبعه والعطوف على جبلته • يدعو جميع الناس الى قبول الخلاص ويرشدهم الى الطرق الانجيلية الحقيقية التى بدونها لايستطيع الانسان ان يحيا ابدا • ويعلن رئيس الكهنة لهم أن الله تعالى قد أهل البشر لفرط محبته الفائقة ان يبلغوا درجة الاتحاد به بممارسة الاعمال الصالحة وحفظ الوصايا الالهية •

والذى يتحد بالله بالنسبة لقابليته يعطيه الله قوة ليعتمد ويستنير ويكون معه واحدا كما قال القديس يوحنا الانجيلى «واما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطانا ان يصيروا أولاد الله اى المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » (يو ١:١٢ و١٣) فمن كان يسمع هذه الكلمات وهو بعيد عن شركة السر المقدس ويتوق ان يقتبله كان يتصل بمن كانوا خبيرين بمعرفة اصول هذا السر ويطلب اليهم ان يقدموه الى رئيس الكهنة كان يتلقن منهم الواجبات المترتبة على من يريد التتلمذ للمسيح وبعد ان يعمل بكل ما يوصيه به رئيس الكهنة كان الرئيس يشير اليه بأن يختار له اشبينا لتعليمه وارشاده فهذا الاشبين الخبير باصول السر حيث انه يرغب فى خلاص ذلك الشخص كان يتردد فى هذا فى بادىء الامر خوفا وتهيبا من رهبة الموهبة وعظم المسؤولية الا انه اخيرا تشبها بصلاح الله الذى يريد أن يحيا جميع البشر ، كان يلبى طلبه ويأتى به الى رئيس الكهنة ورئيس الكهنة بدوره عندما يقبلهما كان يؤدى الشكر لله اولا ويسجد قائلا (اشكرك ايها الاله الذى تدعو جميع الناس الى الخلاص) ، ويتلو صلوات أخرى

---

(١) الدرر النفيسة ص ٣٩٩ـ٤٠٠

مناسبة ثم يجمع كل جمهور الاكليروس للاحتفال بالخلاص الذى صار لذلك الانسان ، ويرفع الشكر الى الله من أجل ذلك ، وتتلى تسبحه من اسفار الانبياء أو من المزامير ، وقد يكون المزمور الذى مطلعه « انما صالح الله » (مز ٧٣:١) الواردة فيه عبارة « أما انا فالاقتراب الى الله حسن لى جعلت بالسيد الرب ملجأى لاخبر بكل صنائعك » (مز ٧٣:٢٨) ثم يعطى السلام أمام مائدة الحياة ويتقدم من الشخص ويسأله عن رغبته وسبب مجيئه متحريا نيته فيما اذا كان قبوله لهذا السر عن شوق وايمان أم لا ؟ أما هو فيجيب على اسئلته كما علمه كفيله لائما نفسه ورائيا حاله بسبب بعده عن الله وعن الاعمال الصالحة . ويلتمس من رئيس الكهنة باتضاع وذل لكى بواسطته يتقدم الى الله ويتقبل الاسرار والتعاليم المقدسة فيحذره رئيس الكهنة منبها وقائلا : ان الله كامل والذى يروم التقدم اليه يجب ان يكون بلا عيب وبعيدا عن كل شر وخطية كما ان الله قدوس وبلا عيب ثم يوجهه الى ما يتطلب منه من الواجبات ويسأله فيما اذا كان قادرا على السلوك بموجب ذلك فاذا أعترف بأنه قادر ، فحينئذ يضع رئيس الكهنة يده على رأسه ويرسم عليه اشارة الصليب ويأمر القسس أن يكتبوا اسمه واسم كفيله مع تلاوة صلاة بالمناسبة وتجيب الكنيسة كلها آمين آمين . ثم يتقدم الى احد الشمامسة فينزع عنه حذاءه وثيابه ويقيمه متجها نحو الغرب ويداه مبسوطتان مشيرا بذلك الى تركه السيرة القديمة المظلمة ويأمره أن يزجر الشيطان ثلاث مرات ويكفر به ثم يتجه نحو الشرق موجها انظاره الى السماء باسطا يديه نظير من يصلى ويتطلع الى اقتبال المنح الالهية . ثم يأمره ان يقول « اؤمن بالمسيح الاله وبجميع التعاليم التى تسلمتها منك الهيا » ثم يصلى ويضع عليه اليد فيتقدم الشماس وينزع عنه ما تبقى عليه من الثياب ، ثم يمسحه الكاهن بالمسحة المقدسة ، ثلاثة صلبان على جبهته ، ويسلمونه الى بقية الكهنة ليمسحوا كل جسده ، ثم يتقدم من المعمودية وعندما يقدس الكاهن الماء باستدعاء الروح القدس يسكب الميرون على الماء ثلاثا على مثال الصليب تاليا

ترتيلة مقتبسة من أحد اسفار الانبياء ثم يقدم الشخص وينادى احد الكهنة الرجل واشبينه قائلا « اقترب فلان ليعتمد واشبينه هو فلان » • فيأخذه احد الكهنة الى الماء ويمسكه رئيس الكهنة بيده ويقف فى محل مرتفع وعندما ينادى الكهنة على الماء فى حضرة رئيس الكهنة اسم من يعتمد أى « يعتمد فلان الخ » ، يغطسه فى الماء ثلاثا مناديا باسم الثالوث الاقدس الاب والابن والروح القدس • ثم يستلمه الكهنة ويعطونه للاشبين ويلبسونه ثيابا بيضا بحسب العادة الجارية ثم يأخذونه الى رئيس الكهنة حيث يختمه بالميرون ويشركه فى سر الاوخارستيا الذى هو كمال الكمالات • فعندما ينتهى كل هذا والمعتمد خارج المذبح ، يقدَّم بعدئذ الى المذبح اشارة الى أنه بواسطة الاعمال الحسية يرتفع الى الامور الروحية التى اشيرت اليها بالحسيات ، ويعتزم الا يعود ثانية الى الامور القديمة وقد اشار الى كيفية ممارسة سر المعمودية بموجب هذا النظام مجمع دير الزعفران المنعقد عام ١١٥٦ وأكد التمسك به فى قانونه الرابع والعشرين •

الفصل الرابع عشر

طقس المعمودية في الكنيسة السريانية

لكل من الاسرار السبعة طقس خاص فى الكنيسة رتب منذ نشأتها ووصل بطريق التقليد الى ايامنا هذه وقد تطورت هذه الطقوس وادخل عليها تعديلات من زيادة ونقصان حتى صارت كما هى عليه الآن •

ولئن وجد فى الطقوس التى بين ايدينا اليوم اختلافات وفروق سببها تباين حضارات الامم والشعوب المتنوعة التى دخلتها المسيحية ، غير انها تتفق فى اصولها وفروعها الاساسية وفي مرماها وغايتها •

ولكنيستنا السريانية كتاب يحتوى على الصلوات التى تتلى فى منح سر المعمودية • وهذه الصلوات تنحصر فى طقسين احدهما لعماد الصبى والثانى لعماد البنت وهى قديمة الوضع ينسب بعضها الى القديسين اقليميس الرومانى وديونيسيوس الاريوباغى • وتناولها بالتنسيق والاضافة القديس سويريوس الانطاكى ونقلها من اليونانية الى السريانية ونقحها مار يعقوب الرهاوى وتابعه فى ذلك مار ايوانيس الدارى وابن كيفا وابن صليبى وابن العبرى[1] وقد نقلها الى العربية بلغة بليغة فصيحة الطيب الذكر البطريرك افرام برصوم ونشرها بالطبع عام ١٩٥٠ وان هذا الطقس المطبوع يستعمل فى بيع الغرب أى الخاضعه لولاية الكرسى البطريركي مباشرة •

وأما الكنائس التى كانت خاضعة قديما لكرسى مفريانية تكريت الشرقى فلها طقس موجز يخالف ترتيب الطقس الغربى ، ينسب الى العلامة ابن العبرى[2] •

وسنقتصر هنا على شرح الطقس الشرقى المستعمل فى العراق • وهناك طقس آخر مختصر جدا يتلى لعماد الطفل المدنف لا محل لشرحه هنا •

وللطقس الكنسى فائدتان : الاولى يعلم مايفعل السر ، فالمسيحى الذى لا يستوعب قوة السر ومفاعيله يدرك ذلك عن طريق الطقس • والثانية : يزيد السر كرامة وجمالا ويجسم الهبات بصورة اوضح ويرسخ فى اذهان المؤمنين معانى المعمودية رسوخا قويا ثابتا • زد على ذلك انه يفسر العماد تفسيرا دقيقا اذ يتناول جميع الشروحات التى مرت معنا ، ويحيط السر بهالة من التقوى

---

(١) اللؤلؤ المنثور طبعة اولى ص ٨٠ و٨١ ومقدمة طقس العماد طبعة البطريرك افرام برصوم ص ٩٥ •

(٢) « المصدر السابق •

ترتيب طقس المعمودية

بحسب القانون الكنسى يتم سر العماد فى البيعة في بيت المعموديه ويكون صباحا بعد القداس الالهى • الا اذا لزم الامر لضرورة ناتجة عن مرض أو عوارض موجبة فيجرى في بيوت المؤمنين • أما بالنسبة الى الوقت فقد اجيز ان يتم السر صباحا او مساء •

لا يحل للكاهن على وجه الاطلاق ان يعمد ذكرا مع انثى فى جرن واحد فى آن واحد ،ولكن يعمد كلا منهما وحده واذا حضر العماد أطفال ذكور كثيرون يعمدون سوية فى جرن واحد وهكذا الامر فى الاناث ، على ان يرتبوا بحسب زمان ميلادهم •

يقول ابن صليبى اخذا عن يعقوب الرهاوى ان طقس العماد يقسم الى خدمتين الخدمة الاولى وهى رتبة الاستعداد وتختص بتطهير المعتمد لاعداده لاقتبال الروح القدس والانتساب الى ذخيرة البنين • اذ يقف الكاهن لابسا حلته الكهنوتية بتمامها أمام باب المذبح حيث تتم هذه الخدمة ويمنع المتقدم للعماد من الدخول اليه لانه لا يستحق ان يدخل قدس الاقداس ما لم يلق عنه نير العبودية الدنس ويكرس نفسه للمسيح بجملته •

وفى هذه الخدمة وجهان ايجابى وسلبى فالوجه الايجابى مبنى على ما شرحناه سابقا عن وجوب استيفاء الشرطين الاساسيين وهما « التوبة والايمان » قبل نوال سر العماد كقول الرسول بطرس عندما سئل ماذا يجب ان نعمل اجاب « توبوا وليعتمد » وكقول الرب « من آمن واعتمد خلص » وبالاجمال فكأن الناحية الايجابية في الخدمة الاولى هى تنفيذ قول الرسول « توبوا وآمنوا » فالتوبة تبدأ من صلاة الابتداء وتنتهى فى جحد الشيطان ونبذ أعماله أما الايمان فيبدأ بعد الاعتراف بالمسيح وينتهى بتلاوة قانون الايمان •

أما الوجه السلبى فى هذه الخدمة فهو جحد الشيطان ونبذ اعماله •

محتويات الخدمة الاولى

وتحتوى على صلاة الابتداء وصلوات اخرى سرية وعلنية والمزمور ٢٩ للذكور و ٤٥ للاناث ، واناشيد متنوعة وحساى ورسالة (رو ٦:١-٨) وانجيل يوحنا (٣:٣-٧) ثم الرشم بدون مسحة اذ يرشم الكاهن المعتمد فى جبهته بصلبان ثلاثة بلا زيت قائلا : (ليختم فلان باسم الاب والابن والروح القدس) ويضع له اسما ويكون وجه المعتمد فى هذه الحالة متجها نحو الشرق • ثم تتلى الدعوات الثلاث حيث يرسم الكاهن علامة الصليب على المعتمد تسع مرات فى كل دعوة ثلاث مرات •

وهى تتضمن دعوة الكاهن الى الله لطرد الشيطان وجنوده أما الشماس فيتلو قوريليسون علنا وفى هذه الحالة يكون الكاهن متجها نحو الغرب والمعتمد نحو الشرق •

ثم الكفر بالشيطان ويجرى ثلاثا • وفى هذه الحالة يتجه المعتمد غربا ويمسك الاشبين بيده اليسرى يد المعتمد اليسرى ، ويتجه الكاهن شرقا ويكفر الاشبين بالشيطان بدلا من المعتمد (اذا كان المعتمد غير بالغ) ويجرى ذلك ثلاثا •

ثم الايمان بالمسيح اذ يلتفت المعتمد شرقا والكاهن غربا ويمسك الاشبين بيمناه بيد المعتمد اليمنى ويؤمن نيابة عنه بالمسيح وبابيه وبروحه القدوس ويجرى ذلك ثلاثا • ثم يلتفت الاشبين شرقا قائلا (آمنت بالمسيح) ثم يتجه غربا قائلا : (كفرت بالشيطان) ويفعل ذلك ثلاثا ثم يتلو قانون الايمان النيقاوى[١] فى حين ان الكاهن يتجه شرقا ويداه مبسوطتان تاليا صلاة الشكر

(١) قال الملفانان مار يعقوب الرهاوى ومار موسى ابن كيفا ان الصلاة الربية لايجب ان تتلى فى طقس العماد لانها صلاة الدالة التى بها ندعو يا ابا الاب وحيث ان المعتمد فى هذا الحين لم يحصل بعد على دالة تلك البنوة لذا فأن هذه الخدمة لم تحتو على هذه الصلاة •

وبها تنتهى الخدمة الاولى التي تجرى خارج المذبح • وفى اثنائها يسجل الكاهن فى سجل العماد اسم المعتمد واشبينه والكاهن المعمد وتاريخ العماد •

الخدمة الثانية

كما ان الخدمة الاولى تعطى معنى « توبوا وآمنوا » كذلك ايضا الخدمة الثانية تعطى معنى « وليعتمد كل منكم » وتختص بتقديس الماء وتتضمن مايلى:

١ ـ المسح بالزيت : بعد ان يتعرى قابل العماد من جميع ثيابه يغمس الكاهن ابهامه فى قنينة المشحة ويرشم فى جبين قابل العماد صلبانا ثلاثة بأسم الاب والابن والروح القدس • تاليا صلاة خاصة مشيرا الى ان كل شيء يكمل برشم الصليب الذى علق عليه الرب • ثم ينشد الشماس بعض الاناشيد مبينا فيها عمل المسحة المقدس واهميته فى العهد القديم حيث مسح به الكهنة والانبياء والملوك وهو فى العهد الجديد يمارس لمسح الخطاة وجعلهم بنين لله • وهذا المسح هو بمثابة فاتحة للعماد •

٢ ـ تقديس الماء : (أ) المزج : يجرى ذلك اذ يقف الكاهن أمام جرن المعمودية ووجهه نحو المشرق فيمسك اناء ماء سخن بيمناه واناء ماء بارد بيسراه بحيث تكون يمناه على يسراه ، بشكل صليب ثم يصبه فى الجرن مازجا اياه (١) وتاليا دعاء سريا يتضمن ابتهال الكاهن الى الله ليمزج فى هذا الوعاء قوة الروح القدس ليصبح بطنا روحيا، يلد فيه قابل العماد ميلادا روحيا • فى حين ان الشماس يتلو الكرازة مرارا بصوت عال (قوريليسون) • يارب ارحم • وهكذا يعمل كلما انصرف الكاهن الى تلاوة صلوات وادعية سرية • (ب) ثم ينشد الشماس نشيدا يدور حول عماد الرب من يد عبده يوحنا ويتغنى بمفعول سر العماد المقدس وسموه •

---

(١) وبحسب الطقس الغربى بعد سكب الماء فى الجرن يغطى الكاهن الجرن بمنديل أبيض ويضع صليبا بين شمعتين موقدتين ويرفع الغطاء قبل ما يبدأ بصلاة التقديس •

(ج) ثم يتلو الكاهن صلاة سرية منحنيا يطلب فيها من الله ليؤهله ان ينفخ في الماء ذات النفخة التى نفخها السيد المسيح بتلاميذه • (د) وهنا ينفخ الكاهن في وجه قابل العماد بشكل صليب (هـ) ثم يقول الكاهن بصوت عال صلاة اخرى ويداه مبسوطتان ، يشير بها بقوة الله الجبارة القادرة على كل شيء وبكرمه وفضله على البشر • (و) ثم ينفخ في الماء ثلاثا على مثال الصليب من الغرب للشرق ومن الجنوب للشمال • تاليا صلاة تتضمن ابتهالا الى الله ليرض رأس التنين الروحى الذى هو الشيطان ويبعد اشباحه عن هذا الماء بل كل الارواح الشريرة ، كى يصبح نقيا طاهرا • (ز) يتلو الكاهن صلاة جهرا مباركا الماء مشيرا الى مفاعيله وفى كل دعوة يتلوها يرسم الصليب على الماء ويجيب الشماس (آمين) ، بعد ان يكون قد استدعى الروح القدس على الماء ليحل فيه ويقدسه • (ح) يأخذ الكاهن قنينة الميرون المقدس ويزيحها فوق الماء المقدس ثلاثا على مثال صليب قائلا : آيتين من (مز ١١٤) ويسكب الميرون في الماء ثلاثا على مثال الصليب قائلا جهرا : «نسكب الميرون المقدس •• باسم الاب والابن والروح القدس» (ط) ينزل الكاهن المعتمد في جرن المعمودية وفي هذه الحالة يكون الكاهن متجها غربا والمعتمد شرقا ويمسك الكاهن المعتمد داخل الماء واضعا يمناه على رأسه ويأخذ بيساره من الماء من أمامه ومن ورائه ثم من يمينه وشماله ويصب على رأسه قائلا : «ليعتمد عبدالمسيح فلان باسم الاب والابن والروح القدس) حينئذ يخرج الكاهن المعتمد من الجرن ويأخذه الاشبين [١]

(١) قال الاسقف مار موسى أبن كيفا « التغطيس فى الجرن ثلاثا كان يفعله الكهنة فى قديم الزمان عند تعميدهم الشبان والرجال ، وكانت الاجران عصرئذ كبيرة ووسيعة • وبعد مدة لما رسخت عادة معمودية الاطفال وصغار السن استبدل الكهنة التغطيسات بالصب» •
اذا اقبلت الى العماد فتاة أو امرأة فليسكب الكاهن زيت المشحة ودهن الميرون فى الماء المقدس فى اناء كبير واسع ويسدل سترا بينه وبين المعتمدة ويرشم الكاهن بالميرون جبهتها فقط وبعد ما يضع يمناه على

(ى) ثم يأخذ الكاهن بيده اليسرى قنينة الميرون واضعا يمناه على رأس المعتمد ثم يغمس الكاهن ابهامه فى زيت الميرون ويرسم جبهة المعتمد على مثال الصليب ثلاثا قائلا : « الميرون المقدس الخ •• يختم فلان باسم الاب والابن والروح القدس » ثم يسكب الكاهن كمية من الميرون فى راحة يده ويدهن المعتمد بدءا من جبينه ثم اذنه اليمنى وذراعه وكتفه وجبينه الايمن باسره متخللا أصابع يده اليمنى ورجله اليمنى ثم يدهن جنبه الايسر وذراعه وكتفه واذنه متخللا اصابع يده اليسرى ورجله اليسرى ويعود الى جبينه ورأسه وعينيه ثم ظهره وبطنه وسائر اعضاء جسمه • (ك) ثم يلبس المعتمد ثيابا بيضا ويصعد باحتفال الى الهيكل[1] ومائدة الحياة تتقدمه الشموع وعطر ذكى الرائحة ويدخل قدس الاقداس ويقرب الكاهن من فيه القربان ويضفر له اكليلا وفى جميع هذه الامور تقال صلوات واناشيد تناسب المقام •

وهكذا تنتهى الخدمة الثانية وبانتهائها ينتهى طقس المعمودية[2] •

رأسها ويعمدها باسم الاب والابن والروح القدس تغطس المعتمدة فى الماء ثلاثا وهى مرتدية ثوبا ابيض رقيقا واسعا • وفى الازمنة القديمة كانت الشماسات يدهن النساء أما فى ايامنا ، فأذا امكن ان تشهد هذا السر امرأة قسيس أو راهبة للمساعدة كان ذلك فى غاية اللياقة • وهكذا الامر اذا أقبل شاب او رجل الى العماد فان الكاهن يرشمه فى جبهته ويدهنه بزيت المسحة حتى صدره ثم يسكب المسحة والميرون فى الماء فى طست كبير وسيع ويكون المعتمد مؤتزرا وبعدما يضع الكاهن يمناه على رأسه ويعمده باسم الاب والابن والروح القدس ويرشم جبهته ويمسح صدره بدهن الميرون يغطس المعتمد فى الماء المقدس ثلاثا • ومن المستحب جدا ان يكون لابسا ثوبا أبيض رقيقا وفضفاضا وبعد العماد يحفظ هذا الثوب فى البيعة مخصصا لهذا الغرض • والماء المقدس يسكب فى جرن المعمودية أو فى موضع طاهر كالحقل والبستان • (طقس العماد طبعة البطريرك افرام برصوم ص ١٠٢ـ١٠٤) •

(١) اما المعتمدة فتتزيح عند باب الهيكل فقط •

(٢) ان الماء المقدس بعد تقديسه ليكون مادة سر العماد لايؤذن للمؤمنين ان يستعملوه لغرض الشفاء او الرش فى بيوتهم للبركة كما يستعملون الماء المقدس فى عيد الدنح (هدايات ٢:٣)

الفصل الخامس عشر

تفسير طقس العمـاد[1]

(١) كتابة اسم المعتمد والغاية من ذلك : أ ـ احصاء المعتمد مع الذين نجوا من عبودية الشيطان والخطية • ب ـ صـيرورته ابنا لله بالنعمـة • ج تسجيله فى بيعة الابكار المكتوبة اسماؤهم فى السماء مع القديسين • د ـ حذرا من خدعة من يدعون انهم معتمدون وهم لم يعتمدوا وذلك عند اسـتجوابهم وفحص ضـميرهم •

أما كتابة اسم الاشبين فالغاية منها التأكد من وجود مرشد للمعتمـد •

(٢) الختم بالجبهة باسم الاب والابن والروح القدس بدون زيت هنا، يختم المعتمد لاول مرة بختم الصليب وذلك أ ـ لان الصلب يشير الى المـوت المسيح والذى يعتمد انما يعتمد لموته كقول الرسول بولس • ب ـ بواسـطة الصليب كشف سر الثالوث الاقدس الواحد فى الجوهر فى ثـلاثة اقانيـم • ج ـ بالصليب تكمل كل الاسرار المسيحية[2] •

أما ختمه ثلاث مرات فاشـارة الى اسماء الاقانيم الثـلاثة • واما ختمه بدون زيت فهو لتطهيره من الادران الخفية واعداده للختم بالمسحة المقدسة •

(٣) اتجاه المعتمد نحو الشرق والكاهن نحو الغرب تاليا ثلاث دعـوات واسماء فى كل دعوة ثلاثة صلبان • القصد من ذلك، ابعاد الارواح الشـريرة من المعتمد وتحريره من ربقة الشيطان •

---

(١) اخذاً عن موسى ابن كيفا وابن صليبى •

(٢) انّ الصلبان التى ترسم فى العماد تكمل بأسم الثالوث الاقدس تمـاما كما فى سر القربان المقدس • ثلاثا على المعتمد عند ختمه ، وثلاثا عنـد مسحه بالزيت ، وثلاثا عند مسحه بالميرون • فيكون عـددها تسعة • والصلبان التى ترسم على الماء عددها تسعة ايضا • ثلاثة عند استدعاء الروح القدس وثلاثة عند سكب الميرون على المـاء وثلاثة عند تقديس الماء • أما صلبان النفخ فلا تحصى فى عداد هذه • فيكون مجمـــوع الصلبان التى ترسم فى سر العماد ثمانية عشر صليبا كما هو الامـــر فى القربان المقدس •

(٤) اتجاه المعتمد نحو الغرب ووضع يده اليسرى بيد الاشبين اليسرى وجحده الشيطان ثلاثا • فالغرب هو الجهة المظلمة والتفات المعتمد نحو هذه الجهة وجحده الشيطان الذى هو الظلام بعينه ونبذ اعماله الشريرة ووضع يده اليسرى بيد الاشبين اليسرى كل ذلك لاعطاء الويل للشيطان •

(٥) اتجاه المعمتد نحو الشرق ووضع يده اليمنى بيد الاشبين اليمنى والاعتراف بالايمان بالمسيح ، يقصد منه ان الشرق هو الجهة التى ينبعث منها النور والتفات المعتمد نحوها هو اعتراف بالمسيح الذى هو النور بعينه كقوله « انا هو نور العالم » (يو ١٢:٨) وكقول النبى انه «شمس البر» (ملا ٤:٢) وبابيه وروحه القدوس الاله الواحد الحقيقى كما يشير الى قبول تعاليم المسيح الحقيقية النيرة ، والتعهد بممارسة اعمال البر • كذلك بما ان الفردوس هو وطننا الاصلى وكان فى الشرق(تك ٨:٢) فللدلالة على رغبة المعتمد فى الرجوع الى وطنه السماوى بالاعتراف بالمسيح المخلص • اما مسك الاشبين يد المعتمد اليمنى بيده اليمنى ، فدلالة على ان المعتمد يعترف ويتعهد بملء رضاه وبكل سرور بكل مايقوله الاشبين •

(٦) القصد من مسح المعتمد بالزيت المقدس ثلاثا هو أ ـ اشارة الى نزول المعتمد الى الحرب ضد الشيطان الذى قد جعل لمصارعة المعتمدين «ليست مصارعتنا مع لحم ودم»(اف ١٢:٦) وقد كانت العادة ان يدهن النازل الى المصارعة جسمه بالزيت كى يفلت من يدى عدوه ، لذلك يمسح المعتمد بالزيت كى لايستطيع الشيطان التغلب عليه • ب ـ اشارة الى أن المعتمد كان زيتونة برية بعيدا عن الله ، وبواسطة هذه المسحة بزيت الايمان بالآب والابن والروح القدس ، اصبح كشجرة مغروسة على مجارى المياه تعطى ثمرها فى حينه • وله أن يقول «أما أنا فمثل زيتونة خضراء فى بيت الله» (مز ٨:٥٢) [١]

---

(١) ذكر الملفانان موسى ابن كيفا وابن صليبى ان الكاهن بعد المسح حالا يقول العبارة التالية « صور مسيحك بالذين يعتمدون » اما يعقوب الرهاوى فلم يذكر هذه العبارة فى الطقس والغاية من تلاوتها اعلان ان

(٧) نزع ثياب المعتمد وحذائه ، أشارة الى أ ـ انه خلع الانسان العتيق وترك السيرة القديمة ب ـ انه نجا من اسر الثلاب نظير من يهرب من الأسر عاريا • أما نزع الحذاء الذى يدل على الحقارة ،فيعنى ارتفاعه وسموه بوساطه المعمودية •

(٨) نفخ الكاهن فى الماء : عندما ينفخ الكاهن فى الماء ويقول : ليرض رأس التنين الروحى ، ذلك ان الارواح الشريرة عندما تشعر بالنعمة التى تعطى بواسطة الماء ، تتجرأ أن تختفى فى الماء لتكمن للذين يعتمدون لذلك يحاربها الكاهن فى بدء كل شىء بنفخة على شكل صليب ليبيدها ويشير ايضا الى طرد السيد المسيح الروح النجس من ذلك الانسان • وكذلك تعطى النفخة معنى آخر وهو انها تشير الى نفخة الله فى ادم نسمة الحياة عندما جبله وحيث ان المعمودية بحد ذاتها هى جبلة جديدة • لذلك ينفخ الكاهن فى الماء لكى يمنحه قوة الحياة •

(٩) سكب قطرات الميرون فى الماء : يسكب الميرون أ ـ ليشير الى ان الله الكلمة اخلى نفسه ونزل من السماء واحتمل الالام والصلب والموت لكى نولد من جديد من المعمودية كما ان روح الرب كان يرف على وجه المياه فى بدء الخليقة ليمنحها قوة التوليد والنمو ، هكذا يرف الروح بعينه على الماء بسكب الميرون فيه ليمنحه قوة ليلد بنين روحيين للاب السماوى •

(١٠) نفخ الكاهن فى وجه المعتمد على مثال الصليب آمرا الروح النجس أن يخرج منه ليقدسه بواسطة الروح القدس الذى سيستقر فى الماء عندما يستدعيه الكاهن • واشارة الى نفخ الله تعالى فى نفس ادم نسمة الحياة عندما جبله • وهكذا ينفخ الكاهن فى وجه المعتمد لانه سيصبح خليقة جديدة •

(١١) نزول المعتمد الى الجرن وتغطيسه ثلاثا :ـ الجرن يمثل قبر

أسم السيد المسيح يشمل الثالوث الاقدس بكامله • فكأن الاب يمسح والابن يمسح والروح القدس هو المسحة فالمسيح كله يشمل ضمنا ثلاثة أمور الماسح ، الممسوح ، المسحة •

السيد المسيح ونزول المعتمد اليه يصور نزوله الى القبر ، وتغطيسه فى الماء ثلاثا يصور موته • وكما ان الميت المقبور يختفى فلا يرى هكذا المعتمد ايضا عندما يغطس • والمقصود بغطسات ثلاث فقط لااكثر ولااقل هو مكوث المسيح فى القبر ثلاثة ايام ، وقد أشار الرسول بولس الى ذلك بقوله «امتجهلون اننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته» (رو ٦:٣)

والغطسات الثلاث ضرورية جدا • اذ بها يكمل السر لدى تلاوة الصورة جاء فى قوانين الرسل « وانتم ايها الاساقفة عمدوا (غطسوا) ثلاثا باسم الاب والابن والروح القدس » (الهدايات ١:٢)

اما اذا كان المعتمد طفلا فحذراً من الاختناق ، يسكب من الماء على رأسه ثلاثا وهو فى وسط الجرن والسكبات هى بمثابة الغطسات الثلاث •

وهنا لابد لنا من ان نقول كلمة موجزة فى التغطيس :

يجب أن يتم تغطيس المعتمد فى الماء ثلاثا نظرا الى الاسباب التالية :

١ ـ من الممارسة ، وذلك ان السيد المسيح نفسه اقتبل المعمودية بالتغطيس حيث قيل عنه «فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء» • (مت ١٦:٣) والصعود من الماء يدل بداهة على الانغماس فيه • وهكذا كان يوحنا يعمد الآتين اليه (مر ٥:١) وقال يوحنا عن اماكن المعمودية التى اختارها يوحنا المعمدان واوضح تعليل هذا الاختيار بقوله : «وكان يوحنا ايضا يعمد فى عين نون بقرب ساليم لانه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون» (يو ٢٣:٣) • قال الرب للرسل «فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس» (مت ١٩:٢٨) وقد فهم الرسل وخلفاؤهم من هذا وجوب التعميد بالتغطيس لذلك نرى أيضا الخصى قبل المعمودية من يد فيلبس بالتغطيس بدليل نزولهما من المركبة عندما اقبلا على بركة فيها من الماء ما يغطى جسمه • وعليه قال الرسل فى قانون ٢٥ « كل اسقف او قس لايتم ثلاث غطسات فى السر الواحد بل غطسة واحدة تعطى لموت الرب فليقطع » الخ••

وهكذا سارت الكنيسة المسيحية منذ فجرها •

٢ – من التشبيهات الرمزية التى وردت عن المعمودية •فقد اشار الرسول بولس الى حادثة عبور الاسرائيليين فى البحر الاحمر •

٣ – من مدلولها ومعناها ، فهى تشير الى الموت والدفن والقيامة (رو ٦ :٣–٥) لذلك لايصح نسبة ذلك الا بالتغطيس •

٤ – من مدلول لفظة «المعمودية التى هى فى الاصل اليونانى»(فابتزما) وهى صيغة مبالغة من (فابتين) اى الصبغ وصبغ الشىء لايتم الا بوضعه فى السائل وهذا لايكون الا بالتغطيس •

(١٢) اتجاه المعتمد شرقا والكاهن غربا ، ويمين الكاهن على رأس المعتمد ، يقصد من وضع يمين الكاهن على رأس المعتمد أ – كما جبل الله بيده آدم فى الجبلة الاولى ، هكذا يفعل الكاهن فى الجبلة الثانية • ب – تشبها بيوحنا المعمدان الذى وضع يده على رأس المسيح عند عماده • ج – لكى يشير به كما باصبع الى انه صار ابنا حقيقيا للآب بالنعمة • وقد صارت له دالة منذ الان ان يدعو الله اباه كما فى الصلاة الربانية اما قول الكاهن «يعمد فلان» ولا يقول «انا اعمدك» لان الله هو الذى بنعمته اختار الكاهن لخدمة السر • واما اتجاه الكاهن نحو الغرب والمعتمد نحو الشرق ، فذلك نظير السيد المسيح الذى صلب وكان وجهه متجها نحو الغرب اذ صلب فى شرقى اورشليم •• ولان الكاهن انما يمثل المسيح •اما المعتمد فيتجه نحو الشرق اى الى الفردوس وطنه الاصلى الذى طرد منه بسبب تعديه الوصية[(١)]

(١٣) خروج المعتمد من الجرن ورشمه بالميرون : يشير الى قيامة

(١) يجب ان يوضع جرن المعمودية مفصولا عن الجدار الشرقى كى يتسنى للكاهن المعمد ان يولى وجهه قبال الغرب • وليعلم بعض الكهنة الذين يتطلعون الى الشمال عند العماد ان ذلك خطأ فظيع • ان التقليد الصحيح هو كما قلنا أن يقف الكاهن فى الشرق ووجهه نحو الغرب ووجه المعتمد نحو الشرق (يوحنا البطريرك : الهدايا ٢ :٣) •

السيد المسيح من بين الامـــوات فى اليوم الثالث كقول القديس بولس (رو ٦:٣-١٦) [٢] ٠

اما الغاية من الرشم بالميرون أ - ليعطى المعتمد رائحة طيبة ليرضى الله كقول الرسول بولس «لاننا رائحة المسيح الذكية» (٢كو ٢:١٥) ٠

ب - ليكمل المعتمد ويقبل الروح القدس ج - ليترك فيه وسما يتميز به المعتمد عن غير المسيحيين د - مسح الحواس كلها لتصان من اندساس الخطية اليها ٠ هـ - يدهن بالميرون كل عضو من اعضاء المعتمد على هيئة صليب لغاية خصوصية لها دلالة روحية ٠ فعلى الجبهة لنوال الحرية المسيحية من عبودية الخطية ، لكى يرهب الشياطين فلا تتجاسر من الدنو اليه ، كما حدث فى مصر عند قتل ابكار المصريين ، اذ لم يدن الموت من البيت الذى كان عليه علامة دم الخروف ٠ وعلى القلب ، ليكون مستودعا للخير ، وعلى الشرايين لتكون سلاح البر كما قال الرسول بولس (٢كو ٦:٧) وعلى العينين لتتمتعا بمشاهدة انوار الايمان الالهية ، وبالاطلاع على الطريق المؤدى الى السعادة السماوية وعلى المنخرين لتستنشقا رائحة عذوبة الملذات الروحية ٠ وعلى الاذنين لتتفتحا لسماع حث الالهامات الالهية ٠ وعلى الصدر ليرجع القلب بالميل الى الخير المأمور بعمله من شريعة الانجيل المقدس ٠ وعلى الكتفين لتستعدا لحمل الصليب واتباع يسوع فى طريق التجربة ٠ وعلى الفم ليعترف بالمسيح دون خوف من سطوة الكفر ٠ وعلى اليدين لتحسنا افعال الخير والبر وتكونا بمعزل عن كل نجاسة وعلى الرجلين لتسلكا طريق الاستقامة والعدل ٠

والمسح بالميرون شرط ضرورى لاكمال السر ٠ قال يوحنا التلى «بدون

---

(٢) قال مار يعقوب الرهاوى «يصرف ماء المعمودية فى حفرة خاصة ولا يجوز اعطاؤه لاحد أو استعماله للرش ٠ وهذا الماء المقدس لا يحل او يفقد مفعوله ولئن غسل الكاهن فيه يده بسبب المسحة وبنفس الوقت لا يحل أيضا اذا اضيف اليه ماء أو أخذ منه ماء قديما كان يعمد به ، ويؤخذ منه كمية ويحفظ كخميرة لاوقات خطر الموت» (هدايات ٢:٣) ٠

الميرون لاتتم المعمودية»(هدايات ٣:٢)وأيد ذلك البطريرك قرياقس(هدايات ٣:٢) ٠

وعادة المسح بالميرون بعد المعمودية فورا مستقاة من الكتاب المقدس ، والتقليد الرسولى ، وتعاليم آباء الكنيسة ٠ فقـــد ورد فى (اع ١٩ :١-٧) تعميد بولس للاثنى عشر تلميذا فى افسس ، ومنحهم الروح القدس على اثر عمادهم بوضع يديه ومنه يتضح ان الميرون يجب ان يمنح بعد العماد مباشرة «ولما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه » (مت٣:١٦) فالميرون عبارة عن ذلك الروح كما هو مسلم به او واسطة لانحداره على المعتمدين المستنيرين ٠

اما ما قيل عن فيلبس انه عمد الخصى ولم يدهنه بالميرون فذلك ليس مما يدل على تأجيل منح الميرون ، بل يدل على الفرق الهائل مابين درجة فيلبس الشماس التى ليس لها سلطان ان تمنح الروح القدس وبين درجة بطـــرس ويوحنا الرسولين التى لها ذلك كما ايد يوحنا الذهبى الفم ٠ ومثل هذا يعتبر عملا شاذا لايبنى عليه حكم ولاتؤخذ منه قاعدة عمومية ٠ فلو كان الامر كذلك لاضطررنا ان نعتقد بان الميرون يمنح قبل المعمودية ايضا بدليل ان كرنيليوس الوثنى لما امن بالمسيح على يد بطرس الرسول حل عليه الروح القدس وعلى الذين معه قبل عمادهم ٠ ولكن هذا امر شاذ لايعتبر قاعدة ٠

قال القديس ثاوفيلس بطريرك انطاكية « ان اسم المسيح يدل على الممسوح وهو اسم لائق ومستحق لوقار عظيم جدا ولهذا السبب ندعى مســـيحيين لاننا نمسح بزيت الهى (من رسالته الى اوطوليكس) ٠ فمن كلام هذا القديس ينتج أنه لايليق ان يدعى المعتمد مسيحيا قبل دهنه بالميرون ٠فالطفل غير الممسوح ولئن اعتمد فليس مسيحيا ولايجوز ان يطلق عليه هذا الاسم الفاخر ٠ وقال القديس مار افرام السريانى « ان سفينة نوح كانت تبشـــر بمجىء المزمع ان يسوس كنيسته فى المياه وان يقود اعضاءها الى الحرية باسم الثالوث الاقدس٠

واما الحمامة فكانت ترمز الى الروح القدس المزمع ان يضع مسحة هى سـر الخلاص » (ميمر ضد الباحثين)

(١٤) لبس المعتمد الثوب الابيض : هو اشارة الى انه كان فى ظلمات الجهل فاضحى مستضيئا بنور معرفة الله التى قبلها من المعمودية ، وانه خلع الانسان العتيق ولبس الانسان الجديد ويشار بذلك ايضا الى توشحه بعد القيامة بحلة الخلود التى كان متشحا بها ادم قبل تجاوزه الوصية حيث سيكون كالكواكب النيرة فى ملكوت السماء مع الابرار (دانيال ١٢:٣) .

(١٥) وضع الاكليل على رأس المعتمد واخذه الى الهيكل ومائدة الحياة فى احتفال تتقدمه الشموع الخ ... رمز الى الحرية التى نالها بالمسيح اذ اعتقه العماد من عبودية الشيطان والخطية .

والشموع ، اشارة الى استنارته فى معرفة الله والاعمال الصالحة ودعوته الى النور السماوى ، والعطر الذكي الرائحة ، اشارة الى رائحة الايمان بالثالوث الاقدس والسيرة النقية التى سيقدمها . واجمالا يعنى الحفل كله فرح الملائكة بهذا المعتمد المدعو الى ملكوت الله .

(١٦) دخول المعتمد الى قدس الاقداس وتناوله الاسرار المحيية . الدخول الى قدس الاقداس ، اشارة الى اقترابه من شجرة الحياة التى نهى عنها ادم اما التناول فالغاية منه اتحاد المعتمد بكلمة الله وصيرورته عضوا فيه وأكتماله بالموهبة ، وذبح العجل المعلوف لانه كان ميتا فعاش ، وكما يحتاج الجسديون الى القوت الجسدى ، هكذا ايضا يحتاج الروحيون الى القوت الروحى . وأخيرا انه رمز الى النعيم الابدى المعد للقديسين فى ملكوت السماء الذى يمثله قدس الاقداس [1] .

---

(١) يجب الا يغتسل المعتمد الا بعد سبعة ايام من اقتباله سر المعمودية ، وذلك اشارة الى القوة الخفية التى اقتبلها من المعمودية والتى لاتغسل ولا تمحى مدة غربته الزمنية .

الباب الثالث

الفصل الاول

تعريف سر الميرون

الميرون فى السريانية (مورو) واللفظة متأتية من أسم المر الذى به يحنط الموتى ، وبهذا المعنى يشير الى الموت ، وبالتالى الى موت المسيح من أجلنا • وفى اللغة اليونانية تطلق اللفظة (ميرون) على كل أنواع العطور والطيوب المركبة من عقاقير كثيرة ذات روائح طيبة •

والميرون فى الاصطلاح الكنسى سر به يقبل المؤمن المعتمد قوة الروح القدس ومواهبه للثبات فى الايمان وللتقوية والنمو فى الحياة الروحية •

ويدعى أيضا سر التثبيت لان الكاهن لدى مسحه المعتمد عند اقتباله سر العماد ، يتلو الالفاظ التالية : الميرون المقدس رائحة المسيح الذكية وختم الايمان الحقيقى وكمال موهبة الروح القدس ، ليختم عبدالمسيح فلان بختم الميرون المقدس الالهى ، باسم الاب والابن والروح القدس للحياة الابدية • وهكذا يتدرع المؤمن بقوة جديدة ويثبت فى الايمان ليكون جنديا للمسيح فيحارب ابليس ويصارع جنوده •

الفصل الثاني

فى تأسيس سر الميرون المقدس

قال أبن صليبى : أننا نجد فى العهد القديم رمزا يشير الى سر الميرون المقدس ، وذلك عندما صعد موسى الى الجبل وتعلم كل اسرار الكنيسة ، اذ أمره الرب أن يركب دهنا مقدسا للمسحة «وانت تأخذ لك افخر الاطياب مرا قاطرا خمسمائة شاقل وقرفة عطرة نصف ذلك مئتين وخمسين

وقصبة الذريرة الخ » (خر ٣٠:٢٣-٢٧) وبعد ان امره ان يمسح به بعض آنية المسكن وهارون وبنيه قال له « يكون هذا لى دهنا مقدسا للمسحة فى اجيالكم على جسد انسان لايسكب وعلى مقاديره لاتصنعوا مثله مقدس هو ويكون مقدسا عندكم كل من ركب مثله ومن جعل منه على اجنبى يقطع من شعبه» (خر ٣٠:٣١ - ٣٣)

اما فى العهد الجديد فأن السيد المسيح هو الذى رسم الميرون المقدس فى الكنيسة ، وذلك عندما نزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية شبه حمامة وكان صوت من السماء قائلا «انت ابنى الحبيب الذى به سررت» (مر ١:١١) كما وعد رسله بارسال الروح القدس بقوله «وأنا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا اخر ليمكث معكم الى الابد روح الحق الذى لايستطيع العالم ان يقبله لانه لايراه ولا يعرفه» (يو ١٤:١٦) «لان يوحنا عمد بالماء واما انتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الايام بكثير» (أع ١:٥) ومن ثم اعتبرت مسحة الميرون المقدسة الحاملة بمادتها مثال نعم الروح القدس تكملة لسر العماد الطاهر اى الميلاد الثانى الروحى لان المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح (يو ٣:٦)

الفصل الثالث

علاقة سر الميرون بسر المعمودية

اعتادت الكنيسة منذ فجرها ان تمنح المعتمد سر الميرون المقدس بعد عماده مباشرة كما سبق شرحه فى سر المعمودية وذلك لارتباطه الوثيق بذلك السر لاجل اكماله واتمامه بدليل قول الكاهن «الميرون المقدس رائحة المسيح الذكية وختم الايمان الحقيقى وكمال موهبة الروح القدس » قال القديس اقليميس الرومانى «يجب على المسيحيين جميعا الا يتأخروا عن اقتبال

سر الولادة الجديدة ثم يوسمون اى يأخذون نعمة الروح القدس ذات المواهب السبع وبدون ذلك لايستطيع المعتمد ان يكون مسيحيا ».

والميرون ولئن كان مرتبطا بالمعمودية هذا الارتباط الوثيق ، الا انه سر قائم بذاته ومستقل عن المعمودية . ذلك ان كلا منهما يمنح بصلاة وبطقس خاص ، منفصلا عن الاخر كما يظهر من ترتيب طقسيهما .وقد ورد فى سفر الاعمال حادثتان صريحتان تؤيدان استقلال هذين السرين بعضهما عن بعض استقلالا تاما . فقد جاء فى الحادثة الاولى : لما سمع الرسل الذين فى أورشليم ان السامرة قد قبلت كلمة الله ارسلوا اليهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صليا لاجلهم لكى يقبلوا الروح القدس لانه لم يكن قد حل بعد على احد منهم . غير انهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع وحينئذ وضعا الايدى عليهم فقبلوا الروح القدس (أع ٨:١٧) وجاء فى الحادثة الثانية : فلما سمعوا (المؤمنون) اعتمدوا باسم الرب يسوع ، ولما وضع بولس يديه عليهم الخ (اع ١٩:٦) . فمن هاتين الحادثتين يتضح جليا ان سر الميرون الذى كان يمنح فى بدء المسيحية بوضع اليد هوسر مستقل عن سر المعمودية استقلالا تاما . اضف الى ذلك اختلاف النعمة الناتجة عن كل من السرين ، ونوعية المادة المحسوسة التى تشير اليها .

الفصل الرابع

شروط اتمام سر الميرون

المادة : أن مادة سر الميرون هى بالاصل وضع اليد الذى تشير الى الروح القدس . وقد سمى قديما بسر وضع الايدى كما يظهر من الحادثتين الماو ذكرهما فى الفصل السابق . وقد مارسه الرسل فى العصر الرسولى كما يظهر من سفر الاعمال ايضا . غير انه لما ازداد عدد المؤمنين وامتدت المسيحية فى سائر انحاء العالم واصبح متعذرا على الرسل

وخلفائهم أن يطوفوا فى كل مكان لكى يضعوا ايديهم على المعتمدين ، لهذا رأى الرسل بارشاد الروح القدس ، ان يستبدلوا وضع الايدى بالميرون المقدس الذى يسميه الكتاب (بالمسحة) « وأما انتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شىء » « واما انتم فالمسحة التى اخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم الى ان يعلمكم احد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شىء وهى حق وليست كذبا كما علمتكم تثبتون فيه » (١يو ٢:٢٠-٢٧) .

« ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضا واعطى عربون الروح فى قلوبنا » (٢كو ١:٢١و٢٢) وقد أشار اليها الرسول بولس بقوله : «ولاتحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء (اف ٤:٣٠) . اما استبدال وضع الايدى بالمسحة فلم تعمد اليه الكنيسه جزافا ، بل بارشاد الروح القدس ، واقتباسا عن العهد القديم حيث كان يمنح فيه الروح القدس لملوك وكهنة بهذه العلامة ذاتها . وقد قال الله لموسى « وانت خذ لك » (خر ٣٠:٢٣) . وقد اشار اليه المرتل الالهى (مز ١٣٣:٢) بقوله « مثل الدهن الطيب على الرأس النازل على اللحية » .

غير ان مسحة العهد الجديد هى اكثر سموا وارفع شأنا من مسحة العهد القديم التى كانت رمزا الى هذه المسحة بالذات . وللملفان السريانى الشهير القديس مار يعقوب الرهاوى ، مقابلة طريفة مابين المسحتين يبين فيها سمو المسحة الجديدة عن القديمة ، ندرجها هنا بالاختصار :

١ - العهد القديم اعلن لنا عن زيت يعقوب رئيس الاباء الذى صبه على الحجر واقامه نصبة للرب ودعاه بيت الله . أما هذا (العهد الجديد) فقد ارانا علنا هذا الدهن المقدس وهو يمسح عوض الحجر الواحد نصبات ناطقة عديدة ، وعوض بيت ايل يكمل الكنائس بيوتا لله ، وعوض رئيس الاباء الوحيد يقدسه فى كل مكان رؤساء الكهنة واباء قديسون .

٢ ـ اوحى الينا العهد القديم ، ان بدهن المسحة المركب ، قد مسح المسكن وكيل آنيته على يد موسى العظيم واول الانبياء . أما العهد الجديد فانه يخبر عن هذا الدهن المقدس جهرا بانه يقدس الكنائس عوضا عن المسكن والمذبح عوضا عن المائدة وهو يقدس بيد جميع الرسل بدلا من موسى .

٣ ـ هناك كان قرن واحد يمسح الانبياء ويرسم الكهنة ويكرس الملوك ، أما هنا فلنا مسحة من القدوس تكملنا جميعا كهنة ورؤساء (تلامذة الرسل) كى نقف امام الرب الاله شعبا مقدسا وجمعا مخلصا وكهنوتا ملوكيا وامة مختارة (ابط ٢:٩) ذكية الرائحة مزينة بحلل غير مرئية .

٤ ـ هناك قيل لموسى كل من ركب مثله يقطع من شعبه ، أما هنا فبالعكس كل نفس لاتدهن به تهلك .

٥ ـ ذلك وهب الارملة لمقاومة الجوع بكوار الدقيق وكوز الزيت الذى افاضه الرب على يد ايليا النبى (امل ١٧:١٦) اما هذا فانه يؤهل كل المراتب فى الكنيسة بالمسحة المعطاة بيد رب ايليا ، لمقاومة الجوع الروحى الى استماع كلام الرب ، لا الى الخبز والماء .

٦ ـ هناك لما رأت العروس العريس سرا ، وتلقت معرفته باشعة ضئيلة ، مثلته بدهن طيب قائلة « اسمك دهن مهراق لذلك احبتك العذارى » (نش ١:٣) أما هنا فبدالة وبكل وضوح تعاين الكنيسة كلمة الله الذى تأنس وخطبها لذاته خطبة مقدسة روحية .

تركيب مادة الميرون وكيفية عمله : يركب الميرون من عنصرين رئيسين هما زيت الزيتون النقى ، والبلسم المعطر . يؤخذ زيت الزيتون النقى المطبوخ بطريقة خاصة حتى يصبح كالماء خاليا من رائحة الزيت ويؤخذ معه بعض العقاقير خمسين مثقالا من قمنين وناردين ستين مثقالا وعشرين مثقالا من كل من قرنفل ، وجوز الطيب ، وزعفران ، وزنجلفار ، وفلفل . تسحق وتدق وتنخل

وتخلط باربعمائة مثقال زيت مغسول نقى ويوضع المزيج فى اناء زجاجى كبير، ويوضع على النار قدر نحاسى كبير مملوء ماء ، ويجعل فى فوهة الاناء سفود حديدى ويعلق فى الماء دون ان يصل الى اسفل القدر ، وتسجر النار ويغلى الماء ثلاث ساعات • ثم يضاف الى الاناء ميعة طرية ستين مثقالا ، ويطبخ ساعة واحدة • ثم تطفأ النار وعندما يبرد الماء يرفع الاناء وفى يوم التقديس يخلط معه العنصر الثانى أى البلسم المعطر[1] •

قال ابن صليبى نقلا عن يوسيفوس المؤرخ « كانت اريحا احدى المدن العبرانية خصبة بالغرسات المتنوعة ولا سيما النخل وفيها ايضا غرسة البلسم وكانت تقطع اصولها بحجارة حادة ويجمع ما ينشر من تلك الاصول بسبب طيب رائحتها وحرارتها ولذتها » وقال ابيفانوس اسقف قبرص فى شرحه الآية (نش ١:١٤) « عين جدى » انها مكان فى اليهودية ينبت فيه البلسم • وعندما يقطع هذا الخشب يعطى صمغ الميرون • وان تركيب الميرون من هاتين المادتين ، الزيت والبلسم له فى عرف آباء الكنيسة معنيان : لاهوتى وروحى ، فالمعنى اللاهوتى هو انه يشير الى السيد المسيح بدليل تركيبه • أى الى اتحاد الكلمة بالجسد • فالبلسم يشير الى اللاهوت ، والزيت الى الناسوت • وكما ان الميرون له رائحة طيبة بطبيعته ، هكذا السيد المسيح له بطبعه القداسة وطيب الرائحة •

اما المعنى الروحى للميرون فهو انه يشير الى غزارة النعمة التى تفيض بواسطة الروح القدس كما يشير الى ان المؤمنين بعد ان ينالوا سر التثبيت تفوح منهم رائحة الفضائل العطرة حتى يستطيعوا ان يقولوا مع المسيح « لاننا رائحة المسيح الذكية لله فى الذين يخلصون وفى الذين يهلكون » (٢ كو ٢:١٥) •

---

(١) (الهدايات ٣:٣)

الفصل الخامس

صورة سر الميرون وخادمه

ان صورة السر هى : « الميرون المقدس ، رائحة المسيح الذكية ، وختم الايمان الحقيقى ، وكمال موهبة الروح القدس ، ويختم عبدالمسيح فلان بختم الميرون المقدس الالهى باسم الاب والابن والروح القدس للحياة الابدية» ويلاحظ فى هذه الصورة ثلاثة أمور أ ـ القدرة الالهية التى تؤثر فى السر بكلمة رئيسية والتى تتجلى فى عبارة « باسم الاب والابن والروح القدس » ب ـ قوة القلب والروح التى تعطى للمؤمنين بواسطة المسحة المقدسة من أجل خلاصهم كما يبدو من عبارة « الميرون المقدس رائحة المسيح الذكية وختم الايمان الحقيقى » ج ـ الوسم الذى يوسم به للنزول الى الجهاد الروحى ويتجلى فى عبارة « يختم عبدالمسيح فلان » •

اما خادم السر فهو كل كاهن شرعى • واما تقديسه فمختص بالاساقفة وحدهم كما يتضح من القانون السادس لمجمع قرطاجنة سنة ٣١٨م « لا يصير عمل المسحة من القسوس » واما الحق فى مسح المعتمد فقد اعطى للاساقفة لانهم خلفاء الرسل وقد اجروا ذلك بدون واسطة كما يتضح ذلك من مطالعة سفر الاعمال (٨:١٣-١٧) كما منح للقسس حين شرطونيتهم من الاساقفة ان يفعلوا ذلك ايضا • وهذه حقيقة كانت متبعة فى الكنيسة القديمة كما ورد فى اوامر الرسل [(١)] مانصه «ايها الاسقف أو القس قد رتبنا سابقا والان ايضا نقول • ينبغى أن تدهن اولا بزيت ثم تعمد بماء واخيرا تختم بالميرون» •

(١) أوامر الرسل كتاب ٧ فصل ٢٢ •

٥

الفصل السادس

مفاعيل سر الميرون

يمنح هذا السر نعمة خاصة تتلخص فى ما يلى :

١ - يختم الانسان بختم موهبة الروح القدس ، ويترك فيه وسما لا يمحى . وتأثير مسحة الميرون فى النفس عظيم اذ تهب انارة العقل كما قال القديس يوحنا الرسول «اما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم الى ان يعلمكم احد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهى حق وليست كذبا كما علمتكم تثبتون فيه » ((١ يو ٢:٢٧)

وقال القديس مار ايوانيس الدارى « ان مفعول الميرون كمفعول القربان تماما ، التكميل والاتمام فبواسطة الميرون تمنح للعقل البشرى المعرفة الروحية والحكمة الكاملة ، اما فى القربان فتكمل تلك المعرفة» .

٢ - يثبت الانسان فى الايمان بالله ، ويقويه فى الحياة الروحية ويسدد خطاه للمسير فى طريق الكمال المسيحى حتى يبلغ الى ملء قامة المسيح كقول الرسول بولس . ويحمله على الاعتراف بالدين المسيحى جهرا وبجرأة وشجاعة . من هنا وضع له اسم التثبيت ، نظرا الى هذه المفاعيل . لان كما قال الرسول « ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا ايضا واعطى عربون الروح فى قلوبنا » (٢ كو ١:٢١ و٢٢) .

ومما يدل على بيان مفعول السر ما حدث للرسل القديسين فانهم قبل آلام المسيح وحتى فى ابان الآلام ، كانوا ضعفاء وجبناء ، فلما قبض على السيد المسيح تركوه وهربوا وان سمعان بطرس الذى اظهر شجاعة واباء ، خاف وارتعدت فرائصه من صوت جارية حقيرة فانكر ثلاثا انه

تلميذ للمسيح • وعند دفن المسيح اختفى جميعهم فى البيت خوفا من اليهود • بيد انهم عندما امتلأوا جميعا من الروح القدس فى عيد العنصرة (اع ٢: ١٤ و١٥) ، طفقوا يحملون اسم المسيح الى كل المسكونة بشجاعة نادرة ، امام ولاة وملوك ، وحسبوا احتمال الآلام فى سبيل المسيح سعادة متناهية • (اع ٥: ٤١) •

٣ - يقدس الميرون الكنائس والمذابح والطبليات (موائد التقديس) بموجب طقس خاص •

الفصل السابع

ضرورة الميرون وعدم اعادته ورتبته بين الاسرار

ان سر الميرون ضرورى للخلاص وبدونه تكون المعمودية ناقصة وغير قانونية كما اسلفنا • وان لكل من سرى المعمودية والميرون مفعولا خاصا ونعمة خاصة • فمفعول المعمودية هو الغسل من الخطايا والولادة الجديدة أما الميرون فهو نوال ختم الروح القدس ، كما يظهر من عماد الرب يسوع المسيح الذى حلّ عليه الروح القدس على شبه حمامة فى نهر الاردن • وكما يظهر من عماد اهل السامرة ، الذين عندما سمع الرسل القديسون فى اورشليم انهم قبلوا الكلمة واعتمدوا من فيلبس الشماس ولكنهم لم يقبلوا الروح القدس ، ارسلوا اليهم بطرس ويوحنا ، وهذان لما نزلا وصليا من اجلهم لكى ينالوا الروح القدس وضعا عليهم ايديهما فنالوا الروح القدس (اع ٨: ١٧) • وان السيد المسيح لم يكتف بقوله « ان لم يولد احد من الماء » بل زاد « والروح » فلا يقدر ان يدخل ملكوت الله » (يو ٣: ٥) •

وسر الميرون هو من الاسرار التى يقبلها المؤمن مرة واحدة فى حياته ولا يعاد ابدا ، كسرّى المعمودية والكهنوت •

اما رتبته بين الاسرار فان آباء الكنيسة السريانية يضعونه بمنزلة القربان المقدس سواء بسواء نظرا لمفعولهما المتشابه وغايتهما الواحدة وهى يسوع المسيح ومن تشابه خدمة تقديسهما بصورة اجمالية ولكن اجيز للكهنة ان يقوموا بخدمة سر القربان بداعى الضرورة بعد ان كان قديما محصورا برئيس الكهنة وحده ، اما تقديس الميرون فلا يزال كما كان قديما محصورا برئيس الاساقفة كما سيأتى شرحه •

الفصل الثامن

تقديس الميرون

يخبرنا التقليد الكنسى ان الرب يسوع اودع سر تقديس الميرون تلاميذه الاطهار فى العلية السرية ، ضمن الاسرار التى اودعهم اياها • وذلك ان السيد المسيح لم يرسم مواد الاسرار بشكل عادى بسيط بل وضع فيها قوة القداسة • لذلك جعل الماء والروح مادة للمعمودية حيث يقول (يو٣:٥) «ان لم يولد احد من الماء والروح فلا يقدر ان يدخل ملكوت الله » ، وعند عماده أكسبه القوة المقدسة • قال احد العلماء : ان ماء المعمودية ماكانت له القدرة على تطهير خطايا المؤمنين لولا انه تقدس بمس جسد سيدنا • وحيث ان المسيح لم يقدس مادة التثبيت عن طريق الاستعمال (اللمس) كما حدث فى المعمودية ، لذلك فمن الضرورى ان يقدس قبل استعماله بصلوات خاصة • وقد تسلمت الكنيسة ذلك من الرسل الذين حفظوا ما كان من الحنوط على جسد ربنا يسوع المسيح حين دفنه مع الطيوب التى احضرتها النسوة (يو ١٩:٣٩) ثم اذابوه فى زيت الزيتون وقدسوه فى العلية وعملوه دهنا مقدسا خاتما للمعمودية ووزعوه فى جميع انحاء العالم • وفى اثناء تقديس الميرون فى كل مرة تضاف خميرة من الميرون القديم الى الميرون المقدس حديثا•

ويجرى تقديسه عادة مرة واحدة فى السنة لان السيد المسيح صلب

ومات وقبر وقام مرة واحدة وايضا ان المعمودية تجرى مرة واحدة فى حياتنا ،أما عن زمن تقديسه فقد قال مار يعقوب الرهاوى : لاقانون يمنع من تقديس الميرون كلما دعت الحاجة ، ويجرى تقديسه على الاغلب يوم خميس الاسرار وذلك : ١ ـ لكى يكون قريبا من آلام المخلص وموته . ٢ ـ ليكون جاهزا فى عيد القيامة اذ فيه كان يعتمد المؤمنون بعد انقطاعهم عن العماد فى فترة الصيام الاربعينى[١] . ٣ ـ لان يوم الخميس هو بدء وأساس الاسرار الالهية المسلّمة الى الرسل ، وقد سلّمهم هذا السر وبقية الاسرار سراً .

وأما عن مكان التقديس فقد قال مار يوحنا البطريرك الانطاكى (لايجوز لرئيس الكهنة ان يقدّس الميرون فى القرى التى لم يعتد ان يقدس فيها ، بل فى المدن وفى الاماكن المخصصة لذلك منذ القديم الا فى اوقات الضرورة) .

وحق تقديس الميرون محصور الان فى البطريرك والجاثليق ، وسارت الكنيسة على ذلك بناء على أمر الله لموسى بأن يعمل دهن المسحة ويقدسه بنفسه (خر ٣٠:٢٥) كما انه فوض اليه وحده حق مسح هارون اخيه وبنيه ومسح المسكن وكل ما فيه (خر ٤٠:٩ـ١٣) وكذلك الانبياء الذين اتوا بعده ، خُصَّ بهم هذا العمل دون الكهنة .

وفى تكثير الميرون قال مار يعقوب الرهاوى انه يحق لرئيس الكهنة وحده ان يزيده بزيت الصلاة ولا يجوز للكهنة ان ينقلوه من اناء الى اناء ولا ان يعطوه بعضهم لبعض . فالمحتاج منهم يأخذه من الاسقف مباشرة وان كان بعيدا ، يرسل الاناء من كنيسة الى اخرى[٢] .

ولا يجوز استعمال الميرون الا فى العماد والتقديس قال مار جورجى البطريرك الانطاكى : (ليحرم الكهنة الذين يمنحون الميرون للمرضى)[٢] .

---

(١) (هدايات ٣:١)
(٢) (هدايات ٣:٢)

ان آنية الميرون ، سواء اكانت من الذهب ام الفضه ، اذا نكسرت يجب ان تذاب ، وان دعت الحاجة يضاف اليها ، وتعاد انية للميرون ثانية وان كانت من الزجاج تطمر فى الارض ، وان فسدت رائحتها تغسل بماء نقى فى جرن المعمودية[1] •

الفصل التاسع

طقس تقديس الميرون

يحتوى طقس تقديس الميرون على خدمتين : الخدمة الاولى : وتشير الى الخاطئة التى ابتاعت الطيوب وأتت الى المسيح وسكبتها على رأسه (مت ٢٦:٧)• وكيفيتها :ــ فى الساعة الثالثة من خميس الاسرار ، تنظم ثلاث طاولات للمرتلين الواحدة فى المذبح والاثنتان الاخــريان فى الخورس ، ويرتدى البطريرك حلته البيضاء ويجلس على عرش مرتفع فى شرقى المذبح وتبــدأ الخدمة بترتيلة (القانون) وعندما يتلو احد الاساقفة الحوساى ، يطــوف البطريرك بالمبخرة، يتقدمه رئيس الشمامسة حاملا العكاز الابوى، وافودياقونان حاملين شمعتين وكاهنان حاملين مجمرتين وشماسان آخران ينشــدان المعنيث الموسوم (بمعنيث الخاطئة) ويطوفون فى جميع انحاء الهيكل ويعودون الى المذبح ويتلون قراءات خاصة من العهد القــديم ثم يقرأ الارخدياقــون اللوطينية ويدخل البطريرك لوحده ويمزج البلسم مع الزيت تاليا المعنيث الذى بدؤه (ارسل اللهم) • ثم يحمل الاناء على صدره تحت بدلته ويرفعون القبة فوق رأسه ويحمل اثنا عشر افدياقونا شموعا واثنا عشر شماسا مراوح واثناعشر كاهنا مباخر مع الصليب والانجيل ، هنا وبحسب العــادة القديمة ، كــان الارخدياقون ينادى « لينصرف الذين سُرّحوا » • وبعد ذلك يهتف البطريرك هاليلويا • ويجيبونه المجد لله في العــلى الخ (اول التسبحة) ثم يقولــون

---

(١) هدايات ٢:٣

القوقاليون الموسوم ب (كالختن الذى يخرج من الخدر) • ويخرجون من الباب الشمالى ويطوفون فى كل الهيكل منشدين معنيث تقديس الميرون • وفى كل جهة يصلون اليها ، يهتف الارخدياقون (سوفيا) ثلاثا ، وتهتز المراوح وعندما يبلغون باب المذبح يضعون الاناء على الطبليث على مائدة الحياة ويغطونها بالمنديل ، وهكذا تنتهى الخدمة الاولى التى تشير الى العهد القديم •

الخدمة الثانية : يقف الشمامسه حول المذبح حاملين المراوح والكهنه حاملين المباخر فى كلا الجانبين ، والشموع امام المذبح ويبدأ البطريرك بتلاوة صلاة الابتداء ، وينشدون (فجرن يا قلبى) • ويقولون (قدوس – قدوس – قدوس ايها الرب) ثم يقرأ الحوساى ويتلى قانون الايمان ، وتقرأ قراءات من العهد الجديد وينشد الارخدياقون (اللوطيبية) ويبدأ رئيس الكهنة على مثال خدمة القداس تماما قائلا (المجد للاب الخ) ثم يتلو صلاة سرية ويرتل جهرا قائلا (لانك طيب والخ) ثم يتلو صلاة المنديل سرا ويقول جهرا (اهلنا ايها الرب الخ) ويعقبه الشماس قائلا (لنقف حسنا) ويزيح رئيس الكهنة الشوشيف ثم يرسم الصلبان قائلا (محبة الله الاب الخ) ويتلو الصلاة السرية المعنونة . (اله ابائنا) • ثم يرتل جهرا قائلا (ذلك الذى يبجله) فصلاة سرية (حقا انك قدوس) ثم يقول جهرا راسما ثلاثة صلبان وينادى الارخدياقون بالهدوء بالسكون الخ • اما البطريرك فينصرف الى تلاوة صلاة سرية (ذلك الاله العظيم) ثم يرتل جهرا تاليا اربع طلبات ، فى كل منها يرسم صليبا واحدا ثم صلاة سرية (نقدم لك ايضا) ثم يقول جهرا (لكى نكون) ثم صلاة سرية خاصة ثم يقول جهرا (امنح لهؤلاء) ثم يرسم الصلبان عند قوله (لتكن مراحم الله) ثم يهلل وهو يرحف باصبعه فوق الاناء ويرسم الصليب الاول ثم يهتف هاليلويا مرتين ، ثم يرسم صليبا ثانيا قائلا (لاجل هذا مسحك) فهاليلويا مرتين • وثم يرسم صليبا ثالثا قائلا (المجد لك) و (من الآن والى الابد) فهليلويا مرتين ثم ينشد الشماس (وايضا الخ) ثم تتلوها الصلاة

الربانية ثم (أجل ايها الأب الصالح ومانح السلام) ، ثم يحمل الأناء مكشوفا ويخرج مع الاكليروس وهم يتلون معنيا ويرتقون المنبر ويزيحون الميرون نحو الجهات الاربع ، ترافقهم المراوح والمباخر والشموع • وبعد ذلك يلقى البطريرك الموعظة بالمناسبة ، شارحا سر الميرون المقدس ويبارك الشعب وينزلون من المذبح وهم يرنمون معنيا • ويضعون الميرون على المذبح وينشد الشماس اللوطينية وهكذا ينتهى طقس الميرون(١) •

الفصل العاشر

شرح طقس تقديس الميرون

فيما يلى نأتى على تفسير بعض النقاط الهامة والحركات التى تجرى في اثناء اجراء طقس الميرون السابق شرحه :

١ ـ تغطية الميرون : وهى تشير الى المؤمنين القديسين الذين يخفون فضائلهم ولا يكشفونها ابتعادا عن المجد الباطل ، ويتطلعون الى مثالهم الاسمى الذى هو السيد المسيح •

٢ ـ الثياب البيض : يرتدى البطريرك ثيابا بيضاء مشيرا الى نقائه وطهره ، واستنارة ذهنه بالمعارف الروحية الالهية ، وسيرته المسيحية الكاملة ، باعتبار انه يمثل المسيح الذى هو نور العالم •

٣ ـ اثنتا عشرة مروحة : تشير الى أجنحة السرافيم الاثنى عشر ذلك انهم باثنين يُغطّون وجههم ، جزعا من النظر الى لاهوته الازلى • وباثنين يغطّون ارجلهم ، فزعا من ناسوته غير المدرك ، وباثنين يطيرون اشارة الى معرفتهم وساطته ما بين الله والبشر •

٤ ـ والمجامر الاثنتا عشرة : والتى لجميعها رائحة واحدة : تشير الى انه واحد ويلذ لكثيرين ويسير مع الكثيرين بحسب كثرة اجزائهم •

---

(١) هدايات ٣:٤

٥ ـ الشموع الاثنتا عشرة تشير الى التعاليم الصحيحة التى انارت العالم •

٦ ـ انحجاب الميرون : يشير الى لاهوت الابن الذى تنازل وصار انسانا، وكما كان الكلمة محجوبا فى حضن أبيه هكذا أيضا يحجب ويغطَّى الميرون عندما يطوف به البطريرك فى الهيكل ، أما الغاية من انحجاب البطريرك فهى اظهار سياسة المسيح الخلاصية ولئن ظهر علنا وصار انسانا • واما العودة الى الهيكل ثانية فتشير الى عودة المسيح الى السماء من حيث اتى •

٧ ـ ان جهة المشرق هى مصدر النور • والمغرب يختفى فيه النـور ، وجهة الشمال عالية ومرتفعة وجهة الجنوب عميقة لا تُرى • فالمشـــــرق والشمال يشيران الى لاهوت الكلمة ، لان اللاهوت نيّر كالمشرق وسـامٍ كالشمال ، اما الجنوب والمغرب فيشيران الى الناسوت ، لان الناسوت باعتباره من طبعنا مظلم كالمغرب قليل الشأن كالجنوب فخروجه من المشرق وانتهاؤه فى الشمال ، دلالة على اللاهوت الازلى السابق للانسانية الزمنية •

٨ ـ الافودياقونون ، اشارة الى الانبياء ، والشمامسة المحتاطون بالميرون هم بمثابة اثنى عشر رسولا • والشمامسة اقرب الى الميرون من الكهنة لانهـم يشيرون الى السرافيم المقربين الى الله ، أما الافدياقونون الذين هم أقل درجه من الكهنة فيسيرون امامهم ، لان الانبياء سبقوا الرسل وكل الاكليروس اجمالا أقرب الى الميرون من الشعب •

٩ ـ اما تطواف الميرون على يدى البطريرك ببطء وعودته الى المـذبح ووضع الاناء عليه فاشارة الى نشر المسيح وتلاميذه معه البشارة الالهية ، ببطء اولا حتى بلغ الصليب فعلق عليه •

١٠ ـ اعتلاء البطريرك المنبر اشارة الى صعود السيد المسيح الى جبل الزيتون مع رسله الاثنى عشر •

١١ ـ يزيح الميرون نحو الجهات الاربع ، لان المسيح أمر تلاميذه بحمل بشارته الى جهات العالم الاربع •

١٢ ـ انزال الميرون من المنبر ووضعه على المذبح اشارة الى أن المسيح ولو صعد الى السماء لكنه دائما على المذبح المقدس .

١٣ ـ لا يترك الميرون فى الاناء الذى قُدّس فيه بل يُسكب فى اناء آخر . لان الاناء الذى قُدّس فيه يشير الى الجسد الذى اتحد بالكلمة . والاناء الذى يسكب فيه ، يمثّل جسدنا الذى نتقبله بالعماد .

١٤ ـ لا يترك الميرون مكشوفا فى الكنيسة كما هو الامر فى الصلبان وغيرها من الآنية الكنسية والطقسية ، لان اسرار سياسته الخلاصية غامضة ومحجوبة ، وأحكامه لا تدرك ، وكلها عميقة جدا .

١٥ ـ يمنح الميرون بأمر وبسماح من البطريرك لانه يمثل المسيح ولا يجوز خلاف ذلك ابدا ، كما لا يجوز ان يمنح للهراطقة كما تمنح لهم البركات ، لان مفاعيله تستقر فى انفس المؤمنين فقط .

١٦ ـ البطريرك يقدس الميرون والميرون يقدس المعمودية والطبليات والهياكل ، هكذا المسيح ايضا الذى يشار اليه بالميرون يقدِّس ويقدَّس ، فهو يقدِّس الكل لانه اله ويقدَّس لانه صار انسانا .

١٧ ـ الجوقات الثلاث تشير الى كنائس الملائكة الثلاث والخدمتان اشارة الى العهدين القديم والجديد .

١٨ ـ الدورة الاولى تشير الى النبوة التى دارت فى العالم بشكل غامض .

١٩ ـ اتحاد المسحتين فى الآنية فى بدء الخدمة الثانية ، اشارة الى حبل العذراء .

٢٠ ـ الدورة الثانية اشارة الى تجوال المسيح في العالم .

٢١ ـ الهتاف الاول (سوفيا) اشارة الى الصوت الذى سُمع فى الاردن والهتاف الثانى (سوفيا) اشارة الى الصوت الذى سُمع فى جبل الزيتون .

٢٢ ـ كشف الميرون على المذبح ، يشير الى المسيح الذى تعرى من الثياب على الصليب •

٢٣ ـ وضع الميرون على الطبليث ، هو سر موت المسيح •

٢٤ ـ الصلوات التى تتلى على الميرون والصلبان التى ترسم عليه اشارة الى موت المسيح ونزوله الى الهاوية •

٢٥ ـ رفع الاناء ، يشير الى القيامـــة • واعتلاء المنبر ، اشارة الى صعود المسيح الى السماء •

٢٦ ـ تزييح الميرون ، اشارة الى مباركه المسيح الرسل •

٢٧ ـ النزول من المنبر ، اشارة الى حلول الروح القدس •

٢٨ ـ قراءات العهد القديم أ ـ نبوة اشعيا تتضمن مســحة المسيح من الروح القدس التى هى رسم لمسحنا بالميرون الذى به تعطى مواهب الـــروح القدس ، وتنبىء عن البركات والنعم التى ينالها المؤمنون فى عهد النعمـــــة ب ـ القراءة من سفر الخروج : الفصل الاول يتضمن أمر الله لموسى بعمـــل دهن المسحة وذكر المواد التى يتركب منها والغاية التى عُمل لاجلها وعملـه فى المسوحين • والفصل الثانى يحوى الامر لموسى بمسح هارون وبنيـــه والمسكن وكل ما فيه فى يوم معيّن وبالتالى تعلم الكنيسة بنيها ، ان عملهـا فى تقديس الميرون هو عمل الله نفسه وللدلالة على ان المسحة قديما كانت رمـزا لمسحة الروح القدس فى العهد الجديد •

اما قراءات العهد الجديد ، فللدلالة على ان سر الميرون له النتـــائج والتأثيرات التى جاء ذكرها فى الشروحات السابقة •

الباب الرابع

سر القربان المقدس

الفصل الاول

ماهية سر القربان المقدس ورتبته بين الاسرار

القربان المقدس سر به يتناول المسيحى جسد المسيح ودمه تحت اعراض الخبز والخمر • أما رتبته بين الاسرار فقد قال عنها مار ايوانيس الـــدارى (ان الاولوية فى الرتبة هى اما بالنظر الى النظـــام والترتيب وأما بالنظر الى الكرامة والسمو)• فالقربان المقدس يحتل المكانة الاولى بين الاسرار نظرا الى الامور التالية :

١ ـ النعمة الصادرة عنه : لان النعمة فى الأسرار الاخرى تفعل بحالة غير منظورة تحت مادة منظورة ، وتلبث تلك المادة غير متغيرة ولا مستحيلة ، أما فى سر القربان المقدس فيستحيل جوهر المادة بوجه سرى عجيب الى جســد المسيح ودمه •

٢ ـ ان السيد المسيح منح المؤمنين بوساطة باقى الاسرار بعض مواهبــه اما فى سر القربان فقد قدم لهم ذاته غذاء مقدسا •

٣ ـ ان كل سر من الاسرار يختص مفعوله فى الشخص الذى يتقبله فقط •أما سر القربان فباعتباره ذبيحة ايضا ، يتقدم لله كفارة عن الجميع احياء كانوا أم أمواتا •

الفصل الثاني

اسماء سر القربان

لما أدرك آباء كنيستنا القديسون ، انه لايمكن التعبير عن عظمة هـذا السر وسموه بلفظة واحدة ، لجأوا الى عدة الفاظ اطلقوها عليه ومن جملتها:

١ ـ اوخارستيا : وهى لفظة يونانية تعنى الشكر وهى اعم الاسماء وأكثرها استعمالا وأستيعابا لمعنى السر باعتباره ذبيحة شكر .

٢ ـ اشتراك : وذلك وفقا لقول الرسول بولس فى (١ كو ١٠:١٦) « كأس البركة التى نباركها اليست هى شركة دم المسيح ؟» الخبز الذى نكسره اليس هو شركة جسد المسيح ؟» .

٣ ـ اسرار : وسمى هكذا لانه يمثل العشاء الاخير الذى فيه سلم الرب سر جسده ودمه الاقدسين تحت شكلى الخبز والخمر .

هذا وقد اطلقت عليه الفاظ أخرى ايضا كالخبز السماوى ، والمائدة المقدسة ، ودم المسيح ، وكأس الحياة الخلاصية ، والذبيحة المقدسة ، وكمال الكمالات .

الفصل الثالث

تأسيس سر القربان

أسس السيد المسيح سر القربان ليلة آلامه حينما « أخذ الخبز وبارك وكسر واعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى وأخذ الكأس وشكر واعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (مت ٢٦:٢٦) . وقد كتب الرسول بولس بذلك قائلا « لانى تسلمت من الرب ما سلمتكم ايضا ، ان الرب يسوع فى

الليلة التى اسلم فيها أخذ خبزا وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لاجلكم اصنعوا هذا لذكرى كذلك الكأس ايضا بعدما تعشوا قائلا هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يجىء اذن من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما فى جسد الرب ودمه ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لان الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب » (١ كو ١١:٢٣-٢٩) •

وقد رسم السيد المسيح هذا السر لامرين هامين • اولا : ليكون قوتا روحيا للانفس البشرية كما أوضح الرب فى العظة الموسومة ب (خبز الحياة) (يو ٦) حيث اورد ست مرات وجوب أكل جسده وشرب دمه لنوال الحياة الابدية (١ كو ١٠:١٦-٢٦) •

ثانيا : ليكون فى الكنيسة ذبيحة دائمة تغفر بوساطتها الخطايا كما سيأتى شرحه فى ذبيحة القداس •

الفصل الرابع

شروط سر القربان

المادة : تتكون مادة هذا السر من عنصرين ، هما الخبز والخمر ، كما رسم السيد المسيح له المجد • العنصر الاول وهو الخبز :

وحيث ان الخبز يستحيل الى جسد المسيح جوهريا وجب ان تتوفر فيه أربعة عناصر الجسد الطبيعى لذلك قررت الكنيسة ان يؤخذ دقيق البر الخالص اشارة الى عنصر التراب ، ويعجن بالماء الطبيعى عجنا جيدا اشارة الى عنصر الماء ، ويذاب فيه شىء من الزيت اشارة الى عنصر الهواء ، والملح اشارة

الى عنصر النار • كما فرض ان يكون مختمرا اشارة الى النفس الحية المتحدة بالجسد • ثم يخبز •وفى اثناء القداس ،يتكون منه ومن الخمر المتحولة الى دم المسيح انسان كامل •

ويصنع الخبز على شكل قرص مستدير مطبوع فى وسطه ختم مدور مقسم الى اثنى عشر جزءا ، يسمى الجزء الواحد الجوهرة او الجمرة ، ينقب خمسة ثقوب وقت خبزه اشارة الى جروحات السيد المسيح الخمس على الصليب نتيجة الحربة فى جنبه والمسامير فى يديه ورجليه ويدعى هذا القرص بالسريانية (فورشونو (برشانة) ومعناها خبز التقدمة ، ويسمى ايضا (ختما) •

وقد منع الرسل القديسون بقوانينهم تقديم أى مادة غريبة على المذبح الى جانب مادة القداس خلا الزيت للمنارة والبخور للمبخرة(١) قال مار يوحنا التلى (يقدم خبز القربان الى المذبح فى اليوم الذى يخبز فيه فقط وذلك أسوة بالمن السماوى الذى كان رمزا الى القربان ، اذ كان الشعب يلتقط منه حاجة اليوم بيومه كل واحد بحسب حاجته ، واذا تبقّى منه شىء الى الصباح تولد فيه دود ونتن(٢) • العنصر الثانى الخمر(٣) يجب ان تكون الخمر جيدة معصورة من العنب ونقية وخالية من أى مادة غريبة ، عدا كمية من

(١) الهدايات ٤:١)

(٢) فيه •

(٣) ولئن تألفت مادة القربان من عنصرين ، هما الخبز والخمر اللذان منهما يتم سر الافخارستيا ، الا أن الكنيسة تؤمن بأنهما سر واحد لا سران وألا لزاد عدد الاسرار على السبعة • فبقوة هذا السر يصبح جسدا سريا واحدا ، ولكى يوافق السر نفسه بما يفعل ، وجب ان يكون سرا واحدا • فهو واحد لا ينقسم الى اجزاء بل يشير الى شىء واحد وكما أن الاكل والشرب يختلف احدهما عن الآخر ، ويؤخذان لغاية واحدة وهى تقوية الجسم واستمرار الحياة فيه ، هكذا وجب ان يوضع مثل ذلك نوعان مختلفان للسر ، يشيران الى مأكل روحى تتغذى به النفس وتقتات لذلك قال الرب : (يو ٦:٥٥) «جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق »•

الماء ، تكاد تساويها أو أقل تمزج فى الكأس وذلك اشارة الى الدم والماء اللذين جريا من جنب السيد المسيح عندما طعن بالحربة على الصليب (يو ١٩:٣٤) .

التقديس على الخمير لا على الفطير : تسلمت الكنيسة الجامعة من الرسل الاطهار وجوب استعمال الخبز المختمر فى سر القربان وظلت متمسكة بهذا التقليد الرسولى بفرعيها الشرقى والغربى حتى رفع الامر الى مرتبة العقيدة ، فقد قال القديس مار يعقوب السروجى (من يقدم خروفا أو فطيرا هو شر من الوثنى فانه قد انكر الاب الذى قدم ابنه ذبيحة) .

ولنأتين الآن الى ذكر البراهين التى تؤيد وجوب استعمال الخمير من ثلاثة اوجه كتابيا ، ولاهوتيا وتاريخيا .

اولا : الادلة الكتابية : ان المسيح لما رسم هذا السر ، رسمه بخبز لا بفطير لان كلمة الخبز فى الكتاب تعنى الخبز المختمر والفطير يعنى الخبز غير المختمر (لا ٢:٤-١١) وان كتبة الانجيل اتفقوا جميعا على ان الرب فى ليلة آلامه أخذ « خبزا » ولم يقل احدهم انه أخذ « فطيرا » . فقال متى : « أخذ يسوع الخبز وبارك » (مت ٢٦:٢٦) وقال مرقس : « أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر واعطاهم » (مر ١٤:٢٢) وقال لوقا : « وأخذ خبزا وشكر وكسر واعطاهم » (لو ٢٢:١٩) أضف الى هذا كله ان لفظة الخبز الواردة فى هذه النصوص ترجمت كلها فى اليونانية بكلمة (ارطوس) ومعناها خبزا مختمرا . وكذلك قال الرسول بولس « ان الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا » (اكو ١١:٢٣) فلو لم يكن ذلك الخبز مختمرا لما كان هناك مايمنعهم من ان يقولوا اخذ «فطيرا» لاسيما وان التكلم عن هذه المادة تكرر مرات عديدة فى أمكنة مختلفة . فكان بديهيا ان يشذ واحد منهم عن هذا الاجماع ويغير هذا التعبير فيقول (فطيرا) ولو مرة واحدة . أما وانهم اتبعوا طريقة واحدة فى التعبير عن هذه المادة فذلك دليل قاطع على أنها كانت خبزا مختمرا وليس فطيرا .

وان الرسل كانوا يجتمعون «لكسر الخبز» (أع ٢:٢٤٢و٢٠:٧) ولم يقل لكسر الفطير •

الادلة اللاهوتية: اولا انه لموافق للعقل تمام الموافقة ان يكون الخبز الذى حوله ربنا الى جسده ، خبزا مختمرا • وذلك لانه بهذا الفصح الجديد أبطل نظام الفصح العتيق والا لكان النظامان واحدا وهذا غير معقول •

ثانيا ـ قال العلامة ابن العبرى « ان الكهنوت المسيحى هو على رتبة كهنوت ملكى صادق وكان هذا الكاهن يقدم خبزا مختمرا وخمرا لان الفطير لم يؤمر به الا بعد خروج بنى اسرائيل من مصر فكهنوتنا المسيحى اذن يجب يقدم خميرا لافطيرا •

ثالثا ـ اقوال الاباء : قال القديس مار افرام السريانى «بعدما اكل الرب ذلك الفطير اخذ من ثم (خبزا) حقيقيا» وقال ايضا « انى مطعمكم خميرا فتعوذوا كلكم من ذلك الفطير انكم ستأكلون من الان فصاعدا الخبز المختمر الكامل معجونا من الروح القدس» وقال مار يعقوب السروجى فى ميمره عن الخميرة التى أخذتها امرأة (ياخميرة الحياة الذى ارسل من العلى) وقال القديس مار ايوانيس الدارى «حين كان العالم مائتا ، كان البشر يقدمون فطيرا ، لان الفطير مائت فلما جاء المسيح الذى هو حى بطبعه ، تقدم الخمير الذى هو حي تأكيدا لمجىء المسيح » وقال القديس غريغوريوس (لو كان فى الخروف أو الفطير قوة مغفرة الخطايا ومقاومة خطية العالم ، اذن لماذا جاء المسيح؟ أليس لانه حين رأى الخطية قد تفاقمت قدم ذاته بدلا من الخروف ، وبدل الفطير أخذ خبزا مختمرا بيديه المقدستين وعمله جسده ، واخذ ماء وخمرا ومزجهما وعملهما دمه المحيى ، واعطاهما حياة للعالم وابطل الخروف والفطير) •

الادلة التاريخية: هل اكل المسيح الفصح مع اليهود فى مساء يوم ١٤ من شهر نيسان ام قبله ؟ يدعى بعضهم ان السيد المسيح اكل الفصح فى

الليلة نفسها التى فيها أكل اليهود فصحهم ايضا ، ولهذا جاز على زعمهم استعمال سر الشكر من فطير وليس من خبز مختمر مع انه يتضح صريحا من النصوص الكتابية ان المسيح عمل الفصح قبل اليهود بيوم كامل وبضع ساعات أيضا اذ يقول القديس يوحنا الانجيلى «اما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الاب .. وقام عن العشاء وخلع ثيابه واخذ منشفة واتزر بها ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل ارجل التلاميذ » (يو ١٣:١-٤) واليهود كانوا يستعدون للعيد عندما كان المسيح يحاكم ، ولم يدخلوا محكمة بيلاطس لئلا يتنجسوا ، فلا يتمكنوا من ان يأكلوا الفصح . وان الفصح الذى اكله المسيح لم يكن يهوديا لاننا نفهم من ظروف اكل الفصح ، انهم كانوا ١ - يأكلونه واحقاؤهم مشدودة وعصيهم فى أيديهم واحذيتهم فى أرجلهم (خر ١٢:١١) ٢ - شويا بالنار على اعشاب مرة . ولكن الواضح من اتفاق الانجيليين أن المسيح اكل الفصح مع تلاميذه وهو متكىء (يو ١٣:٤و٥) وأنه كانت عندهم بعض الاطعمة بدليل قوله (هو ذاك الذى اغمس انا اللقمة واعطيه فغمس اللقمة واعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطى) (يو ١٣:٢٦)

أما توافق الانجيليين متى ومرقس ولوقا فى قولهم «وفى اليوم الاول من ايام الفطير» فهو كما فسره الذهبى الفم ، يعنى انه كان قريبا وعلى الابواب لا انه أتى ، وبذلك يشير الى تلك الليلة لانهم كانوا يبتدئون من العشاء . وأما يوم السبت فكان ابتداؤه مساء الجمعة الذى صلب فيه المسيح وذلك واضح من قوله «ثم اذ كان استعداد فلكى لاتبقى الاجساد على الصليب فى السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيما» (يو ١٩:٣١) و (لو ٢٣:٥٤) و (مر ١٥:٤٢) و (مت ٢٧:٦٢)

فيتضح من هذه البينات أن يوم السبت المتكلم عنه ، ليس المعتاد وانما هو اليوم الاول من ايام الفطير اذ يكون فيه محفل مقدس ولذا يتحقق ان

كنيستنا المقدسة حافظت على هذه الحقائق الانجيلية كما تسلمتها • والتى يؤديها اقرار آباء الكنيسة الاولين من ان سر الشكر يجب أن يكون خبزا مختمرا •

الفصل الخامس

صورة سر القربان

ان صورة سر القربان هى الصلوات الجوهرية التى تتلى فى القداس ابتداء من حادث العشاء الاخير حتى صلاة استدعاء الروح القدس ، والتى بعد تلاوتها تتحول مادة هذا السر بفعل الروح القدس الى جسد الرب ودمه وهذه هى الصورة الكاملة بحذافيرها :

أ ـ (ولما ازمع ان يقتبل الموت الارادى عوضا عنا نحن الخطاة ذلك الذى بلا خطية ، أخذ خبزا على يديه المقدستين وبعد أن شكر بارك وقدس وكسر واعطى لرسله القديسين قائلا خذوا كلوا منه هذا هو جسدى الذى يكسر لاجلكم ولاجل كثيرين ويمنح لغفران الخطايا والحياة الابدية) آمين (هكذا أخذ الكأس وبعد ان شكر بارك وقدس وناول رسله القديسين قائلا خذوا اشربوا منه كلكم هذا هو دمى الذى سيسفك من اجلكم ومن اجل كثيرين ويمنح لغفران الخطايا والحياة الابدية) امين • ثم (اجعلوا هذا لذكرى كلما اشتركتم فى هذا السر متذكرين موتى وقيامتى حتى مجيىء) •

ب ـ دعوة الروح القدس : ارحمنا ايها الاله الاب وارسل الى هذه القرابين روحك القدوس الرب المساوى لك وللابن فى الجوهر والمقام ، الذى تكلم فى عهديك القديم والجديد وحل كالحمامة على ربنا يسوع المسيح فى نهر الاردن وبشكل السنة نارية على الرسل فى العلية (لكى بحلوله يجعل هذا الخبز محييا ، جسدا خلاصيا ، جسد المسيح الهنا) و (يجعل هذا الكأس دم العهد الجديد دما خلاصيا دم المسيح الهنا) •

وقد أجمع آباء الكنيسة على أن القديس يعقوب اخا الرب وأول اساقفة اورشليم هو اول من وضع صورة القداس الاولى هذه باللغة السريانية الارامية وقد سلمت شفويا لا كتابة ، وظلت سماعية نقلية لاتدون فى كتاب زمنا غير يسير يحفظها الكهنة على ظهر قلب ، وعندما طرأ عليها الاختلاف قبل اواسط القرن الثالث ، دونت فسميت ليتورجيا او انافورا مار يعقوب [١] .
ولاتزال تستعمل الى اليوم مع ما اضيف اليها من الصلوات والابتهالات مع تمادى الزمان وقد عنى بتصحيح هذه الليتورجيا العلامة مار يعقوب الرهاوى فى القرن السابع ثم اختصرها وهذبها العلامة أبن العبرى فى القرن الثالث عشر فعرفت الاولى بالكبرى والثانية بالصغرى وقد ناسب الآباء ترجمة بعض اجزائها الى اللغات المحلية مع الحفاظ الشديد على سريانية الصورة الجوهرية وأول قداس بالعربية ذكر عندنا سنة ٩١٢ وفى القرن السابع عشر وما بعده شرع قوم بنقل القداسات الى لغة عربية ركيكة[٢] غير ان بين يدينا اليوم،ثمانى منها بلغة عربية بليغة للبطريرك أفرام الاول برصوم .

ولاتقتصر الكنيسة فى خدمة الاوخارستيا على استعمال هذه الليتورجية بل تستعمل ليتورجيات اخرى نسبت بعضها الى الرسل ، كما وضع مع توالى الايام بعض الملافنة كموسى أبن كيفا وابن صليبى وابن العبرى وغيرهم ليتورجيات اخرى [٣]

غير ان ليتورجية مار يعقوب تحتل المنزلة الاولى بين سائر الليتورجيات، وقد فرضت الكنيسة على كل كاهن يرسم ان يؤدى خدمة السر بها اولا وان يستعملها أيضا فى كل مذبح يقدس عليه لاول مرة كما تستعمل فى الاحتفالات الرسمية والاعياد السيدية .

---

(١) الدرر النفيسة ص ٤٠٣ والمجلة البطريركية الدمشقية السنة الاولى ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤
(٢) اللؤلؤ المنثور ص ٦٨ .
(٣) فيه ص ٦٢ ـ ٦٨ .

١ - يسرد الكاهن هذه الاقوال كقصة كما اوردها الانجيليون عن رسم السيد المسيح للسر • والكلام هنا اخبارى تاريخى لاغير • **أخذ خبزا** : وتشير الى ان السيد المسيح اتخذ جسدا من احشاء البتول • وتطلع **الى العلا** : مبينا ارادة الله الاب فى هذا الفداء • وشكر : أى شكر أباه بدلا عنا على تدبيره هذا الفداء كقول الرسول بولس وعلى العطايا والهبات التى افاضها على البشر بغزارة ومسرة •

بارك : اى أنه بارك الجنس البشرى ورفع عنه اللعنة التى جاءته عن طريق تجاوزه الوصية • **وقدس** : اى انه قدس الجنس البشرى بعد ان كان ملوثا بالخطية ولانه قدس ذاته من اجلنا كقوله : (من اجلهم اقدس ذاتى) • **وكسر** : اشارة الى الآمه وصلبه وموته • **اعطى رسله القديسين قائلا خذوا كلوا منه** : اى أن جميع التلاميذ أكلوا من جسد المسيح حتى أن المسيح نفسه اكل من جسده وشرب من دمه بدليل قوله « وأقول لكم انى من الآن لاأشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم الذى اشربه معكم جديدا فى ملكوت ابى» (مت ٢٦:٢٩) • **هذا هو جسدى** : أى ان الخبز الذى باركه السيد المسيح وقدسه وكسره هو جسده بالذات الذى اتخذه من البتول واخيرا يبين مفعول السر الذى يغفر الخطايا ويمنح الحياة الابدية • الذى يكسر لاجلكم ولاجل كثيرين : أى ان هذا السر لايكسر من اجل التلاميذ فقط بل من اجل كل من يؤمن به •

٢ - وهكذا ايضا يفسر مايتلى على الكأس : بيد ان الرب أضاف الى كلمة اشربوا لفظة **كلكم** مبينا بذلك أنه كان بعض تلاميذه من المنذورين الذين يمتنعون عن شرب الخمر عملا بمقتضيات الشريعة الموسوية فارادهم ان يشربوا ذلك فى سر دمه لانه أبطل تلك الشريعة ومنح شريعة جديدة وعهدا

جديدا • **هذا هو دمى الذى يسفك من اجلكم ومن اجل كثيرين للعهد** الجديد : أى ان دم المسيح يعطى للناس بالحق والفعل لا بالشكل والرمـــز وهذا خاص بالعهد الجديد اذ فى العهد القديم كان كل شىء رمزا وعـن هذا الناموس قال الرسول « فمن ثم الاول ايضا لم يكرس بلا دم » (عب ٩:١٨) •

ومما يسترعى الانتباه ان الانجيلي لم يقل عن السيد المسيح أخذ الـدم بل أخذ الكأس أى كأن السيد المسيح يقول لتلاميذه ان هذه الكأس تحمـــل دمى ليكون مشربا حقيقيا للمؤمنين كما نلاحظ أيضا ان الاشارة الى الام المسيح وموته تظهر فى تقديس الدم بصورة أوضح اكثر مما ذكر فى تقديس الجسد، وما ذلك الا لان الدم المقدس يمثل الام المسيح وموته بصورة اوضح •

اجعلوا هذا لذكرى كلما اشتركتم فى هذا السر متذكرين موتى وقيامتـــى حتى مجيىء » ان هذه العبارة هى تتمة للقصة الاخبارية التى نحـــن بصددها ، وتعنى ان هذا السر يشير الى آلام المسيح وقيامته التى حدثت فى الزمن الماضى كما يشهد الرسول (١ كو ٢٦:١١) « كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يجىء » •

وتشير ايضا الى النعمة الالهية والسماوية التى تعطى فى الوقت الحاضر فى هذا السر لغذاء النفس وحفظها التى تعبر عنها لفظة « اشتركتم » كمـــا وتشير أيضا الى الزمن العتيد حيث ينال المؤمنون المجد الابدى فى السماء عند مجيئه الثانى •

ملاحظة : يجب أن نعلم ، ان هذا السر كان يشار اليه فى العهد القديم بأعتباره ذبيحة ، بجسد ودم الخروف الذى ذُبح فى مصر ، وعندما جاء المسيح بطّل الرمز • وباعتباره قوتا روحيا للنفس اشير اليه بالمن والسلوى كما ذكر السيد المسيح « آباؤكم اكلوا المن فى البرية وماتوا » •

٣ ـ ثم يعقبه الكاهن بصلاة قصة التدبير الخلاصى بايجاز ، يُلحَق بها ابتهال خشوعى صادر عن قلوب ابناء الكنيسة وقطيع المسيح الناطق، ثم تلاوة صلاة

شكر لله على نعمه واحساناته الى البشر من البدء وحتى التجسد ، ومن أجل ما وهب للبشر بعد التجسد كغفران الخطايا وذخيرة البنين وملكوت السماء وغيرها •

ملاحظة : لقد نصّت كل ليتورجيات الرسل والملافنة ، ان تقديس القربان وتحويله الى جسد المسيح ودمه يصيران ويتمان بصلاة الكاهن لاستدعاء الروح القدس ، واما اللاتين فقد حصروا تقديس الخبز والخمر بتاريخ الحادثة الالهية التى يرويها الكاهن والتى صنعها السيد المسيح ليلة سلم ذاته الى الصلب والموت ، فهذه تُعتَبر مقدمة وتمهيدا وقصة • يروى خادم الاسرار ويقص الحادثة التى اجراها المسيح على مشهد من تلاميذه ليلة آلامه ، فخادم الاسرار يعتبر فى هذه الحال بمثابة ممثل يعيد على مسمع الجمهور ومرآه صورة حادثة حدثت فى الزمان الغابر لا اكثر ولا أقل ، وبعد أن ينتهى من هذا القسم التمهيدى ، ينتقل الى القسم الثانى ، قسم تقديس الاسرار بدعوة الروح القدس ليحل عليها •

٤ ــ فى استدعاء الروح القدس ، يتم تقديس القرابين واستحالتها الى جسد المسيح ودمه على النحو التالى : ١ــ حلول الروح القدس بهدوء وسكينة وبتلاوة صلوات سرية وعلنية • ٢ــ رسم ثلاثة صلبان على كل من الشكلين لدى القول **(لكى بحلوله)** عند الجسد ، « ويجعل » عند الدم •

الفصل السادس

خادم سر القربان

لقد كانت خدمة هذا السر قديما محصورة برئيس الكهنة أسوة بخدمة باقى الاسرار • غير أنه مع تمادى الزمن وبحسب مقتضيات المصلحة الكنسية اجيز للكهنة القيام بخدمة بعض الاسرار كالمعمودية والقربان • والخادم أيا كانت درجته يمثل السيد المسيح فى خدمة هذا السر • ١ــ اذ يلفظ نفس

الكلمات التى لفظها يسوع المسيح فى العشاء السرى ٢- ينوب عن الشعب فيرفع الصلاة من أجلهم مستنزلا عليهم نعمة الغفران ٣- يصوّر الامور الروحية بوساطة الاسرار الحسية ٤- وبالتالى يقف وسيطا بين الله والبشر .

لذلك يجب على الخادم ان يدرك وظيفته ويسعى للحفاظ على هذا الشرف الروحى ويتشبه بالكهنة الصالحين فى العهدين القديم والجديد ، وبالملائكة ، كى يستطيع ان يخدم أسرار العهد الجديد خدمة مثلى تليق بالدعوة الروحية السامية التى دعى بها كقول الرسول بولس « فاطلب اليكم أنا الاسير فى الرب ان تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها بكل تواضع ووداعة وبطول اناة » (أف ٤ : ١ و٢) .

قال القديس فيلوكسينوس المنبجى : ولئن وجُد فى الكنيسة (بين الاكليروس) ذوو سيرة رديئة ، الا ان اليمين التى وضعت على رؤوسهم ، هى يمين حقيقية . لذلك فقربانهم مقبول وخدماتهم مقبولة ولاتمنع مراحم الله من عبيده بسبب سوء سيرة الكاهن .

الفصل السابع

القداس ذبيحة العهد الجديد

تعريف الذبيحة : الذبيحة كما عرفها مار ايوانيس الدارى هى جنس تشمل أنواعا عديدة كالذبائح الحيوانية فى العهد الموسوى وذبيحة المسيح على الصليب وضحايا الاضطهادات واماتة الجسد عن الشهوات كقول الرسول « قدموا اجسادكم ذبيحة حية » (رو ١٢ : ١) وذبائح الشكر والمجد وسر الاوخارستيا الذى هو الذبيحة غير الدموية ، الا ان الذبيحة بالاجمال ، تحد بأنها تقدمة شيء ظاهر حسى لله بتغيير مالذلك الشيء المتقدم لتأدية العبادة الواجبة لجلاله الالهى عن الخليقة الناطقة بوساطة خادم شرعى .

فذبيحة العهد الجديد فى ضوء هذا التعريف هى تقدمة عنصرى الخبز والخمر اللذين هما شىء ظاهر حسى يغيّر تغيراً سريا لا محسوسا عند تلاوة الصلاة ، وهما لا يتغيران تغيرا فعليا حقيقيا لانهما اشارة الى ذبيحة الصليب بل تغيرا سريا أى تغيير جوهر الخبز والخمر المقدمين ليوجد فيهما جسد يسوع المسيح ودمه اللذان هما فقط ذبيحة القداس الحقيقية تقدم هذه الذبيحة لتأدية العبادة الواجبة لجلاله الالهى •

رسم هذه الذبيحة : سبق ان قلنا ان السيد المسيح رسم هذا السر لامرين: ١ـ ليكون قوتا روحيا • ٢ـ ليكون فى الكنيسة ذبيحة دائمة بها تغفر الخطايا وطبعا قد رسمها فى العشاء الاخير ومما يبرهن على أن هذا السر هو ذبيحة لانه يحوى معانى البذل : كقوله « انا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء والخبز الذى أنا أعطيه هو جسدى الذى ابذله من أجل حياة العالم »**(يو ٦:٥١)** وسفك الدم : « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم » **(لو ٢٢:١٩ـ٢٥)** وذبيحة : كقول الرسول«لا تقدرون ان تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين لا تقدرون ان تشتركوا فى مائدة الرب وفى مائدة الشياطين» **(١ كو ١٠:١٨ـ٢١)** فكما ان لفظة مائدة الشياطين تشير صراحة الى المذبح الذى تقدم عليه ذبائح الشياطين هكذا يعنى الرسول بولس بكلمة « مائدة الرب » المذبح الذى يقدم عليه ذبيحة الرب ويقول ايضا فى **(عب ١٣:١٠)** لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن ان يأكلوا منه • فهو يقارن ما بين مذبح الله القديم ومذبح العهد الجديد ، ويفضل الاخير اذ لا سلطان لمن يخدم مذبح الحيوانات فى العهد القديم على خدمة مذبح العهد الجديد ذبيحه الخبز والخمر جسد المسيح ودمه •

وقد ورد فى الانبياء نبوات صريحة تشير الى حقيقة هذه الذبيحة منها قول اشعيا النبى « فيعرف الرب فى مصر ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذراً ويوفون به »

(أش ١٩:١٩-٢٢) وقول ملاخى « لانه من مشرق الشمس الى مغربها عظيم اسمى بين الامم وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة لان اسمى عظيم بين الامم قال رب الجنود » (ملا ١:١٠ و١١) فالمتأمل بفحوى هاتين النبوتين يظهر له ان الله كان عتيدا ان يرذل ذبائح اليهود الرمزية ويرسم ذبيحة حقيقية تقدم فى كل أقطار المسكونة ، ولا يمكن ان تكون الذبيحة المشار اليها ذبيحة الصليب ، لان ذبيحة الصليب لم تقدم فى سائر الامم ولا فى كل العالم بل فى اليهودية واورشليم فقط ، كما لايمكن ان تشير الى الذبيحة الباطنية لان الذبيحة الباطنية ليست بذبيحة جديدة مرتسمة حديثا بل هى ذبيحة قديمة كانت ولما تزل تُقدَّم لله على الدوام من قبل الصالحين كقول المرتل الالهى « ذبائح الله هى روح منكسرة » (مز ٥١:١٧) وبالتالى لا تشير الا على ذبيحة القربان المقدس التى تقدم لله تعالى فى كل أقطار المسكونة .

وقد أشار العهد القديم الى هذه الذبيحة ايضا فى خبز الوجوه والمن وخبز التقدمة وذبيحة ملكى صادق .

من الثابت ان السيد المسيح قدم نفسه ذبيحة على الصليب لابيه الازلى ، فدية عن البشر لانقاذهم من اسر الشيطان والخطية ، واعطائهم التبرير والتقديس . وقد شاءت عنايته ان يرسم فى الكنيسة واسطة تستحق بها نتائج ذبيحة الصليب وما هذه الواسطة الا ذبيحة القداس التى تعتبر ذكرى ذبيحة الصليب بل هى نفسها ، فهى تجلب منافع الصليب للذين يشتركون فيها .

والفارق ما بين الذبيحتين هو وجه التقديم لا غير . فذبيحة الصليب كانت دموية تمت بموت المسيح الحقيقى المحسوس الواقعى مرة واحدة على الجلجلة ولا تكرر . وقد حصل بها الخلاص لكل الجنس البشرى ، أما ذبيحة القداس فبالرغم من وجود دم المسيح فيها فهى تسمى غير دموية أ - لانها تصوّر ذبيحة ملكى صادق التى كانت غير دموية بخلاف ذبائح هارون التى كانت دموية . ب - لانهـا تتـم باستحالة سرية ، وهى استحالة الخبز والخمر بقـوة الروح

القدس وفعله ، الى جسد المسيح ودمه بدون آلام ولا اهراق دم ولا موت .
انما تتم بموت سرى غير محسوس وتقدم منذ تأسيسها والى الابد وفى كل
العالم وعلى مذابح لا تحصى ، مستعطفة الله للصفح عن خطايا الذين قدمت
لاجلهم فينالوا الحياة الابدية بالتناول منها ، وهى الذبيحة التى كانت تشير
اليها تقدمة ملكى صادق كما اسلفنا لا ذبائح هارون ، ذلك ان ذبائح هارون
كانت دموية ترمز الى ذبيحة الصليب أما تقدمة ملكى صادق فكانت تشير الى
ذبيحة القداس ، اولا : نظرا الى مادتها ، ثانيا : لان المسيح جاء كاهنا على رتبة
ملكى صادق لا على رتبة هارون أى ان كهنوت ملكى صادق كان منحصرا فيه
ولم يتعدّه الى خلف له من بعده خلافا لكهنوت هارون ، وبما ان ذبيحة
الصليب قُدمت مرة واحدة ولا سبيل الى تكرارها ، لان المسيح لايموت مرة
أخرى ، وحيث ان كهنوت المسيح باق الى الابد ، فلابد اذن من وجود ذبيحة
اخرى لاينقطع تقديمها الى الابد لئلا يبقى كهنوت المسيح
معطلا ، فرسم من ثم له المجد هذه الذبيحة غير الدموية لتقدم باستمرار على
أيدى الكهنة .

أضف الى ذلك كله ان الوحى الالهى شهد ان ربنا يسوع يظهر امام
وجه الله لاجلنا ليبطل الخطية بذبيحة نفسه (عب ٩:٢٣-٢٧) فكما ان تقديم
الرب يسوع لابيه فى السماء بغير انقطاع ليس هو الا مداومة ذكر ذبيحة
الصليب ، هكذا ايضا تقدمة هذه الذبيحة الالهية على ايدى الكهنة على الارض
ليس الا مداومة ذكر الصليب .

الاستحالة

هى تحويل عنصرى ذبيحة القداس الى جسد المسيح ودمه جوهريا
وسريا بعد تقديسهما بوساطة الروح القدس ، وهذا هو اعتقاد الكنيسة فى سر
الافخارستيا كما تسلمته من السيد المسيح ورسله الاطهار .

كيفية اتمامها : نؤمن ونعتقد انه بوساطة تلاوة الخادم الصورة على المائدة تكمل ثلاثة أمور عجيبة ١- ان جسد السيد المسيح الذى ولد من البتول وصعد الى السماء وجلس عن يمين الله الاب حاضر فى القربان • ٢-يتغير جوهر الخبز والخمر حتى لا يبقى شيء منهما وان كان الامر مدهشا • ٣- ولو كانت كلمات التقديس تظهر ذلك علنا وبصورة واضحة جدا فالاعراض التى ترى بالعين او تدرك بالحواس لا تقوم بشيء وهذا أمر عجيب لا يدرك فاعراض الخبز والخمر كلها ترى ولكنها لا تقوم بجوهر ما بل تقوم بذاتها ، لان جوهر الخبز والخمر استحالا الى جسد الرب ودمه • والان نأتى الى شرح هذه الامور الثلاثة •

اولا - أ - لاشك ان جسد المسيح الذى ولد من العذراء حاضر فى القربان بدليل تصريح المسيح نفسه مشيرا الى حقيقة جسده فى هذا السر عند قوله «هذا هو جسدى» «هذا هو دمى» وان الرسول بولس بعد ان يذكر تقديس الخبز والخمر من قبل الرب وتوزيعها على الرسل يضيف قائلا «ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لان الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب (١كو ١١:٢٨و٢٩) فلو كان الامر بحسب زعم بعضهم ان القربان ليس الا اشارة وذكرى آلام السيد المسيح ، فلماذا شدد الرسول على هذه النصيحة ليمتحن الانسان نفسه ؟!•«فقد اظهر الرسول بلفظة(دينونة) أن من يأخذ جسد الرب المحجوب فى القربان وهو غير طاهر ، ولايميزه من المأكل الاخرى فانه يقترف ذنبا كبيرا وقد فسر الرسول ذاته فى الرسالة نفسها هذا الامر باسهاب بقوله « (اكو ١٠:١٦) كأس البركة التى نباركها اليست هى شركة دم المسيح ؟» •

هذا واننا نجد فى مؤلفات اباء الكنيسة تصريحات واضحة واقوالا جلية تؤيد هذه الحقيقة الايمانية • قال القديس اغناطيوس النورانى ثالث

بطاركة انطاكية فى رسالته الى اهالى فلادلفيا (اجتهدوا ان تتمسكوا برأى واحد ، لان واحدا هو جسد ربنا يسوع المسيح وواحدة هى كأس الالفة كأس دمه) . وقال القديس مار افرام السريانى فى ميمره عن خميس الاسرار (أخذ يسوع بيديه خبزا عاديا فى البدء فباركه وختمه وقدسه ثم كسره ووزعه على تلاميذه فسمى الخبز جسده الحى وملاءه من قوة روحه ثم قال لهم «خذوا كلوا هذا الجسد الذى قدسته ولاتنظروا اليه كمن ينظر الى خبز عادى لانه جسدى حقا كلوه بطهر وتناولوه بقداسة ، ولا تستخفوا بفتاته لانه حياة لمتناوليه . خذوه كلوه بايمان ، ولا يرتب ضميركم ،وتقدسوا لتناوله لانه جسدى حقا . ومن يأكله فهو يحيى به) .

ب ـ أن حضور المسيح فى هذا القربان يتم ليس بجسده فقط بل بكليته ، بناسوته ونفسه ولاهوته ، اى الاله المتجسد كله .

ج ـ ان السيد المسيح حاضر ليس فى العنصرين اجمالا بل فى جميع اجزائها لذلك فان كل متناول يأخذ جسد المسيح كاملا اذ ان كل جزء صغير من الخبز والخمر مهما كان صغيرا هو جسده بالتمام ، وهذا يدعمه قول الرب وعمله فى أثناء تقديس الخبز والخمر فى العلية لانه غير معقول أن يكون السيد المسيح قد قدس كسرة فكسرة من الخبز ، بل قدسه جملة وعمل ذلك تماما بالكأس بقوله« خذوا هذه واقتسموها بينكم » (لو ٢٢:١٧) .

د ـ ان وجود السيد المسيح فى القربان لايعنى أنه قد ترك السماء ولكنه يوجد بقوته الالهية فى السماء وفى القربان معا .

هـ ـ ان هذا السر العجيب وان كان يتم فى جميع الكنائس المنتشرة فى سائر أنحاء العالم ، فى وقت واحد ، الا انه هو بذاته جسد المسيح ودمه الواحد فى جميع الامكنة والازمنة .

ثانيا ـ نأتى الى شرح الامر الثانى اى ان جوهر الخبز والخمر لايبقى بعد التقديس قائما : هذا وان كان اعجوبة ومعجزة كبرى ، ولكنها ضرورة حتمية فان كان هنالك جسد المسيح الحقيقى تحت شكلى الخبز والخمر بعد التقديس لان قبل ذلك لم يكن فيهما طبعا ، فهذا يحدث اما بتغيير المكان او بالخلق أو بتغيير شىء ما فى المسيح او فى تغيير المادة نفسها ، وواضح انه غير ممكن أن يكون جسده فى السر نظرا الى تنقله من محل الى أخر ، لانه فى مثل هذا الامر يبتعد عن السماء ، وهذا محال ، وبنفس الوقت لايمكن ان يخلق جسد المسيح ، لان المسيح خالق لامخلوق ، وهو لايتغير أيضا اذ لايطرأ عليه تغيير أبدا ، بقى اذا ان جسد المسيح موجود فى القربان نظرا الى استحالة الخبز والخمر وفى هذه الحالة ينبغى الا يبقى شىء من جوهرهما ضرورة وهذا الامر تسنده الادلة الكتابية . ان السيد المسيح عندما رسم هذا السر قال (مت ٢٦:٢٦) «هذا هو جسدى» فان لفظة «هذا» لوحدها تشير الى كل الجوهر الذى يقع تحت العين الباصرة فلو كان جوهر الخبز باقيا ، لكان غير ممكن أن يقول السيد «هذا هو جسدى» وقال ايضا فى (يو ٦:٥١) «والخبز الذى انا اعطى هو جسدى الذى ابذله من اجل حياة العالم» فهو يدعو الخبز هنا جسده ثم يضيف (يو ٦:٥٣) «ان لم تأكلوا ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم» ويقول ايضا (يو ٦:٥٥) «لان جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق» فهنا تصريح واضح وأشارة جلية بدعوة الخبز (جسده مأكلا حقا) والخمر (دمه مشربا حقا) . ومعنى هذا انه لم يبق فى السر شىء من جوهر الخبز والخمر أما وان القربان قد يدعى بالخبز أيضا بعد التقديس ، فلا يجوز ان يكون مدعاة الى الاستغراب . فقد جرت العادة ان يدعى القربان خبزا لان له عرض الخبز وخاصة الخبز ، اذ أنه بعد التقديس فيه قوة طبيعية لقوت الجسد ، لذلك كان يقال قديما فى الكنيسة عند كسر القربانة

(القصى) نكسر الخبز السماوى ، العبارة التى بسبب ماحدث حولها من جدال ونزاع عنيفين على عهد البطريرك جرجس الاول ٧٩٠ اسقطت واستبدلت بغيرها ولما جاء المفسر القدير واللاهوتى الكبير مار ديونيسيوس يعقوب بن صليبى ١١٧١ + وضع لهذه الرتبة القطعة المعروفة وهى (هكذا بالحقيقة تالم كلمة الله ...) فدرجت فى جميع الكنائس السريانية الارثوذكسية .

اما كيف تحصل الاستحالة الجوهرية فنقول وفقا لاراء اباء الكنيسة السريانية ما خلاصته : تتم الاستحالة كما تم اتحاد اللاهوت بالناسوت في احشاء العذراء قلبا وقالبا فكما حل الروح القدس على مريم العذراء وطهرها من الخطية الجدية وقدسها ، ثم جبل من دمائها جسدا اتحد به اللاهوت اتحادا عجيبا دون ان تفصل مابين الحبل والاتحاد فترة ماهكذا ايضا يحل الروح القدس على الخبز والخمر الموضوعين ويقدسهما ويحولهما الى جسد السيد المسيح ودمه ثم يتحد بهما الاله المتجسد دون ان تفصل مابين التقديس والاتحاد فترة ما وقد احسنت الكنيسة صنعا اذ دعت هذا الحدث العجيب (بالاستحالة الجوهرية) لاستحالة كل جوهر المادة الى جوهر اخر . قال مار ديونيسيوس ابن صليبى (كما كان سيدنا يسوع المسيح يرى انسانا ويعرف بالفعل الها : هكذا القربان المقدس يرى فى الظاهر خبزا وخمرا ، ولكنه بفعل الروح والحق جسد الكلمة ودمه) . أما مار سويريوس يعقوب البرطلى ١٢٤١ + وابن العبرى ١٢٨٦ + فيقولان ان استحالة العنصرين الى جسد المسيح ودمه هى اشبه باتحاد اللاهوت بالناسوت وصيرورتهما أقنوما واحدا هو الاله المتجسد ، فكما ان الناسوت يدعى الها لا بطبعه بل لاتحاده باللاهوت كذلك يدعى الخبز والخمر جسد المسيح ودمه لانظرا الى طبيعتهما بل لاتحاد المسيح بهما .

ثالثا - نأتى الى شرح الامر الثالث وهو يفوق الامرين السابقين

عجبا ودهشة ومن سياق الشرحين الماضيين نكون قد اوضحنا هذا الامر الثالث بالبداهة وهو أن اعراض الخبز والخمر تبقى فى هذا السر قائمة على لاشيء الامر الذى يستبعده العقل والمنطق الا انه كما قلنا ان جسد المسيح ودمه موجودان حقا فى هذا السر ولم يبق شيء من جوهر الخبز والخمر ابدا فينتج من هذا ان الاعراض بقيت قائمة فى ذاتها بشكل يفوق نظام الطبيعة دون أن تقوم بجوهر اخر او تختفى بشيء أذ لايمكن أن تكون ملتصقة بجسد المسيح ودمه • وقد شاءت حكمة المسيح الفائقة ان يعطى جسده ودمه حياة للبشر تحت اعراض الخبز والخمر ، ولم يعط جسده ودمه الحقيقيين لان اكل لحم الانسان وشرب دمه امر مضاد للطبع البشرى ، اضف الى ذلك أمرين اخرين وهما اولا : ــ لو أعطى لنا المسيح بشكله الخاص ، لعيرنا الاعداء الوثنيون والكفرة ، وحتى ان اليهود بالذات عندما سمعوا الرب يتحدث عن ضرورة أكل جسده وشرب دمه ، خاصم بعضهم بعضا قائلين كيف يستطيع هذا ان يعطينا جسده •

ثانيا ــ عندما يؤخذ جسد المسيح ودمه بطريقة لاتدركها الحواس وهو أمر حقيقى يزداد بذلك ايمان المؤمنين كقول مار غريغوريوس •

أن الاستحالة بهذا المعنى الذى مر شرحه ، ولئن كانت حدثا يفوق ادراك العقل البشرى مما يصده عن الايمان به ، الا انه امر ممكن الحدوث لانه يتم بقوة الله القادرة على كل شيء كقول الكتاب «لان كل شيء مستطاع عند الله» (مر ١٠:٢٧) ولنا فى الطبيعة امثال عديدة تكشف القناع عن حقيقة الامر من ذلك :

١ ــ ان الخبز والخمر بقوة طبيعية يستحيلان الى اللحم والدم فى الانسان فنأخذ برهانا من هذا التشبيه بسهولة •

٢ ـ من حيث ان جسد الكنيسة (رو ١٢ : ٤و٥) و (اكو ١٠ : ١٧) واحد يتركب من اعضاء كثيرة متحدة بعضها ببعض هكذا يتشبه هذا الاتحاد الجميل فى عنصرى الخبز والخمر ، فالخبز يتكون من حبات حنطة كثيرة ، والخمر من عنبات كثيرات وبهذا اشارة الى أن نحن الكثيرين نتحد بعضنا ببعض برباط هذا السر الالهى ونصبح جسدا واحدا •

هذا ونرى أمثلة كثيرة فى الكتاب المقدس تلقى ضوءا على ذلك منها تحويل الماء الى خمر فى قانا الجليل ، وعصا موسى الى حية ، ومياه النيل الى دم ، وامرأة لوط الى عمود ملح •

الفصل الثامن

مفعول سر القربان

ما أغزر انعام هذا السر وما اخصب خيراته ، انه نبع ثر يتدفق نعما وهبات وعطايا • كيف لا وهو المسيح بالذات ينبوع كل الهبات السماوية ومصدر سائر العطايا الالهية ، منه تستمد الاسرار الاخرى قداستها وكمالها وسموها ونعمها وقوة مفاعيلها ، فأعظم اذا واكبر بهذا السر أيها المؤمن •

وقد لخص اللاهوتى الكبير مار ايوانيس الدارى النعم التى ننالها بواسطة هذه الذبيحة فى أربعة أمور • ١ ـ انها تطهر نفوسنا وتنقى قلوبنا وتمنحنا قوة عظيمة للتغلب على اهواء الخطية • ٢ ـ تجعلنا اولادا لله ومساوين للملائكة • ٣ ـ تبعد عنا الموت الروحى وتجتاز بنا منطقة الامم • ٤ ـ تقلد نفوسنا سلاحا روحيا ضد الاهواء الرديئة التى تثيرها فينا قوى الشر والهلاك • ويضيف قائلا انها الغذاء الذى ينمينا فى الحياة الروحية ويوحدنا مع المسيح ويثبتنا فيه كقول السيد المسيح «من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه» (يو ٦ : ٥٦) وقوله «من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الاخير » (يو ٦ : ٥٤و٥٨)

الفصل التاسع

التنـــاول

اولا ـ وجوبه

لما كان هذا السر مصدر مغفرة الخطايا ونوال الحياة الابدية والنعـــم الاخرى المار ذكرها ، ولما كان الرب قد وعد تلاميذه والمؤمنيـــن به قائلا : «ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشـــربوا دمه فليس لكم حيـــاة فيكم » (يو ٦:٥٣) اتضح لنا ان التناول اصبح واجبا مفروضـــا لا بل من اوجـب الواجبات ، لاسيما وان السيد المسيح قد أمرنا ان نأكل جسده ونشرب دمـه بقوله : «خذوا كلوا هذا هو جسدى» وعن الكأس «اشربوا منها كلكم لان هذا هودمى»(مت ٢٦:٤٦ـ٢٨) •واقتداء بالسيد المسيح فقدقضت الكنيسةوابمت على الاشتراك بالسرين بموجب قوانين ، وخصت بذلك ايام الاصـــوام المفروضة ولاسيما خميس الاسرار • قال العلامة ابن العبرى (يخطـــىء من يتأخر عن االاشتراك فى جسد الرب ودمه بقصد الاهمال ، ويخطىء بالاكثر من يتأخر عنه بحجة عدم الاستحقاق ورهبة السر ، متخذا من ذلك ذريعـــة استنادا الى قول الرسول بولس «لان الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفســـه غير مميز جســـد الرب (١كو ١١:٢٩) أن هذه الحجة مصيدة الشيطان ونوع من أشراكه يصطاد بها المؤمنـــين ، فيمتنعون عن الاشتراك فى الاسرار ، فتكمل بذلك رغبته • لذا ينبغـــى ان نهتم بأن نشترك باستحقاق ونؤدى واجبنا) • ومن يمتنع عن الاشتراك ويهمل هذا الواجب فليتأمل قول الرب « الحق الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسـد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم» (يو ٦:٥٣) وقول الرســول بولس «فكيف ننجو نحن أن اهملنا خلاصا هذا مقداره» (عب ٢:٣)

ثانيا ـ فى التناول من الشكلين

كانت الكنيسة قديما تناول المؤمنين من الشكلين استنادا الى قول الرب «خذوا كلوا هذا هو جسدى ، واشربوا منها كلكم لان هذا هو دمـــــى» (مت ٢٦:٢٦) ثم تطورت العادة مراعاة للظروف فصار الكاهن يغمس الجسد فى الكأس ويناول المؤمنين وقد كانت هذه الطريقة تمارس فى الكنيسة حتى ايام أبن العبرى ١٢٨٦ + ثم تطورت هذه العادة فصار الكاهن يبلل الجواهر بالدم الذى فى الكأس خلال رتبة القصى ويناول المؤمنين بعدئذ أما الاكليروس أساقفة وقسسا وشمامسة ، فيجب ان يتناولوا من الشكلين فاذا كان المنـاول أسقفا أو كاهنا ناول القسس والشمامســة بالملعقة واذا كان طالب التنـاول أسقفا صعد بنفسه الى درجة المذبح • اذ لايجوز للكاهن ان يناول اســـقفا (هدايات ٤:٥)

فالتناول من الشكلين كما نرى ، امر فرضه الرب يسوع بقوله: «الحق الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم» (يو ٦:٥٣) فالحصول على الحياة الابدية مشروط بتناول الشكلين اى اكل الجسد وشرب الدم ، وقد أتم السيد وعده ، اذ اعطى جســـده ودمه تحت شكلى الخبز والخمر ، وذلك ليلة الامه •

ثالثا ـ وجوب الاستعداد للتناول :

ان الذين يتقدمون من المائدة السماوية هم على ثلاث فرق مختلفة •

١ ـ الذين يأخذون السر أخذا فقط ، وهم الخطاة الذين لايخجلون من أن يتناولوا الاسرار بالفم وبالقلب الدنسين ، وعنهم قال الرسول « يأكلون جسد الرب ويشربون دمه بدون استحقاق (١كو ١١:٢٧) وقال عن هؤلاء أحد آباء الكنيسة (من لايثبت فى المسيح ، ومن لايثبت به المسيح فلاريب انه لايكون قد اكل جسده روحيا وان أكله جسديا من الخارج) فمثـــل هؤلاء الذيـن

يتناولون جسد الرب ودمه وهم فى حالة الخطية يأكلون ويشربون دينونــة لانفسهم (اكو ١١:٢٩)

٢ ـ وهنالك من يأخذه بالروح فقط وهم اولئك الذين يتقدمــون بالشوق والهيام وهم مضطربون بالايمان الحى (غلا ٥:٦) الذى يعمل بالمحبة هــؤلاء ان لم يحصلوا على الفوائد برمتها فيحصلون على معظمها •

٣ ـ وهنالك من يأخذ الجسد سرا وبالروح وعنهم قال الرسول «بعد ان فحصوا انفسهم » (١كو ١١:٢٨) وتحلوا بلباســس الوليمة (مت ٢٢:١١) يتقدمون من هذه المائدة السماوية ويجنون الثمار الشهية الطيبة

لذلك فان هنالك شروط وواجبات تفرض على الذين يقتربون من المائدة السماوية منها :

أ ـ ان يفكر الانسان فى سمو هذا السر مؤمنا ايمانا راسخا بانه جسد المسيح ودمه الحقيقيين الذى تسجد له الملائكة فى السماء وترتعب الســماء ذاتها من اشارته ، والسماء والارض مملؤتان من مجده هذا هو «التمييز الذى حث عليه الرسول بولس » (١ كو ١١:٢٩)

ب ـ ليفحص الانسان نفسه وضميره ويدرس علاقاته مع الآخريــن (مت ٥:٢٣و٢٤) للتأكد من اهليته كقول الرسول «ولكن ليمتحن الانســان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس» (اكو ١١:٢٨)

ج ـ ان يقدّم توبة نصوحا وندامة كاملة ، واعترافا شخصيا امام كاهن شرعى •

د ـ تنقية القلب من كل خطية •

هـ ـ اثارة الشوق فى النفس الى هذا السر ، «كما يشتاق الايل الى جداول المياه هكذا تشتاق نفسى اليك ياالله » (مز ٤٢ :١) • هذا مايتعلـق بالنفس •ويجب على المؤمن ان يستعد للتناول جسديا ايضا ، فيتقدم بأحترام لائق

صائما من منتصف الليل ، وان يمتنع المتزوجون عن المعاشرة الزوجية قبل التناول بايام (الهدايا ٤ : ٢) وان يحضروا القداس الالهى منذ ابتدائه .

٤ ـ تناول الاطفال من سر القربان المقدس :

كما اعتادت الكنيسة منذ العصر الرسولى ان تعمد الطفل ، كذلك اعتادت ان تناوله بعد العماد مباشرة ، جسد المسيح ودمه ليكون قوتا روحيا له لنيل الحياة الابدية . فالمسيح يقول «دعوا الاولاد يأتون الى ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت السموات » (مت ١٩ : ١٤) .

وقد اثبت هذه الحقيقة اباء الكنيسة والمجامع المقدسة ، ومما هو جدير بالذكر أن الكنيسة اطلقت على الحصول على الاسرار الثلاثة المعمودية الميرون والقربان ب (رتبة التنصير) .

الفصل العاشر

القداس الالهى

لقد دعا آباء الكنيسة السريانية القداس بأسماء عديدة نظرا الى مفاعيله منها اجتماع ، اشتراك ، تقرّب ، اسرار، قربان ، ذبيحة ، كمال الكمالات .

ان اول من رسم سر القربان فى الكنيسة ومارسه ، هو السيد المسيح الحبر الاعظم ، وذلك فى ليلة آلامه كما سبق شرحه ، واوصى تلاميذه ان يصنعوا على مثال ما صنع امامهم وأول من قام بهذه الخدمة بعد المسيح كما يخبرنا التقليد الكنسى هو القديس يعقوب اخو الرب ، ثم تناوب على ذلك الرسل جميعا ، وسلم الرسل هذه الوديعة الى تلاميذهم وخلفائهم وعلى هذا المنوال حفظ رسم خدمة الذبيحة المقدسة فى الكنيسة المقدسة الى يومنا هذا .

ويقوم بخدمة القداس الكهنة ويساعدهم الشمامسة بحسب الخدمات المخصصة لهم . وقد افرزت الكنيسة يوم الاحد ، يوما مقدسا ، اذ فيه قام

السيد المسيح من بين الاموات ، وفرضت ان يخصص لتقديم الذبيحة الالهية ضرورة ، ثم فى الاعياد والمواسم ويومى الاربعاء والجمعة من كل اسبوع . ولا مانع من أن يقام القداس فى كل يوم خلا ايام الصيام الاربعينى المقدس باستثناء يومى السبت والاحد والاعياد الواقعة فيه ، كما نهت الكنيسة اقامة القداس ايضا فى يوم جمعة الآلام ، لان المسيح فى هذا اليوم قدم نفسه ذبيحة دموية فوق الخشبة لذا لم تبق حاجة الى اقامة ذبيحة فيه[1] .

طقس القداس

يقسم طقس القداس الى ما يلى :

اولا — قداس التقدمة : ويقسم الى خدمتين الخدمة الاولى : تشير الى تقدمة ملكى صادق التى كان يقدمها فى عهد الناموس الطبيعى ، وكان خبزا وخمرا ثم تشير الى الحمل الذى ذبحه ابراهيم وافتدى به ابنه اسحق وفيها يتهيأ الكاهن للدخول الى المذبح بتلاوته سرا بعض صلوات وأدعية ، ثم يصعد الى درجة المذبح ويهيء الخبز والخمر وفى جميع مايعمل يتلو صلوات خاصة .

والخدمة الثانية : تشير الى تقدمات هارون وبنيه فى الناموس المكتوب ، وفيها يرتدى الكاهن ثيابه القدسية ، ثم يصعد الى درجة المذبح ويتلو صلاة التدابير ثم يبخر المائدة وملحقاتها .

ثانيا : رتبة القداس الاستعدادية: وتحتوى على السدورة والتبخير والتقديسات الثلاث والقراءات المقدسة وصلاة المدخل والتبخير وقانون الايمان الذى يتلى من قبل المؤمنين . وكان يسمى هذا القسم بقداس الموعوظين .

---

(١) اذا وقع عيد البشارة فقط فى جمعة الالام حينئذ يجوز الاحتفال بالقداس الالهى (التحفة الروحية) .

ثالثا : قداس المؤمنين وفيه خمسة أقسام :

القسم الاول : يحتوى على الصلوات الثلاث السلام ووضع اليد وصلاة الحجاب .

القسم الثانى : وهو بدء القداس وحتى الاستحالة الجوهرية ، ويحتوى على مباركة الكاهن المؤمنين ودعوته اياهم الى رفع عقولهم وافكارهم الى العلى ، وصلاة الشكر ، وتسبحة الغلبة ، والاقوال الجوهرية ، ووصية الرب بذكر موته ، وذكر التدبير الالهى ، فابتهال فتسبيح فدعوة الروح القدس فالاستحالة الجوهرية ، فالخاتمة .

القسم الثالث : ويحتوى على التذكارات الستة ، الثلاثة الخاصة بالاحياء والثلاثة الخاصة بالموتى ، وصلاة ومنح البركة والكسر والرشم والقاثوليق .

جاء فى كتاب اللؤلؤ المنثور ص ٦٧ طبعة اولى ما يلى : (الشملايات او التذكارات الستة للاحياء والموتى وعندنا منها ثلاثة او أربعة انواع بين مطولة ومختصرة ، وتعرف المطولة بالشملاية الشرقية لاستعمالها فى كنيسة الشرق أى اللائذة بكرسى تكريت . والخامسة أى شملاية الآباء الملافنة يتلوها شماسان مناوبة فى اثناء الصيام الكبير فى كنيسة الموصل وما والاها حتى اليوم ، وهى مجهولة فى بقية البيع وتشتمل على اسماء غالب ملافنة البيعة ومفارنة تكريت من عهد احودامه حتى المفريان صليبا الاول ١٢٣١ وتحوى بعض النسخ اسم المفريان الذائع الصيت غريغوريوس ابن العبرى سنة ١٢٨٦ يتخللها نفر من اساقفة المشرق ونساكه القديسين ، وقد انطوت على وصف مستبدع مسهب او وجيز لما تميز به كل منهم من الفضائل والسجايا وجلائل الاعمال ولا يخلو طرف منها من اطناب) .

القسم الرابع : ويحتوى على الصلاة الربانية التي تتلى من قبل المؤمنين

وصلاة وضع اليد ومنح البركة وشروط التناول والتشمشت[1] . والوعظ والدورة .

القسم الخامس : صلاة الشكر والخاتمة وتسريح المؤمنين[2] .

الفصل الحادى عشر

رشم الكأس

لما كانت الكنيسة قد نهت عن اقامة القداس فى أيام الصيام الاربعينى المقدس خلا ايام السبوت والاحاد والاعياد فقد نظمت الكنيسة طقسا سمته (برشم الكأس) يقام بعد صلاة ظهر الصيام ، كما واستعمل هذا الطقس والنساك والمتوحدون فى الايام البسيطة[3] .

طقس رسم الكأس

قال مار سويريوس الانطاكى (بعد أن يتلو الكاهن الحوساى ويضع البخور ، يتلو المؤمنون قانون الايمان ثم يمنح الكاهن السلام ويختم الشعب بثلاثة صلبان قائلا (لتكن مراحم الله) ثم يأخذ الجمرة ويرشم بها الكأس على مثال الصليب ثلاثا قائلا (لكى يوحّد ويقدس ويحوّل هذا الكأس الى دم المسيح الهنا الخلاصى لمغفرة الخطايا ...) ثم يصلى الصلاة الربانية ، فصلاة أخرى ، ثم يمنح السلام ، يتلو بعده صلاة على الشعب . يمنح السلام ويختم الشعب بقوله (لتكن نعمة الخ .) ثم يقول الشماس (لنتطلع بخوف) الخ ويعقبه الكاهن بقوله(لتعطى الاقداس) (الأسرار) للقديسين)ثم يقول الشعب

---

(١) راجع كتاب تفسير القداس للراهب أسحق ساكا ترى شرحا وافيا للقداس .

(٢) واعتادت الكنيسة قديما ان تتلو قبيل نهاية القداس صلاةمسهبةمن أجل المرضى ومن اثابتهم المحن والافات ، ثم أهملت وأستبدلت بطلبة عربية وجيزة (اللؤلؤ المنثور ص ٦٨)

(٣) اللؤلؤ المنثور والهدايات ٤:٨ .

(واحد هو الآب الخ) ثم يتناول الكاهن ويناول الشعب • ثم يتلو صلاة الشكر فصلاة على الشعب ويختم •

قوانين كنسية حول طقس رسم الكأس

(عن الهدايات لابن العبرى)

قال يعقوب الرهاوى :

١ ـ لا يجوز ان يترك الكأس لليوم التالى لئلا يفسد ويقع من تركه تحت طائلة الخطية فاننا نجد فى (العهد القديم) ان الله تعالى قد أنزل عقاب الموت بالكهنة الذين لم يأكلوا ذبيحة التيس المقدم عن الخطية بل تركوه حتى الصباح التالى • ويجوز ترك الكأس فى حالتين أ ـ لحفظه لأجل المرضى المدنفين ٢ ـ لحفظه لاجل الذين يصومون حتى ساعة متأخرة من المساء• وفى استطاعة الكاهن أن يقوم بخدمة رشم الكأس ثلاث مرات فى الاسبوع طالما يوجد الجسد المقدس وذلك عندما تدعو الحاجة الملحة •

قال يوحنا التلى : (لم نجد أى نص عن عدد المرات التى يجوز لخادم سر رشم الكأس ان يستعمل الجمرة الواحدة) أما ابن العبرى فيرتئي ان تطرح الجمرة فى الكأس ويتناولها الكاهن (هدايات ٤:٨) •

عندما يرسم الكاهن الصلبان على الكأس يجب ان يأخذ الجمرة بيده ويجعلها أن تلامس الخمر الموجودة داخل الكأس •

الفصل الثانى عشر

قوانين منتخبة خاصة بسر القربان عن كتاب الهدايات لابن ألعبرى

نهت القوانين الكنسية عن ان يقدس الخادم مرتين فى اليوم الواحد كما نهت عن التقديس على مذبح واحد مرتين فى اليوم •

لايجوز لكاهن الرعية ان يقيم القداس بدون شماس يخدمه •

يدخل الكاهن المذبح ويحتذى حذاء نظيفا • والافضل ان يكون له حذاء خاص للخدمة •

ان وجد قربان على المذبح فيلزم ضرورة ان نوقد شمعة الى جانبه دائما

قال يعقوب الرهاوى : لايجوز تناول القربان فى البيوت الا فى حالة المرض وذلك بواسطة الكهنة •

قال البطريرك قرياقس : لا يجوز للشماس بوجود الكاهن ، ان يجزىء القدسات • وامرت القوانين الكنسية ان تحفظ القدسات بالكنائس فقط ونهت عن حفظها فى اماكن اخرى •

قال مار يعقوب الرهاوى : « اذا تعفن الجسد نتيجة أهمال الكاهن ، فلينقع بخمر ممزوجة ، وليتناوله الاكليروس فقط لا العلمانيون ، اذ لايجوز طرحه • ومن تجرأ على ذلك فليفرض عليه القانون • وقد استحسن بعض الآباء أن يطرح الجسد المتعفن فى ماء البئر ، ويحفظ ذلك الماء شرابا للمؤمنين• وفى حالة تنظيف البئر يطرح الوحل فى حقل نظيف » • وقال ايضا : « واذا انسكب الدم المقدس بدون تعمد ، فاذا كان المحل الذى انسكب فيه ترابا أو خشبا وجب ان يخرط ، وتطرح الخراطة فى النار • وان كان المحل حجرا ، فلتوضع عليه جمرات نار •

قال مار رابولا الرهاوى : « اذا سقط بعض الفتات من الجسد على الارض ، يجب أن يبحث عنها باهتمام بالغ • واذا عثر عليها او لم يعثر عليها، وجب خرط مكانها اذا كان ترابيا وجبل ذلك التراب بالماء ومنحه للمؤمنين بركة » •

وقال البطريرك ثيودوسيوس : «اذا لامست القدسات ثياب العلمانيين، فلتغسل بعناية بالغة ومن ثم تستعمل» •

اذا بليت الآنية المقدسة واضحى استعمالها غير لائق ، فاذا كانت مصنوعة من ذهب أو فضة أو نحاس يجوز صهرها وصياغتها ثانية على أن تستعمل للخدمة نفسها •

الباب الخامس

سر التوبة والاعتراف

الفصل الاول

تعريف سر التوبة والاعتراف

سر التوبة والاعتراف عمل مقدس، به ينال المؤمن التائب المعترف أمام كاهن شرعى بجميع خطاياه التى فعلها بعد المعمودية ، نعمة الغفران بقوة الروح القدس . فيتجدد ويتقدس ويعود الى ما كان عليه فى الساعة التى خرج فيها من المعمودية .

الفصل الثاني

انواع التوبة

التوبة نوعان باطنة وظاهرة ، **فالتوبة الباطنة** ضرورية جدا للانسان ، عليه ان يروض نفسه عليها اذ بدونها لاتفيد التوبه الظاهرة ، وهذه التوبة هى العودة الى الله من كل النفس ، والاشمئزاز من الخطايا و كرهها والندم عليها بحزن وألم . والعزم على عدم العودة الى الاعمال الفاسدة ، وذلك بالاتكال على رحمة الله ومساعدته وقد سمى بعض الآباء هذه التوبة «توجع النفس» بل «فضيلة» . وقد حثنا الرب على ممارستها بقوله «توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات» (مت ٤:١٧)

يقف البشر ازاء الحزن على ما اقترفوه من الخطايا ، مواقف شتى . فمنهم من يفرح بصنع الشر كقول صاحب الامثال «الفرحين بفعل السوء المبتهجين بأكاذيب الشر» (ام ٢:١٤) واخرون يحزنون قليلا على خطاياهم

وغيرهم يخضعون انفسهم للحزن والالم الى درجة اليأس من خلاصهم مثل قايين الذى قال : «ذنبى اعظم من ان يحتمل»(تك ٤: ١٣)ويهوذا الاسخريوطى الذى خنق نفسه يائسا • أما نوع الحزن المطلوب فى التائب الحقيقى فيكون مشروطا بما يلى :

١ - العزم على ترك الخطية • ٢ - العودة الى محبة الله والتعلق باهداب الفضيلة٣ - ممارسة الاعمال الصالحة التى ترضى الله جل اسمه• وكيفية البلوغ الى ذلك يتم بالاتكال على مراحم الله التى تشد ازر الانسان ، وتكون له عوناً فتنشل قلبه من حمأة الخطية وتقربه اليه تعالى كقول النبى داود « ارجعنا (مز ٦٠: ١) وتضىء القلب بنور الايمان كقول الرسول بولس «ولكن بدون ايمان لايمكن ارضاؤه لانه يجب ان الذى ياتى الى الله يؤمن بأنه موجود وانه يجازى الذين يطلبونه » (عب ١١: ٦) ثم يتقوى الانسان ويتشجع بالرجاء لاصلاح سيرته واعماله ، فينال نعمة الله التى هى مغفرة الخطايا (مت ٩: ٢) وبالتالى يبلغ ذرى هذه الفضيلة اذ يضطرم القلب بمحبة الله •

اما التوبة الظاهرة فهى التى تتم ممارسة سر التوبة والاعتراف ولها علامات محسوسة تشير الى ما يحدث داخل النفس معلنة التوبة الباطنة • وقد اسس سر التوبة السيد المسيح بعد قيامته ، حين نفخ فى وجه رسله الاطهار وقال لهم « اقبلوا الروح القدس ، من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه أمسكت» (يو ٢٠: ٢٢و٢٣)فبهذا اعطاهم الرب سلطان حل الخطايا وربطها وذلك بقوة الروح القدس وهنا استوفى سر التوبة جميع شروط السر المطلوبة • فقد أصبح عملا مقدسا به ينال المؤمن نعمة غير منظورة تحت علامات محسوسة ، والنعمة غير المنظورة هى المغفرة التى يحصل عليها بممارسة السر •

الفصل الثالث

فى قبول التوبة ومغفرة الخطايا

قال العلامة ابن العبرى (انه لامر ثابت منطقيا وكتابيا أن الله رحيـــم وشفوف • فمن حيث المنطق ان رحمة الله تقاســـ اما بالنسبة الى الذيـــن يستحقونها ، واما بالنسبة الى الذين يستحقون العذاب • فالاول غير صـــحيح، لان مكافأة المستحق لاتدعى رحمة ، ولا اعطاء اجر كما قيل انهم يكـافأون بكيل ملبد مهزوز فائض (لو ٦:٣٨) يدعى كذلك • فالذى يحصـــل على النعيم مكافأة له أو عن اجر لايحتاج الى رحمة لذلك فان منح اجر له في هذه الحالة ، لاتدعى رحمة بل نعمة فقط • اذا يكون الامر الثانى صحيح أى ان الرحمة تقاس بالنسبة الى الخطاة الذين يستحقون العذاب بسبب خطاياهـم، وعند توبتهم يرحمون ،فتوبتهم تكون سببا لنيلهم الرحمة ،فينجون من العذاب• واما من حيث البراهين الكتابية فقد اجمعت الاسفار الالهية على ان الله يكفر عن الذنوب ويغفر الخطايا وحيث انه لايعقل ان تكون هذه المغفــــرة للذين لم يخطئوا ، لذلك فانها تكون حتما للذين اخطأوا وقدموا توبة نصوحا كما قـال صاحب المزامير «فنظر الى ضيقهم اذ سمع صراخهم وذكر لهم عهده ونـــدم حسب كثرة رحمته » (مز ١٠٦:٤٤و٤٥) وقال اشعيا ليترك الشرير طريقه ورجل الاثم افكاره ، وليتب الى الرب فيرحمه والى الهنا لانه يكثر الغفران (اش ٥٥:٧) وقال حزقيال «انى لاسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا » حز ٣٣:١١) وقال السيد المسيح « لانى لم آت لادعـــو أبرارا بل خطاة الى التوبة» (مت ٩:١٣) و «لايحتاج الاصحاء الى طبيـــب بل المرضى» (مت ٩:١٢) و «هكذا يكون فرح فى السماء بخاطىء واحـــد يتوب» (لو ١٥:٧) •

بدعة نوبطيان فى التوبة : ظهر فى مدينة روما فى القرن الثالث شخص

يدعى نوبطيان وكان قسيسا يطمح الى الكرسى الرومانى بعد استشهاد الاسقف فابيانس • ولما لم يفلح أستعان ببعض الاساقفة فرسموه اسقفا دخيلا على روما وعرف اتباعه « بالانقياء » لادعائهم الطهر والنقاء وتتطرفوا في أمر المرتدين وارتأوا عدم قبولهم في عداد المؤمنين • وذهبوا الى أن كل خطيئة تفعل بعد المعمودية لاتغفر • ولما عقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ كان يمثلهم فيه الأسقف انوسيوس فسأله الملك قسطنطين فى ما اذا كان موافقا على صورة الايمان التى صاغها المجمع ام لا ؟ فاجابه نعم اوافق • فقال له الملك اذا لماذا انتم منشقون عن الكنيسة ؟ فأجاب : أننا لانوافق على وجوب قبول الذين يقترفون خطايا الموت بعد المعمودية• قال الملك : اذا انصب لك سلما واصعد الى السماء لوحدك • ثم بحث المجمع النيقاوى امرهم وسن القانون الثامن الذى أنهى مشكلتهم بالرجوع عن غيهم وخضوعهم لاوامر الكنيسة ومعتقداتها •

وقد ماثلهم بالاعتقاد ايضا بلاجيوس واتباعه الذين زعموا ان الانسان اذا قبل الروح القدس يصير منزها عن الخطأ تماما •

ابن العبرى يستعرض اعتراض النوباطيين ويرد عليها

الاعتراضات المنطقية والرد عليها :

الاعتراض الاول : ان قبول التوبة فى كل حين سبب فى تشجيع البشر على اتيان الخطايا والتمادى فيها اذ (يقولون فى انفسهم نخطىء ونكمل رغباتنا ثم نتوب) وهكذا دواليك حتى انهم لايتورعون من ارتكاب الخطايا الكبيرة ، ولما كان قبول التوبة يفسح مجالا للتمادى فى الخطايا والاكثار منها فعدم قبولها يصد الناس عن خطايا كثيرة • لذلك فان عدم قبول التوبة خير من قبولها •

الرد :ان التوبة التى تتحدثون عنها ليست بمقدورها ان تغفر الخطايا

انما التوبة الحقيقية هى التى تتناول الازمنة الثلاثة أ ـ الندامة على الخطـايا التى ارتكبت فى الماضـــي •

ب ـ ترك الخطايا التى تفعل فى الحاضر •

ج ـ الوعد الاكيد بعدم اتيان الخطية فى المستقبل وظاهر أن هذه التوبة تختلف عن التوبة التى تتحدثون عنها ، فعدم قبول التوبة الحقيقية يبعـــد كثيرا عن الله ، لانه يضع قانونا فوق طاقة البشر اذ يجعلهم ييأسون من اصلاح سيرتهم •

الاعتراض الثانى : ان افضل الطرق وانجح الوسائل للتطهير من أوساخ الخطية هى المعمودية ، وحيث أنه ليس هنالك أكثر من معمودية واحدة ،لذلك لم يبق هنالك وسيلة أخرى للتطهير بعد المعمودية •

الــرد : لو كان غفران الخطايا محصـــــــورا بالمعمودية وحدها ، لكان اعتراضكم صحيحا ، والحال ان الامر ليس كذلك فان غفران الخطايا ليس محصورا بالمعمودية بل بوسائل أخرى ،كالدموع والآلام والاصوام والصلوات وما أشبه وافضل هذه الطرق جميعا الاستشهاد • ويقول القديس غريغوريوس اللاهوتى فى دحض هذا الرأى : اذا كان الأمر كذلك اذا لرفضت توبـــة داود ونزعت عنه نعمة النبوة ورفضت ايضا توبة بطرس ولما عاد الى رتبتــه الاولى •

الاعتراض الثالث : لو كانت التوبة ماحقة الخطايا لكانت أقوال الكتاب المقدس باطلة اذ تنادى على رؤوس الاشهاد بأن المكافأة تقاس بالاعمال فان الذى كان فى كل ايامه شريرا كافرا وتاب فى آخر حياته ، فان لم يعذب مثل هذا فكيف يصح قول الكتاب القائل «لانه بنفس الكيل الذى به تكيلون يكال لكم» **(لو ٦:٣٨)** ولما كان قبول التوبة يبطل أقوال الكتاب ويكذبهـــا فهو غير صـــحيح •

الــرد : ولئن كانت الكتب المقدسة قد قاست المكافأة بالنسبة الى الاعمال

الا أنها فى الوقت نفسه دعت الناس الى التوبة ووعدتهم بالمغفرة ولا يستبعد ان تكون الكتب المقدسة قد عنت بتلك الاقوال اولئك الذين يموتون بخطاياهم دون أن يقدموا توبة فحينئذ يجازون بحسب اعمالهم الشريرة •

الاعتراض الرابع : لو كانت التوبة مقبولة لوجد الزناة والفجار الذين تابوا يفوقون النساك والاتقياء سعادة ، لان اولئك يحصلون على مختلف أنواع السعادة فى العالمين ، اما الآخرون فسعادتهم محصورة فى العالم الثانى • ويا ليتهم لم يرتاحوا ولم يتعذبوا أيضا فى هذا العالم ، بيد أن الامر واضح أنهم يتحملون ضروبا من الضيقات وألوانا من العذابات على حين أن الخطاة يتنعمون ويلتذون ويفرحون •

الرد : ان هذا الاعتراض واه جدا لانه يسمى راحة هذا العالم الزمنية الباطلة سعادة ، ولانه أيضا يجعل للابرار الذين لم يخطئوا قط وللتائبين ، مكافأة واحدة متساوية •

الاعتراضات الكتابية والرد عليها

أولا : **الاعتراض الاول** : قال داود النبى «اغسلني كثيرا من اثمى ومن خطيتى طهرنى» (مز ٥١:٢) ومن هذا القول استدلوا على أن المعمودية هى التى تغسل الخطية وتطهر الذنب وبما أن المعمودية لاتقبل سوى مرة واحدة ولاتعاد ، فالذى اعتمد اذن وأخطأ ، لايمكن أن تغسل خطيته ويطهر من ذنبه •

الاعتراض الثانى : قال اشعيا « اغتسلوا تنقوا شر افعالكم •• ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج » (اش ١:١٦ و١٨) •

الرد :سبق ان بينا ان الخطايا لا تغفر بواسطة المعمودية فقط •

الاعتراض الثالث : قال الرب « ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة الى الابد » (مر ٣:٢٩) •

ان الرب هنا يقول بصراحة بوجود خطايا لا تقبل الغفران أبدا فكيف يمكن ان تغفر جميع الخطايا مهما كان نوعها وفى أى وقت كانت ؟

الـرد : ولئن قال الرب ان التجديف على الروح القدس لايغفر ، ولكنه لم يقل حتى بعد التوبة ايضا .

الاعتراض الرابع : قال يوحنا الرسول « ان رأى احـــد اخاه يخطىء خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت توجد خطية للموت» **(١يو ٥:١٦)** فهنا الرسول يوحنا يتحدث عن الخطايا التى لاتغفر .

الـرد : ان خطية الموت هي التى يموت فيها الانسان دون ان يتوب أما غفران الخطايا الذى نحن بصدده فيجب ان يكون مقرونا بالتوبة التى تعتبـر شرطا أساسيا له .

الاعتراض الخامس : قال بطرس الرسول « لانه اذا كانوا بعدما هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح يرتبكون أيضا فيها فينغلبون فقد صارت لهم الاواخر أشر من الاوائل » **(٢ بط ٢:٢٠)** فهنا نرى ان الرسول يشير الى الخطايا التى اقترفت بعد الايمان والمعمودية .

الـرد : أن هذا القول عبارة عن تحذير من الشهوات الاولى لاعلى عدم الغفران .

الاعتراض السادس : قال الرسول بولس « لان الذين استنيروا مـــرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمـــــة الله الصالحة...وسقطوا ...لا يمكن تجديدهم أيضا للتوبة» **(عب٦:٤ـ٧)**.

الـرد : ان هذه الاقوال تشير الى المؤمنين الذين يخطئون بعد المعمودية بصعوبة بالغة ولا تعنى عدم امكان مغفرة خطيتهم .

الاعتراض السابع : قال الرسول بولس « لا تضلوا لا زناة ولا عبـــدة اوثان ولا فاسقون يرثون ملكوت الله » **(١ كو ٦:٩و١٠)** .

الـرد :مما لا شك فيه ان الذين يرتكبون هـذه الخطايا ولا يتوبون ، لا يرثون ملكوت الله ، أما ان تابوا فيرثوها •

الفصل الرابع

مفعول التوبـة

يصح القول فى التوبة المثل القائل : (جذورها مرة وثمارها شـــهية طيبة) ان مفعول التوبة يتلخص بعودة الانسان الى الله والالتصاق بمحبتـــه والاتحاد به والثبات فيه وباستحقاقه الحياة الابديه ، وبذلك يرتاح ضميره وتطمئن نفسه ، اذ تخلص من الخطية ، لانه لا يوجد خطية الا وتغفر بواسطة سر التوبة كقول حزقيال « فاذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلهـــا وحفظ كل فرائضى وفعل حقا وعدلا فحياة يحيا • لايموت» (حزقيال **٢١:١٨)** وقال يوحنا الرسول « ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنـــا خطايانا ويطهرنا من كل اثم» **(١ يو ٩:١)** وقال ايضا « وان اخطأ أحد فلنا شفيع عند الاب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا » **(ايو ٢:١و٢)** •

الفصل الخامس

فى أنواع الخطايا

قال ابن العبرى فى كتابه منارة الاقداس والاشعة ما خلاصته (الخطايا نوعان كبيرة وصغيرة بدليل قول الرب « قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن وأما أنا فاقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بهـا فى قلبـه » **(مت ٥:٢٧و٢٨)** بهذا اوضح الرب بأن الخطايا ، القتل الزنى ، الحمق هى أكبر من خطايا الغضب باطلا والقول للاخ راقا • لانّ الخطايا الكبيرة هى التى

تخرج من القلب وتدنس الانسان فلا يرث مرتكبها ملكوت الله وهذه الخطايا التجديف ، القتل ، الزنى ، الفجور ، عبادة الاصنام، الخطف، السرقة، الظلم السكر الكذب وشهادة الزور وقد أشار اليها الرسول بولس في (١ كو ٦:٩ و١٠) أما الخطايا الصغيرة فهي التى أشار اليها أيضا الرسول بولس فى رسالته الى أهل كورنثوس بقوله « لانى أخاف اذا جئت ان لا أجدكم كما أريد واوجد منكم كما لا تريدون أن توجد خصومات ومحاسدات وسخطات وتحزبات ومذمات ونميمات وتكبرات وتشويشات (٢ كو ١٢:٢٠) • فهذه وما يشبهها خطايا صغيرة وان غفران جميع الخطايا سواء أكانت كبيرة أم صغيرة ، خاص بمفعول التوبة اذ بدونها لا يستطيع أحد ان يحصل على غفران الخطايا فقد قيل فى (لوقا ١٣:٣) «ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» •

كذلك يصنف ابن العبرى الخطايا بالنسبة الى من تقترف بحقه الى ثلاثة أصناف • فالكبيرة هى التى توجه ضد الله تعالى والوسطى هي التى توجه ضد القريب والصغرى هى التى يقترفها الانسان ضد نفسه •

الفصل السادس

شروط سر التوبة والاعتراف

مادة السر :

ان مادة سر التوبه ، تختلف عن مواد الاسرار الباقية التى هى أشياء طبيعية محسوسة على حين ان اعمال التائب فى سر التوبة هى المادة وهذه هى الندامة والاعتراف اللذان يطلبان من التائب لاكتمال السر • كما انهما يدعيان أيضا جزئى التوبة •

صورة السر : هى الكلمات التى يتلوها الكاهن على التائب بعد ان يسمع اعترافه وهى «فليرحمك الرب الاله ويقودك الى الحياة الأبدية •بقوة سلطان الكهنوت

الشريف الذى سلمه سيدنا يسوع المسيح لرسله القديسين والرسل سلموه الى خلفائهم حتى وصل الى ضعفى احلك من جميع خطاياك التى اعترفت بها وانت نادم عليها ومن كل ما لم يخطر على بالك لتسامح وتقدس باسم الاب والابن والروح القدس آمين) ، وهذه الصورة ليست مبنية فقط على قول الرب « كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطا فى السماء وكل ما تحلونه على الارض يكون محلولا في السماء » (مت ١٨:١٨) ، بل استمدتها الكنيسة من تعليم الرب أيضا الذى اقتبلته من الرسل عن طريق التقليد ولذلك يجوز أيضا أضافة صلوات وأقوال أخرى الى صورة السر • وكانت الكنيسة تستعمل قديما طقسا خاصا بالتوبة أسوة بالطقوس الاخرى •

خادم السر : أما خادم السر فهو الكاهن الشرعى •

الفصل السابع

فى شروط التوبة

للتوبة شرطان وهما ١ـ الندامة ٢ ـ الاعتراف بالخطايا أمام الكاهن الشرعى • وهما اساسيان لايمكن الاستغناء عن أحدهما أبدا • وهما متحدان معا ومتماسكان وذلك لان الخطية تعمل ضد الله فى الفكر والقول والفعل •

١ ـ الندامة

تعريف الندامة : هى حزن القلب وانسحاقه وكره الخطية مع التعهد بالابتعاد عنها بالمستقبل •

انواع الندامة : الندامة نوعان كاملة وغير كاملة • فالكاملة هى ما كانت كراهية الخطية فيها صادرة عن الميل الى صلاح الله المحبوب لذاته وغير الكاملة هى التى تحصل خوفا من جهنم وطمعا بالسعادة الابدية • والندامة الكاملة هى ما كانت مقرونة :

١ ـ بالحـــزن : لان الحزن اليف التوبة ، وليس هـــو التوبة بالذات ، أنما هو تعبير عن كره الانسان للخطية ، والابتعاد عنها وقد اعتاد الكتاب المقدس ان يسمى الندامة حزنا كقول المرتل الالهى : (مز١٣:٢) « الى متى أجعل هموما فى نفسى وحزنا في قلبى كل يوم » وأن الالم الناتج عن كره الخطية يجب ان يبلغ ذروته لان الندامة الكاملة هى عمل المحبــة (١ يو ٤:١٨) • وواضح أن المحبة والالم بجب أن يكونا متساويين وحيث أن المحبة التي نحب بها الله هى محبة كاملة ، لذلك يجب أن يرافق الندامة الالم القلبى الشديد الكامل فكما أننا ملزمون أن نحب الله كثيرا ، هكذا يجب أن نكره كل ما يبعدنا عنه وان الكتاب المقدس يجعل عظم المحبة وعظم الندامة بمنزلة واحدة فى اثناء كلامه عنها • فقد قيل عن المحبــة (تث ٦:٥) « فتحب الرب الهك من كل قلبك » وقال عن الندامـــة (يوئيل ٢:١٢)«ارجعوا الي بكل قلوبكم » • وهب أن هذا الالم كان غير كامل الا أن الندامة فى هذهالحالة تكون أيضا حقيقية ولها مفعولها اذ كثيرا ما يحدث أن الامور الحسية تؤثر فى الانسان أكثر من الامور الروحية لذلك نرى الناس يتألمون على وفاة ذويهم أكثر من تألمهم على تدنسهم بالخطية ولكن ان كان الالم كاملا ، كان أمـــرا محمودا جدا ، لاسيما اذا كان مقرونا بالدموع والبكاء المر ، كتوبة أهل نينوى (يون ٣:٦) وداود (٢ صم ١٢:١٣) والخاطئة (لو ٧:٣٧و٣٨) وبطـــرس (مت ٢٦:٧٥) فقد وجد هؤلاء كلهم رحمة امام الله بدموعهم وحصلوا علـى غفران خطاياهم •

٢ ـ اصلاح السيرة : هى ان يضع النادم نصب عينيه العزم على اصلاح سيرته بعد قطع كل أسباب الخطية كقول حزقيال النبى (١٨ :٢١ و٢٢) « فاذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها وحفظ كل فرائضى وفعل حقـــا وعدلا ، فحياة يحيا • لايموت» وقال السيد المسيح للامرأة التى أمسكت

بالزنا (يو ٨:١١) «اذهبى ولا تخطئى ايضا» وقال ايضا للمخلع الذى شفاه «فلا تخطىء ايضا» (يو ٥:١٤) •

٣ ـ الاتكال الثابت على يسوع المسيح بالثقة والرجاء اذ بدون ذلك لاينفع العزم على اصلاح السيرة ولا الحزن الشديد • لذلك قال الكتاب «ليس بأحد غيره الخلاص لان ليس اسم آخر تحت السماء قد اعطى بين الناس به ينبغى ان نخلص » (أع ٤:١٢) •

فاذا ماتوفرت فى الندامة هذه الشروط فلايمكن أن يرفضها الله فهى مقبولة دائما كقول المرتل «القلب المنكسر والمنسحق ياالله لاتحتقره» (مز ٥١:١٧) فى حين ان الله فى بعض الاحيان يرفض اعمالا صالحة كثيرة كالرحمة بالمسكين واصواما وصلوات وما أشبه ذلك بسبب جهالة البشر •

٢ ـ الاعتراف :

تعريف الاعتراف وضرورته : الاعتراف بحسب التعريف الكنسى هو اقرار الخاطىء بأنواع الخطايا التى اقترفها ، وذلك امام كاهن شرعى • ان أعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم (١يو ١:٩)

ضرورته ان الاعتراف فى الكنيسة ضرورى جدا ونافع كثيرا لانه يكمل الندامة لان الحزن على الخطية والوعد بعدم الرجوع اليها لايكفى للحصول على الغفران الا اذا اعترف التائب اعترافا قانونيا بخطاياه امام الكاهن • عندئذ تغفر كل خطاياه بسلطان الكهنوت قال العلامة ابن العبرى (الانسان من حيث أنه يتركب من نفس وجسد ، فمن باب الضرورة وبحكم الواقع يجب أن يكون مرضه والشفاء منه اما نفسيين او جسديين وكما ان الشفاء الجسدى يتم بواسطة طبيب جسدى هكذا أيضا الشفاء النفسى يحصل بواسطة طبيب نفسى وكما ان المريض مرضا جسديا ، لايستطيع ان ينال الشفاء مالم يكشف عن مرضه الجسدى لطبيب جسدى ويعمل بكل مايوصيه الطبيب الجسدى

هكذا ايضا المريض بمرض نفسى لايستطيع الحصول على الشفاء مالم يعترف بمرضه النفسى لطبيب نفسى هو الكاهن ، ويكمل كلما يوصيه به ويرشده اليه) .

الشهادات الكتابية فى ضرورة الاعتراف

قال سليمان الحكيم «من يكتم خطاياه لاينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم» (ام ٢٨:١٣) وقال الانجيل عن يوحنا «حينئذ خرج اليه اورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالاردن واعتمدوا منه فى الاردن معترفين بخطاياهم (مت ٣:٥و٦) .

وجاء فى سفر أعمال الرسل «وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بافعالهم»(اع ١٩:١٨) وقال يعقوب الرسول «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات » (يع ٥:١٦) وقال يوحنا «ان اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم» (١يو ١:٩) .

هذا والكنيسة السريانية فرضت على أبنائها الاعتراف فرضا من ذلك قول المجمع المقدس الذى عقد فى دير الزعفران عام ١١٥٦ فى قانونه الثانى (على كافة المؤمنين بطريركا واساقفة وقسسا وشمامسة وعلمانيين ، ان يعترفوا ثلاث مرات فى السنة على الاقل وذلك فى صوم الميلاد وفى الصوم الكبير وفى صوم الرسل . وهى الاصوام الثلاثة التى تقدم لسر الثالوث الاقدس) .

تأسيس سر الاعتراف

أذا أمعنا النظر مليا فى الكتاب المقدس . نرى ان جذور الاعتراف تمتد منذ أن خلق الانسان . فان آدم ابا الجنس البشرى لما اخطأ بتجاوزه الوصية الالهية ولاذ بالفرار من وجهه تعالى فتح له الرب بابا للتوبة ومهد له طريقا للاعتراف بخطيته عند قوله له «هل اكلت من الشجرة التى اوصيتك ان لاتأكل منها» (تك ٣:١١) فهنا بسؤله هذا أراد الله جل جلاله ان يقود ادم الى التوبة

والأعتراف بجرمه ليس الا ، وكذلك لما سأل قايين «ماذا فعلت»؟(تك٤:١٠) وهكذا نرى الله كلما أراد ان يصفح عن شعبه ويغفر لهم خطاياهم يدعوهم الى الاعتراف بذنوبهم (لا ٢٦:٤٠ و١مل ٨:٣٣و٣٥و٤٧ و نح ٩:٢ و دا ٩:٣و٤ و لو ١٥:١٨)٠

ثم نرى الاعتراف يتطور فى الشريعة الموسوية اذ يفرضه الله تعالى على بنى اسرائيل فرضا كما جاء بقوله لموسى «قل لبنى اسرائيل اذا عمل رجل أو امرأة شيئا من جميع خطايا الانسان وخان خيانة بالرب فقد أذنبت تلك النفس فلتقر بخطيئتها التى عملت» (عد ٥:٦) و (لا ٥:١-٥) وقد كان على من يخطىء ان يقدم ذبيحة كفارة عن خطاياه وقبل ذبحها يضع يده على رأسها ويعترف بخطاياه قائلا :

(قد اخطأت وارتكبت الاثم وتعديت وفعلت كذا وكذا ولكنى اتوب أمامك وهذه كفارتى) وقال الله بلسان سليمان الحكيم «من يكتم خطاياه لاينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم» (ام ٢٨:١٣) وكان الاعتراف عند رجال الله من الامور المحتمة الواجبة شرعا فقد اعترف لله كل من موسى وهاون (خر ٤٣:١٤) وعزرا الكاهن (٩:٦) ونحميا(١:٦-) وداود النبى (مز ٣٢:٥) وايوب البار (٣١:٣٣) وحزقيا (اش ٣٨:١٣) واشعيا (اش ٥٩:١٢) وارميا (١٤:٢٠) ودانيال (٩:٤ - ٢٠) ٠

عدا ذلك فان الانبياء وشيوخ الشعب والكهنة والملوك كانوا على الدوام يحثون الشعب على الاعتراف ويأمرونهم به عند سقوطهم فى الخطايا لينالوا صفح الله فيشوع بن نون امر عخان الكرمى ان يعترف بخطيئته بقوله «يابنى اعط الان مجدا للرب اله اسرائيل واعترف له» (يش ٧:١٩) وكذلك عزرا الكاهن أمر قومه لما سقطوا فى الخطايا الغريبة قائلا : «فاعترفوا الان للرب اله ابائكم واعملوا مرضاته (عز ١٠:١١)

ثم تطور الاعتراف فى عهد يوحنا المعمدان الذى كان يطلب من الآتين

الى معموديته الاعتراف بالخطايا «حينئذ خرج اليه اورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالاردن وأعتمدوا منه فى الاردن معترفين بخطاياهم» (مت ٣:٥و٦) ولما جاء السيد المسيح رفعه الى منزلة سر واعلنه رسميا فى الكنيسة على أثر قيامته من بين الاموات حين نفخ فى وجوه تلاميذه وقال «اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه أمسكت» (يو ٢٠:٢٢) وقوله أيضا لهم « كل ماتربطونه على الارض يكون مربوطا فى السماء وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا فى السماء» (مت ١٨:١٨)

ومن هذا يتضح ان السيد المسيح له المجد منح رسله وخلفاءهم سلطانه الالهى بحل وربط خطايا البشر بقوة الروح القدس ، وبعد صعود السيد المسيح الى السماء كان الرسل يطلبون من المؤمنين التوبة والاعتراف بالخطايا (أع ٢:٣٨و٣:١٩) فكان المؤمنون يأتون اليهم مقرين ومخبرين بخطاياهم (اع ١٩:١٨) وفى رسائل العهد الجديد نجد ايات وأقوالا صريحة بذلك فقد قال القديس يوحنا «ان قلنا انه ليس لنا خطية نضل انفسنا وليس الحق فينا ان أعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم (١ يو ١:٨و٩) وقال مار يعقوب الرسول « اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات » (يع ٥:١٦) ٠

هذا وكان الاعتراف فى القرون الثلاثة الاولى يجرى فى الكنيسة جهرا فعندما كان يسقط أحد المؤمنين فى خطية او يقطع من شركة المؤمنين ويريد الرجوع الى حضن الكنيسة ، كان يعترف بخطاياه امام الكاهن والمؤمنين ، ثم يفرض عليه قانون يعتبر بمثابة تأديبات كنسية ثم أستبدل الاعتراف الجهرى بالاعتراف السرى أمام الكاهن (موسهيم مجلد ١ وجه ٤١٧) ولايزال سريا الى يومنا هذا ٠

وجوب الاعتراف امام كاهن شرعي

مما لاشك فيه ، ان الاعتراف يجب أن يكون لله ، وان مغفرة الخطايا خاصة بالله وحده غير ان ذلك يتم على يد خدامه الكهنة على مثال ماقيل في الكتاب عن صموئيل كان يخدم أمام عالى الكاهن . والمعنى انه كان يخدم للرب امام عالى الكاهن (راجع ١ صم ٢:١١-١٨ و ٣:١)

وفى العهد القديم نجد آيات صريحة واقوالا واضحة تثبت هذه الحقيقة الراهنة من ذلك قوله «فان كان يذنب في شيء من هذه يقر بما قد اخطأبه ويأتى الى الرب بذبيحة لاثمه عن خطيته التى اخطأ بها فيكفر عنه الكاهن من خطيته (لا ٥:٥) وقال موسى النبى أيضا «وتأتى الى الكاهن وتقول له اعترف اليوم للرب الهك» (تث ٢٦:٣-٦) . هذا وأن شاول الملك قد اعترف بخطيته أمام صموئيل النبى والكاهن بدليل قوله «اخطأت لانى تعديت قول الرب وكلامك والان فاغفر خطيتى وارجع معى فاسجد للرب » ١ صم ١٥:٢٤و٢٥) . من هذه وسواها يظهر ان الاعتراف بالخطايا كان خاصاً بالكهنة دون سواهم بأمره تعالى .

اما فى العهد الجديد فنرى ذلك بوجه أكمل والسبب فى ذلك هو سمو الكهنوت المسيحى على الكهنوت الموسوى نظرا الى الذبيحة ونوع ألكهنوت فى المسيحية ، فقد قال الرب لتلاميذه « الحق أقول لكم كل ماتربطونه على الارض يكون مربوطا فى السماء وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا فى السماء » (مت ١٨:١٨) وبعد قيامته ثبته وايده بقوله لهم «كما أرسلنى الاب ارسلكم انا ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه امسكت»(يو ٢٠:٢١-٢٣)ومن هذا القول نستدل على أن الرب يسوع أقام الرسل وخلفاءهم خداما فى الكنيسة مانحا اياهم سلطانا على حل الخطايا وربطها وحيث انه لايمكن اصدار الحكم فى دعوى ما . ولا تحديد العقاب أو اعلان التبرئة عن الذنوب من غير ان تسمع

تلك الدعوى وتستعرض تلك الذنوب ، ولا اعطاء الدواء للمريض دون تشخيص الداء فيلزم ضرورة أن يعترف المذنب بخطاياه للكاهن ليتسنى له حلـــها أو ربطها بموجب السلطان المخول له •

ولنا فى اقوال اباء الكنيسة دعم لما نحن بصدده قال القديس باسيليوس (يلزم أن نعترف بخطايانا للذين تسلموا حمل اسرار الله) وقال القديس يوحنا فم الذهب (لان ساكنى الارض والقاطنين فيها قد سمح لهم أن يسوسوا مافى السموات واخذوا سلطانا لم يعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة لانه لم يقل لاولئك كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطا فى الســـماء وكل ما تحلونه على الارض يكون محلولا فى السماء ثم أن للمتسلطين سلطـــانا فى الارض أن يربطوا ولكنهم يربطون أجسادا فقط وأما هذا الرباط فانه يمس النفس عينها ويجتاز السموات وما يعمله الكهنة تحت يثبته الله فوق ويؤيـــد السيد رأى العبيد) يتبين من هذه الاقوال وغيرها من أقوال الاباء ان الاعتراف بالخطايا أمام الكاهن كان معمولا به منذ فجر المسيحية وفرضا لازما على جميع المســـيحيين •

واما الذين يدعون ان الاعتراف ليس خاصا بالكهنة بل بعامة المؤمنين كهنة وشعبا ، استنادا الى قول مار يعقوب الرسول « اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات» (يع٥:١٦)فهو من قبيل القول علموا بعضكم بعضا وليعالج أحدكم أخاه وليسعف الواحد منكم صاحبه •

واجبات وشروط الكاهن المعرف

وهنالك شروط مفروضة على الكاهن الذى يسمع الاعتراف من المؤمنـين يجب ان يتقيد بها بحذافيرها ، الى جانب السيرة الصالحة والعقيدة الارثوذكسية السليمة ومن تلك الشروط ان يكتم السر ، وكل ما يسمعه من المعترف يجب ان يحاول نسيه ومحوه من ذاكرته فان حدث وباح به بأى شكل من الاشكال

يسقط من درجته • قال المجمع المنعقد فى دير الزعفران عام ١١٥٦ فى قانونه الرابع ما يلى : (اذا كشف الكاهن سواء أكان بطريركا أم اسقفا أم قسيسا سر المعترف ، سواء بحياته أو بعد موته بأى شكل كان ، فليكن ملعونا ومحروما من الثالوث الاقدس ومجردا عن درجة الكهنوت وغريبا عن المسيحية ومرذولا عن الكنيسة) ، ومنع بقانونه الخامس الكاهن ، من ان يأخذ من المعترف هدية ولو كانت زهيدة •

كيفية الاعتراف بالخطايا

١ ـ قال العلامة ابن العبرى (يجب ان يتقدم المعترف بروح متواضعة وقلب منكسر ويحنى رأسه ويتطلع الى الارض ويقول : اخطأت فى السماء وامام الله وعلى رجاء الغفران أعترف بانى فعلت كذا وكذا الخ ••) وأعد أمام الله الا أعود الى الخطايا التى اعترفت بها الآن واطلب اليك يا أبتى الكاهن لتتضرع من أجلى ومعى الى الله لكى لا يصد بابه بوجهى بل ليقبلنى كاللص والعشار والخاطئة) •

٢ ـ ان يتم مشافهة أمام الكاهن •

٣ ـ ان يقر الخاطىء بكل خطاياه بالتفصيل• فيجب ان يكون الاعتراف كاملا تاما بأن يكشف المعترف كل خطاياه للكاهن • فاذا حدث ان اعترف ببعضها واهمل البعض الاخر تعمدا فهو ليس انه لا يحصل على فائدة من اعترافه وحسب بل يزيد على خطاياه خطايا أخرى •• ومثل هذا الاعتراف لا يسمى اعترافا • أما اذا كان الامر سهوا فيُعدّ الاعتراف مقبولا •

٤ ـ ان يكون الاعتراف صريحا واضحا غير مبهم •

٥ ـ ان يكون مقرونا بالاتضاع والخشوع والاحتشام أى بالخجل والحزن العميق كما فعل الابن الشاطر حيث تذلل وتواضع لدى أبيه تواضعا صحيحا لان التواضع من أهم مستلزمات التوبة الحقيقية •

٦ ـ ان يكون صادرا باسلوب الشكوى والتذمر من الخطايا أي لايجوز للمعترف أن يقدم لخطاياه عذرا البتة • فلا يعزها الى نزق شبوبيته أو طيشه وجهله ولا الى شخص آخر كما نسب آدم خطيئته الى حواء وحواء الى الحية بل ينسب كل خطاياه الى ضعفه ونقصه وميوله الخاصة ، كما فعل داؤد النبي بقوله « ها أنا اخطأت وانا اذنبت » (٢صم ٢٤:١٧) لان الاعتذار عن الخطيه لا يخففها بل بالعكس يزيدها ثقلا وشناعة •

الفصل الثامن

وفـاء القانون

بعد أن يقر التائب بخطاياه أقرارا كاملا مستوفيا الشروط المار ذكرها يتلو عليه الكاهن صورة التوبة ويفرض عليه قانونا قال العلامة ابن العبـــرى (أن القانون عبارة عن أدوية روحية يصفها الكاهن لشفاء المرض وهو ثلاثـه أنواع رئيسية : ١ـ الرحمة ٢ـالصوم الخاص اضافة الى الاصوام العـــامة ٣ـ الصلاة) • أو بعبارة أخرى هو تأديب التائب لتقويم اعوجاجه واصـلاح سيرته كما فعل الله مع موسى وداود وامثالهمـــــا (٢ صم ٢٤) وكمـــــا نصّ عليه الكتاب المقدس فى أماكن متعددة وكما يظهر فى جميع أقـــوال الآباء • ولذلك جرت العادة فى الكنيسة منذ بدئها أن يفرض على التائبين عند اقتبالهم حلا من خطاياهم ، قصاص وتأديب سمي بالقانون ، وفقا لقول الرسول « لان الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله » (عب ١٢:٦)[١] • بيد أن هذا القانون وان كان ضروريا فان الغرض منه ليس ايفاء العدل الالهى

(١) وكانت العادة قديما أن يفصل الخطاة الذين ارتكبوا الكبائر وتابـوا عن المؤمنين فى اثناء الصلاة فيؤلفون طبقة خاصة تعانى شدة التوبـة بقوانين صارمة ويراقبون ليعرف اثر الندامة فيهم (الدرر النفيسـة ص ـ ٤) • ولمار ديونيسيوس ابن صليبى قوانين مفصلة فى الخطايا والنذور والقرابين والاستغفار (اللؤلؤ المنثور ص ٣٩٠) •

حقه لان هذا المبدأ يخالف تعاليم الكتاب فى الكفارة التى قدمها الفادى ربنا يسوع المسيح عنا ، حيث سفك دمه كفارة عن خطايانا ووفى العدل الالهى حقه وصالحنا مع الله أبيه بل يجعل هذا المبدأ تلك الذبيحة التى قدمها مخلصنا على الصليب لا قوة لها . والكتاب يعلمنا أن مخلصنا قدم نفسه ذبيحة عن خطايانا وان هذه الذبيحة هى كفارة عن خطايا العالم كله ، وبغير هذه الكفارة لا يمكننا أن نتقدم الى الله ، وهذا هو جوهر الديانة المسيحية وأساس الخلاص . قال بولس الرسول : «الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله» (رو ٣ : ٢٥) .

ثم بما ان الله تعالى غير محدود بصفاته ، وكل خطيئة تفعل ضد الله غير المحدود ، تستحق عقاباً غير محدود فمن ذا الذى يقدر ان يخلص فاعلها وأن يفى العدل الالهى الا دم المسيح وحده ؟ فلو سفك جميع الناس دماءهم لاجلها لما امكنهم وفاء جزء من عدل الله ، ومهما قدموا من الاعمال الصالحة وثمار التوبة لا قوة لها أن تفي عدل الله ويبرر الخاطىء .

الفصل التاسع

طقس التوبة

استعملت الكنيسة قديما فى سر التوبة طقسا خاصا يتلى على المعترفين بخطاياهم . يشتمل هذا الطقس على عنيانات ، وحساية ، وقالات وقراءات كتابية وباعوث[1] غير أن هذا الطقس أهمل استعماله من مدة طويلة وأقتصر على تلاوة الحلة الوجيزة المذكورة سابقا فى صورة السر .

الى جانب هذا الطقس طقسان آخران ، الواحد يختص بالذين مرقوا عن حظيرة الكنيسة الارثوذكسية ثم عادوا اليها تائبين . والثانى خاص بالذين

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٨٢ .

جحدوا الدين المسيحى وعادوا اليه تائبين ايضا وسنأتى الآن الى شرح محتويات كل من هذين الطقسين :

١ – الطقس الخاص بتوبة المارقين من الارثوذكسيين

يقف التائب العائد الى الكنيسة أمام المذبح وتتلى عليه بعض الصلوات ثم يدخل الى المذبح ويقف أمام مائدة الحياة خاشعا مكشوف الرأس اذا كان من ذوى الدرجات الكهنوتية (الاسقف – الكاهن – الشماس) أما العلمانيون والرهبان المبتدئون فيلبثون واقفين امام المذبح ولايحق لهم الدخول اليه • فيحرم جهرا البدعة التى كان قد اعتنقها ويقر بالايمان الارثوذكسى مفصلا وبعد ذلك يتجه الاسقف نحو المذبح ويتلو صلاة سرية وعلنية ، فحواها ، ابتهال الى الله ليتقبل هذا التائب الذى عاد الى حظيرة الكنيسة ويؤهله لنعمة الغفران • ثم يضع الاسقف يمينه على رأس التائب تاليا صلوات سرية وعلنية ثم ينفخ فى وجهه علامة الصليب ثلاث مرات تاليا الآية « رد لي بهجة خلاصك وروحك القدوس لا تنزعه منى وبروح منتدبة اعضدنى •• » وبعد صلوات أخرى يرشم الاسقف التائب فى جبينه بعلامة الصليب ثلاثا قائلا : يُختم فلان ليكون حملا فى الحظيرة المقدسة وفى قطيع المسيح • وعضوا فى جسم الكنيسة ووارثا للايمان القويم باسم الاب (آمين) والابن (آمين) والروح القدس (آمين) •

أما اذا كان التائب اسقفا فيضع البطريرك على رأسه مصنفة قائلا (لمجد وكرامة الثالوث الاقدس الخ) •

واذا كان كاهنا يمسك الاسقف بيمينه ويضع عليه منديلا ويقول (لمجد وكرامة الثالوث الاقدس الخ) واذا كان شماسا يضع على كتفه الهرار ويقول (لمجد وكرامة الثالوث الاقدس الخ) •

ثم يتناول التائب القربان المقدس وتفرض عليه القوانين الكنسية ثم يختم هذه الخدمة بتلاوة صلاة شكر •

٢ ـ الطقس الخاص بالجاحدين الذين يعودون الى الدين المسيحى ثانية(١)

ويشتمل هذا الطقس على صلاة الابتداء واناشيد وقالات متنوعة ثم حساى ثم معنيث وابتهال فقوريليسون اربعين مرة ثم صلاة العطر ثم تلاوة بعض الفصول من الكتاب المقدس والانجيل (لو ١٥: ١١-٣٢) .

وبعد ذلك يتقدم التائب أمام باب المذبح مطأطىء الرأس والاسقف داخل المذبح يتلو صلاة سرا واخرى جهرا ، فيجيب الشعب آمين . ثم يقول الاسقف السلام لجميعكم . ويتلو بعد ذلك صلاة سرية ثم يصلى جهرا وبعد ذلك يختم الاسقف التائب فى جبهته بعلامة الصليب المقدس ثلاثا قائلا عاد فلان الى الايمان الحقيقى وتجددت معموديته بأسم الاب والابن والروح القدس فيجيب الشعب آمين . ثم يتجه التائب غربا ويكفر بالشيطان وبالدين الذى كان قد اعتنقه ثم يتجه شرقا وهو يقول « انا فلان اؤمن بالمسيح الاله وبجميع ملائكته واقبل تعاليمه وسائر تعاليم قديسيه » ثم ينفخ الاسقف فى وجهه ثلاثا (رد لي بهجة خلاصك وروحك القدوس لا تنزعه مني) ثم يتلى قانون الايمان النيقاوى ، ثم يعترف بخطاياه اعترافا قانونيا كاملا ويفرض عليه الاسقف قانونا مناسبا ثم يناوله القربان المقدس وينتهى الطقس على هذا الشكل .

---

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٨٢

الباب السادس

سر الكهنوت

الفصل الاول

تعريف سر الكهنوت

عرف العلامة ابن العبرى الكهنوت بقوله (الكهنوت عمل يهدى البشر الى التشبه بالله بحسب امكانية الطبع البشرى ، واستعداده بوساطة التشبه بالجواهر العقلية وبفهم النظريات الرئيسية والتحلى بالاعمال الصالحة الخاصة بالروحيين) .

قلنا بوساطة الجواهر العقلية ، مسترشدين برأى القديس ديونيسيوس الاريوباغي، المطلع على الاسرار اكثر من غيره حيث قال : (عندما نحصل على مفعول الكهنوت المقدس نجاور الجواهر التى تسمو علينا ، وذلك بالتشبه بحسب قابليتنا بثبات رسوخهم المقدس غير المتغير) .

وقال ايضا فى تعريف اخر (الكهنوت هو الطريق الذى يقود البشر من السيرة الحيوانية الى الملائكية على قدر الامكان وبواسطة الجواهر المادية المرموز بها الى الامور غير الحسية . كالميرون والخبز السماوى والخمرة المحيية ، وبانغام موسيقية حين تسمعها النفس تستيقظ من غفلتها وتتخطر وطنها الاول . واذا ما تحررت من نير المادة وأعتقت من ربقتها، سرعان ما تختلط بالجواهر السماوية كنسبة بنسبتها) . (١)

وقال القديس مار ايوانيس الدارى (ان الكهنوت يعنى بالسريانية الخصب ، لانه يحتوى على كل الخيرات ويغنى كل من يقوى على التقدم لقبوله

(١) منارة الاقداس الركن السادس المقصد الاولى وتاريخ مار ميخائيل الكبير .

الفصل الثانى

تعريف رئاسة الكهنوت

قال العلامة ابن العبرى (ولما كان هذا تحديد الكهنوت ، فرئاسة الكهنوت اذاً هى عمل ذو قوة مرشدة وفعالة واكثر كمالا ، حتى انها تستطيع ان تمنح قوة للاخرين ، يستطيع هؤلاء ايضا بدورهم ان يهدوا غيرهم وينيروهم ليبلغوا الى التشبيه بالله كما مر ذكره) .

وقال مار ايوانيس الدارى فى تعريف ذلك (رئاسة الكهنوت نظام مقدس حكيم ذو مفعول الهى يشبه الانسان بالله على قدر الامكان . او هو نظام مقدس نظرى وعملى فى ان واحد ، بالنسبة الى الامتيازات التى تعطى من الله ، فيتسامى حتى يتشبه بالله سواء اكان ذلك بوساطة ، كرئاسة الكهنوت الكنسي وكهنوت ملائكة الكنيستين السفلى والوسطى ، ام بدون وساطة ككهنوت ملائكة الكنيسة العليا التى تأخذ الاشارة من الله دون وساطة . وما ابلغ قول القديس غريغوريوس النزينزى حين يقول (الكهنوت وظيفة دأبها ان تؤله البشر) أى ترفعهم الى حياة الهية سامية .

الفصل الثالث

أدوار الكهنوت[1]

ينقسم الكهنوت الى نوعين سماوى وارضي . فالكهنوت السماوى هو كهنوت الملائكة ويتألف من ثلاث كنائس عليا ووسطى وسفلى . وتشمل كل منها ثلاث طغمات . وهذا له دالة فى امكانية التشبه بالله اكثر من الكهنوتين

(١) ملخصة عن تاريخ مار ميخائيل الكبير .

الاخرين ، اذ ان طبع الملائكة المجرد لايقترن ببرقع مادى أى سحابة تحجب النظر العقلى .

اما الكهنوت الارضى فهو كهنوت بشرى وقد مر بادوار ثلاثة :

الدور الاول :

الكهنوت الطبيعي او الفطري وابتدأ عندما خلق الله ادم وخـــوله سلطة الكهنوت كقول المرتل الالهى على لسان ادم جبلتنى ووضعت على يدك» (مز ١٣٩:٥)[١] . ومنح ادم الكهنوت لولديه قائيين وهابيل بواســـطة البركة وامرهما ان يقدما القرابين للرب . ويذكر سفر التكـــوين ان قربان هابيل قد قبله الرب اما قربان قائيين فقد رفض لانه لم يقـــدم بنية طاهرة .

وهكذا تسلسل الكهنوت من السلف الى الخلف بواســطة البركة . وكان منوطا بكل بكر في العائلة ، الذي كانت له وظيفة رئاسة على قومه . ثم وصل الى نوح البار الذي نجا من الطوفان وبنى مذبحا للرب واصعد عليه محرقات فتنسم الرب رائحة الرضى (تك ٨ : ٢٠ ـ ٢٨) .

فايوب الذي اصعد محرقات على عدد اولاده (اى ١: ٥) فابراهيم الـــذي باركه الله ، فبنى مذبحا للرب واصعد ذبيحة، وفي ايامه كان ملكيصادق ملك ساليم كاهن الله العلى يقدم خبزا وخمرا (تك ١٤ : ١٨). واعطى ابراهيم الكهنوت لابنه اسحاق اذ اعطاه كل ما كان له (تك ٢٥ : ٥). فبنى اسحق مذبحا ودعا باسم الرب (تك ٢٦:٢٥) وعند دنو اجلـــه دعا ابنه عيسو ليباركه وليعطيه وظيفة الكهنوت ولمـــا كان عيسو غيـــر مستحق للبكورية استخف بها وباعهـــا لاخيه يعقوب (تك ٢٥ : ٣٣ و ٣٤)

(١) المزمور ١٣٨ :٥ الترجمة السريانية البسيطة .

فاستحقها يعقوب ونالها بواسطة بركة ابيه له (تك ٢٧: ٥ ـ ٣٠) • فصار كبير قومه وكاهنا بعد ابيه واقام مذبحا لله ودعا المكان بيت ايل (تك ٣٥: ٧) والى هنا ينتهي الكهنوت الطبيعي ويتلخص بانه كان ١ ـ منوطا بكل بكر يختاره الله بسابق علمه ويجعله كبير قومه ٢ ـ كان يمنح بواسطة البركة من السلف للخلف ٣ ـ سمي بالكهنوت الطبيعي او الفطري لانه لم تتوفر فيه نظم الكهنوت المكتوبة كما هي في الدورين التاليين • كما أن الذبائح لم تقدم الا عند الحاجة •

قال العلامة ابن العبري عن هذا الدور ولئن وجد أناس قدموا قرابين وذبائح واعتبروا كهنة • وكان اولهم ادم الذى به يبتدىء الكهنوت الطبيعي الا انه كان كهنوتا غامضا مبهما ، لان اسم الكهنوت لم يصرح به وقتئذ ولم يحدد عمله بشكل نظامي ، واضح ، لذلك فالكهنوت الرسمي يبتدىء بالدور الثاني المدعو بالموسوي • [١]

الدور الثاني :

الدور الموسوي : في هذا الدور منح موسى الله الكهنوت اولا لموسى لاقامة العبادة الناموسية الدموية • ثم منحه موسى هارون ونسله ، خص بسبط لاوى باعجوبة فائقة • ذلك ان الله امر موسى ان ياخذ من كل من اسباط اسرائيل الاثني عشر عصا يكتب اسم السبط عليها ويضع العصي كلها امام التابوت • والرجل الذي اختاره ، تفرخ عصاه ، فليكن كاهنا • فافرخت عصا هارون واخرجت فروخا وازهرت زهرا وانضجت لوزا بينما بقية العصي لبثت يابسة (عد ١٧: ٢ـ ١١) وكان ذلك اشارة الى أن الله قد اختار هارون ونسله لخدمة بيت الله والمسكن وتقديم الذبائح وقراءة الناموس • وقبل شروع المختارين للكهنوت بالقيام بخدمتهم فرض عليهم ١ ـ

---

(١) تاريخ البطاركة لابن العبرى المقدمة •

أن يتنقوا ويتقدسوا (خر ١٩:٢٢) ٢ ـ ان يمسحوا بالمسحة المقدسة (لا ٨ : ١٢) •

وبما ان هذا الكهنوت صار بدعوة من الله ترخص بسبط لاوى ، لذلك لم يكن يحل لاحد من غير هذا السبط ممارسته (عد١٦) ولما اراد عوزيا الملك اغتصاب خدمته، ضربه الله بالبرص (٢ أى ٢٦) وظل هذا الكهنوت منوطا بهذا السبط حتى وصل الى يوحنا المعمدان • فأخذه منه الرب عند عماده منه فى نهر الاردن •

يتلخص هذا الدور فيما يلي : ١ ـ انه اسمى واكثر كمالا من الكهنوت الطبيعي ٢ ـ تم بطريقة الاختيار • ٣ ـ انيط بسبط لاوى • ٤ ـ يبتدىء بموسى وينتهي بيوحنا المعمدان • ٥ ـ تقوم خدماته على الامور الزمنية كتقديم الذبائح وخدمة المسكن التى تعتبر ظلا لخدمات كهنوت العهد الجديد •

الدور الثالث :

الكهنوت المسيحي ويبتدىء بالسيد المسيح الذي صار اول رئيس كهنة ، وقدم نفسه ذبيحة على الصليب • وقد جاء كاهنا على رتبة ملكيصادق وصعد الى السماء الى قدس الاقداس الداخلي وكرئيس كهنة (لم يدخل الى اقداس صنعتها الايدى رموزا للحقيقه بل الى السماء عينها يظهر ألان امام وجه الله لاجلنا (عب ٩ : ٢٤) • فاصبح كاهنا الى الابد كقول الرسول بولس ، واما رأس الكلام فهو ان لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات (عب ٨ : ١) وكاهن عظيم على بيت الله (عب ١٠ : ٢١) • وقد منح تعالى هذا الكهنوت لتلاميذه الاثني عشر لاقامة كنيسة ارضية •

وعمل رئيس الكهنة هو ان يتقدم هو نفسه اولا الى الله ويقدم معه

الجمهور الذى يكهن من اجله • فاذا كان الكهنوت ورئاسة الكهنوت تكمل من اجل الكثيرين ، فواحد هو الذى بلغ كرامة رئاسة الكهنوت ذلك الذى هو رئيس كهنة طاهر منزه عن الخطيه ، وانقذ الخطاة وارتفع الى السماء بعد ان قدم نفسه مرة واحدة عن كثيرين • وواحد هو ايضا الكهنوت المقدس الطاهر الذي سلمه لرسله الاطهار على مراحل ثلاث : **١** ـ عندما ارسلهم اثنين اثنين ومنحهم سلطانا على الارواح الشريرة (لو ٩ : ١) و(مت ١٠:٥) وهنا رسمهم شمامسة **٢٠** ـ عندما رسمهم كهنة بعد قيامته وأعطاهم سلطانا على ربط الخطايا وحلها وقال لهم اقبلوا الروح القدس (يو ٢٠ : ٢٢) **٣** ـ المرحلة الثالثة كانت بصورة اكثر كمالا من المرحلتين السابقتين فعندما كان يتأهب للصعود الى السماء بسط يديه وباركهم مكملا نعمة الرسامة فيهم وهنا رسمهم رؤساء كهنة (لو ٢٤ : ٥٠) •

هذه هي اقسام الكهنوت بوجه الاجمال بقي لنا ان نبين الفارق ما بين خدمات كل من الكهنوتين فنقول : **ان الكهنوت السماوي** ، من حيث ان كهنته ملائكة وارواح محضة ، لايرتبطون بمادة • لذلك لايشيخون ولا يموتون ، فان كهنوتهم ورئاسة كهنوتهم روحي محض • وهذه هي الظاهرة الاولى التي تميزه عن الكهنوت الارضي • وهنالك ظاهرة ثانية وهي : ان الكهنوت السماوى واحد لا يزيد ولا ينقص ولايقبل الترقية من درجة الى اخرى • اى ان السرافيم مثلا لا يصير كاروبا ولا الكاروب احد الاجناد •

اما **الكهنوت الارضي** ، فمن حيث ان خدامه جسديون مائتون ، لذلك فان كهنوتهم يكمل بتنوع الدلائل والعلامات المحسوسة وبارتقاء الواحد مكان الاخر • ولو تأملنا باقسام الكهنوت هذه تأملا دقيقا ، لرأينا ان خدمة الكهنوت السماوي روحية محضة • اما **الكهنوت الموسوي** فكان بعيدا كل البعد

عن الكهنوت السماوي الملائكي لان كل ما فيه محسوس محض ولئن كان يشير روحيا الى الكهنوت المسيحي لذلك فخدمته تعتبر مادية محضة .

اما **الكهنوت المسيحي** فهو ما بين الكهنوتين ، ويتشبه بكل منهما ببعض الامور فهو يشبه الكهنوت الموسوي من حيث ان خدماته تمارس تحت مواد حسية كالخبز والخمر فى القربان والماء فى المعمودية . ويشبه الكهنوت السماوى لان المواد الحسية المستخدمة فيه تشير الى الامور الروحية المحضة .

الفصل الرابع

فى سمو الكهنوت المسيحي من المقارنة ما بينه وبين الكهنوت الموسوي

للعلامة مار ايوانيس االدارى مقارنة طريفة مابين الكهنوتين الموسوى والمسيحي تتلخص فيما يلى : ـ

اذا ما قارنا الكهنوت المسيحى بالكهنوت الموسوى . نراه يسمو فضلا ويعلوه كرامة والفارق بينهما كالفارق ما بين الجسم والظل والحقيقة والرمز وذلك للاسباب التالية :

اولا : من كيفية اعطائهما وتسليمهما : أ ـ الكهنوت الموسوي اعطى لموسى بأحدى الطريقتين اما بطريقة شفهية كقول الله له (فالان هلم فأرسلك الى فرعون وتخرج شعبى بنى اسرائيل من مصر) (خر ٣ : ١) واما بوضع يد رمزى عندما قال له (أضع يدى عليك) .

أما الكهنوت المسيحى فلم يعط لاشفهيا ولا رمزيا ولاشكليا بل ان الله ذاته رسم الرسل كهنة بوضع يده عليهم ونفخ فى وجوههم ثلاثا بفمه المقدس وأعطاهم ذاته ليكون معهم .

ب ـ عندما اعطى موسى الكهنوت لاخيه هارون ، نزع عنه ثيابه اولا وغسل جسده بالماء وزينه بالثياب الكهنوتية المعروفة ، ثم مسحه بالمسحة المقدسة . فقد سكب على رأسه مسحة ومسحه وقدسه ثم قدم عوضا عنه ذبائح رش دمها على المذبح (خر ٢٤:٦) . ثم أخذ شيئا من المسحة ومن الدم الذى على المذبح ورش على هارون فى ثلاث اماكن من جسده ، أى فى الاذنين وابهام اليدين وابهام الرجلين . ورش ايضا على ثيابه . ومكث من ثم فى المسكن سبعة أيام حتى كمل وصار كاهنا . وطبقت هذه الطريقة على أبنائه وعلى جميع الكهنة الذين تسلسلوا منه . اما فى الكهنوت المسيحى فان رئيس الكهنة يأمر الكهنة المنتخبين أن ينزعوا منهم الانسان العتيق القديم لا ثيابه والا يغتسلوا بالماء لانهم قد اغتسلوا بالمعمودية وتقدسوا «فالذى قد اغتسل ليس له حاجة الا الى غسل رجليه بل هو طاهر كله» (يو ١٣:١٠).

ثم يؤمر الكاهن ان يتجمل لابثياب الشريعة الموسوية بل بالمسيح الذى هو الثوب الذى لايبلى «لان كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غلا ٣:٢٧) . وقوله أيضا «بل البسوا الرب يسوع المسيح» (رو ١٣:١٤) ويشد نفسه برباط الروح والايمان وعوضا عن المصنفة والاكليل والقلنسوة يقتبل ترس الخلاص واكليل المجد والرحيق المقدس .ويمسح لا بالمسحة المركبة من مواد حسية ، بل باقنوم الروح القدس وفعله وتقدم عنه ذبيحة لا ثيران ولا أكباش او تيوس ولا أى نوع آخر من الحيوانات التى لاتستطيع ان تغفر الخطايا ، بل المسيح الذى رمز اليه بهذه الذبائح كلها ، والذى رفع خطية العالم بذبيحته ورش دمه على قوانا الروحية ليقدس الانسان كله .

اذن فالكهنوت المسيحى ، افضل بكثير من الكهنوت الموسوى اذا ما قيس بالنسبة الى كيفية اعطائه وتسليمه .

ثانيا : من كيفية خدمتهما : ان الكهنوت الموسوى كان قائما على الامور

المادية والجسمية والحسية المحضة . فكان يصرف كل طاقاته ويولى كل عنايته لتنقية الجسد من الدنس والاوساخ . وهذا كان كل موضوع خدمته . فكان والحالة هذه يطهر الجسم ، لا من الخطايا الارادية ، بل من الاوساخ الطبيعية . أما الكهنوت المسيحى فيخدم الروح والروحيات . والروح هى النفس التى خلقت على صورة الله فان الكهنوت يطهر النفس البشرية لكى تسامى البشرية الى درجة الروح ، ثم يخطفها من هذا العالم الى السماء ويقربها الى الله ويقدم الامور الروحية بشفائها وذكرها .

ثالثا : من نوعية ذبيحتهما : ان الكهنوت الموسوى كان يقدم ذبائح حيوانية صامتة كثيرة ، للشكر والكفارة والمحرقة ، مرات عديدة وكان كل شىء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك دم لاتحصل مغفرة **(عب ٩:٢٢)** أما فى الكهنوت المسيحى فهنالك ذبيحة واحدة فقط ذبيحة نفيسة طاهرة ناطقة ، قدمت مرة واحدة ، وغفرت خطايا العالم . وقد أمر المسيح الكهنة ان يصنعوا على مثاله . لذلك فهم عند تقديمهم الذبيحة لايقدمون ذبيحة جديدة انما يتذكرون موته فقط . فالذبيحة اذن واحدة لان المسيح قدم نفسه ذبيحة مرة واحدة فقط ودخل الى قدس الاقداس .

رابعا : نظرا الى القبيلة والشعب والمكان: ان الكهنوت الموسوى كان محصورا بسبط واحد وفى قبيلة واحدة من ذلك السبط ، وكان يخدم شعبا واحدا هو شعب اسرائيل وكانت خدمته تتم فى أورشليم فقط ، ولم يكن خاليا من اللوم لان البار الذى كان يتعذب بالاوجاع كان يعتبر نجسا . **اما الكهنوت المسيحى فيشمل كل القبائل ويخدم كل العالم كقول ملاخى «وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة لان اسمى عظيم بين الامم» (ملا ١:١١)** والبار الذى يتعذب بالاوجاع يزداد بره بنظره ، كقول الرسول

بولس « لذلك لانفشل بل وان كان انساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوما فيوما» (٢كو ٤:١٦)

خامسا : من سمو عظمةمانح الكهنوت المسيحي: أ ـ ان الكهنوت الموسوى اعطى من قبل موسى وقد خدمه هارون • اما الكهنوت المسيحى فاعطاه المسيح واكمله بنفسه • ومما هو جدير بالذكر ان المسيح نفسه كان سببا فى احداث الكهنوت الموسوى بالذات • ب ـ انتخب فـــى الكهنـــوت الموســوى كهنة كثيرون • ذلـــك ان كاهنا واحدا لـــم يكن باستطاعته الاستمرار فى الخدمة فان مهمته كانت تنتهى اما بسبب الموت او النجاسـة او السبى فان مات كاهن او سبى او اصابه مرض البرص كان يخلفـــه كاهن آخر

اما فى الكهنوت المسيحى فواحد هو الكاهن ، وهو طاهر خالد حى لا يموت ثابت الى ابد الابدين •

ج ـ كان الكاهن الموسوى يستلم مهــــام خدمته الكهنوتية دون ان يؤدى القسم ، بسبب ان كهنوته سيبطل وينتهى • اما الكـــاهن المسيحى فيؤدي القسم لان كهنوته مستمر وثابت الى الابد •

د ـ كان الكهنة الموسويون عبيدا مائتين ، فان موسى النبي أؤتمن على كل البيت كعبد • اما الكاهن المسيحى فيستمد منحة الكهنوت من الرب الالـه والسيد المسيح ، وهو كرب على بيته • وما بيت المسيح الا المؤمنون • وكما ان كرامة البانى اعظم من كرامة البناء ، هكذا يسمو الكهنوت المسيحى عـــلى الكهنوت الموسوى شأنا ورفعة •

هـ ـ ان كهنة العهد القديم كانوا هم انفسهم بحاجة الى مغفرة الخطايا ، ثم يهبون ذلك لغيرهم ، اما فى العهد الجديد فالكاهن بار مبرر لم يعمــل خطيئة ولم يات ذنبا ولم يقترف اثما ولم يوجد فى فمه غش •

و ـ الكاهن الموسوى لم يستطع ان يموت عوضا عن الخطاة لانـــه مائت • اما كاهن العهدالجديد فقد مات عوضا عن الجميع وبقى حيـا الى الابد •

ز ـ كان الكاهن فى العهد القديم يقدم الذبيحة ذاتها فى كل سنة ومن صفات تلك الذبيحة عدم مقدرتها على التكفير عن الخطايا،فلو كان بمقدورها ذلك لبطلت قرابين الناموس الموسوى • اما الكاهن الجديد فقد قدم ذبيحـة واحدة مرة واحدة ، فقضت على الموت وابادت الخطية •

ح ـ كان الكهنة الموسويون يخدمون فى الارض ويقفون بعيدا وهـم مرتعبون • اما الكاهن المسيحى فيمارس خدماته فى السماء ويجلس عن يمين ابيه بالمجد والكرامة •

ط ـ فى العهد القديم كان يدخل رئيس الكهنة لوحده مرة واحدة فقط فى السنة الى قدس الاقداس ، ويتمم خدمته فى ظرف ساعة واحدة • اما كاهن العهد الجديد فهو فى السماء دائما ويصعد القداسة معه كقوله تعالى « وحيث اكون انا هناك ايضا يكون خادمى » (يو ١٢ : ٢٦) •

سادسا : من اختلاف مواهبهما :

ان موهبة الروح والنعمة التى اقتبلهـــا كهنة الناموس ومسحاؤه وانبياؤه وابراره انما اقتبلوها على دفعات • وكانت تشبه احيانا الموهبة التـى نالها بعض الخارجين عن الناموس فى العالم اما الرسـل ورؤســاء كهنة الكنيسة فلم يقتبلوا موهبة الروح والنعمة بل اقتبلوا الروح اقنوميا • لذلـك قال الرب لتلاميذه ومتى جاء المعزى الذى سارسله انا اليكـم من الاب روح الحق الــذى من عند الاب ينبثق فهـو يشهد لى (يو ١٥ : ٢٦) • فان الرب اوضح علنا انه مرسل اليهم الروح القدس المساوى له فـى الجوهر ، وليس نعمة او موهبة • فاذا كان الذى ارتفع عن التلاميذ اقنـوم

الابن،فالذى جاء اليهم هو اقنوم الروح .فظاهر ان الرب تحدث عن اقنوم الروح القدس ، ذلك الذى لا يستطيع العالم ان يقبله ،لانه لم يره ولم يعرفه اما انتم فتعرفونه فانه يسكن معكم وقد اشار الرب بقوله « ان العالم لم يره » الى ان العالم عرف مواهب الروح ولكن لم يعرف اقنومه بالذات .

اما فى العهد الجديد فقد جاء الى الرسل وعرف بحسب امكانيـــة الانسان وقابليته لرويته ومعرفته ، كما ظهر الاقنوم الابن بالجسد وليس قوته او مفعوله . وكما ان الاقنوم يسمو عن موهبته ، هكذا ايضا تسمو الموهبـة التى اقتبلها الرسل عن موهبة الكهنة الموسويين . وبذلك يكون الانجيــل اسمى من التوراة .

سابعا : من مفاعيلهما :

يبدو من سفر الاعمال ، ان الكاهن فور اقتباله موهبة الروح القدس بوضــع اليد ، كان ياخذ فى اجتراح الايات والمعجزات ، كما كان يمنح الاخرين ايضا هذه الهبة . لذلك تاق سيمون الساحر الذى كان يعيش فــى عصر الرسل الى تلك الموهبة ، طمعا بمحبة المال ، وقدم فضة للرسل وقــال لهم اعطونى انا ايضا مثل هذا السلطان ان يقبل الروح القدس كــل مــن وضعت عليه اليد . فانتهره بطرس وقال له « لتكن فضتك معك للهلاك لانك ظننت ان تقتنى موهبة الله بدراهم (اع ٨ : ٢٠) ولربما يستغرب القارىء قولنا هذا ، (ان الكاهن يجترح المعجزات) بينما لايرى ذلك ولا يحس بها فنقول له : انه حقا يجترح الايات والمعجزات بدليل .

١ ـ اعطى سلطان الكهنوت ان يمنح موهبة الروح القدس لمن يؤمن ويعتمد .

٢ ـ يجعل من الماء اما روحية وبطنا للميلاد الجديد ، ومن المســحة لباسا لا يبلى بالرسم والختم الالهى ومن الخبز جسدا ومن الخمر دما .

٣ـ يتحدث مع الله دائما بدالة كما يتحدث العبد الكريم مــــع سيده الطيب الحليم وذلك عن طريق تلاوة المزامير وقراءة الكتب المقدســــة والصلوات ٤٠ ـ انه يقبض على مفاتيح ملكوت السماء • وقد اختلــــــف المفسرون فى تفسير المعنى الذى تشير اليه المفاتيح ، فذهب بعضهم الى انــه الكهنوت وقال اخرون انها وزنات الكهنوت • وارتأت جماعة انهـــا وصايا المسيح التى تسمو بالنفس الى عدم قبول الالام • وقال اخرون انها مفعـــول الروح الذى يرفع العقل الى الرؤيا الروحية • وقال بعضهم انهـــا القـــوة الفاعلة الالهية التى اقتبلها الرسل من الرب • وهنالك من قال انها تشير الى اسماء الثالوث الاب والابن والروح القدس اذ بها تقدس الاسرار كلها •

الفصل الخامس

فى ســمو الكهنــوت

من المقارنة ما بينه وبين الملك والنبوة

الكهنوت اسمى من الملك والنبوة واعـــلى منهما شرفا وقـــدرا فان كان الملك يهـــدف الى اصـــلاح المجتمع والحفاظ عـــلى امنه واستقراره ، والنبوة تخبر عن الامور المستقبلة والعتيدة أو تتحدث عما فـــى الماضى والحاضر ، فالكهنوت يهدف الى الغفران والتقديس والتأليه لذلك فهو والحالة هذه اسمى من كليهما مكانة وقدرا ، والكتاب المقدس يثبت ذلــك اى اثبات •

أ ـ انه اثنى على ملكيصادق اكثر مما اثنى على نمرود واشاد بصموئيل اكثر من شاول واكرم مثوى يشوع بن يوزاداق اكثر من زربابيل •

ب ـ ان الملك والنبوة اعطيا حتى لبعض النساء • فقد اعطى القضـــاء

لدبورة والملك لعثليا والنبوة لمريم ولاربع بنات فيلبس البشر • اما الكهنوت فلم تحظ به امرأة قط •

ج ـ ولكون الكهنوت اسمى شرفا واعلى قدرا من الملك ، فقد تاق اليه عوزيا الملك ، وبسبب تجرئه واقدامه على القيام باحدى خدماته ، تجرد عن الملك ايضا •

د ـ لما تذمر هارون ومريم النبية على موسى بسبب اتخــاذه المرأة الحبشية ضرب الله مريم بالبرص • اما هارون فنجا وذلك اكراما لكهنوته •

هـ ـ ان ملكيصــــادق مثل بالمسيح وشبه به لا نظرا الى ملكــه بل الى كهنوته لذلك : قيل عن السيد المسيح « انت كاهن الى الابد على رتبة ملكيصادق » ولم يقل انت ملك الخ •• الامر الذى يبرهن على ان الكهنوت اسمى وافضل من النبوة والملك •

الفصل السادس

بماذا يشبه ملكيصادق المسيح

ان اوجه الشبه ما بين السيد المسيح وملكيصــــادق تنحصر فى ثلاث نقاط وهى ١ ـ **بالاسم** ان معنى ملكيصادق « ملك البر » تماما على مثال المسيح الذى اطلق عليه الانبياء « شمس البر » و « شعاع البر » ودعى ايضا ملك ساليم نسبة الى بلدته • كما وان نوع سياسته التى تفسر « بملك السلام » تشير الى السيد المسيح سلطان السلام ، الذى صنع السلام ما بين الاب والعالم والعلويين والبشر واليهود والامم والروح والجسد •

٢ ـ بالمكان :

اما بالنسبة الى المكان ومحل الاقامة فان ملك ساليم كان ملك اورشليم التى تشير باسمها وسموها ومنزلتها الى اورشليم السماوية المملوءة نورا وسلاما

٣ ـ بالأعمال :

(١) عادة ان خدمتي الكهنـوت والملك يقوم بهما شخصان لاشخص واحد على حين ان ملكيصادق جمع ما بين الخدمتين فقد كان ملكا وكاهنـا معا على مثال السيد المسيح تماما •

(٢) كان كهنوت ملكيصادق لـلامم ، وكانت جنسيته كنعانية ، يتشبه بالسيد المسيح كاهن الامم الذى كان من سبط يهوذا لا من سبط لاوى الذى كان الكهنوت خاصا به (٣) لم يذكر اسم ابيه على مثال السيد المسيح الذى لم يكن له اب جسدى • ولم يذكر اسم امه على مثال السيد المسيح الذى لا ام له بالنسبة للولادة الازلية الالهية (٤) لم يذكر بدء ايامه اشارة الى السيد المسيح الحى منذ الازل ، ولا نهاية ايامه اشارة الى قيام السيد المسيح الى الابد (٥) ان ملكيصادق اخذ العشر من ابراهيم وباركه • والـذى يبارك افضل من الذى يبارك (٦) قدم ملكيصادق لله خبزا وخمرا على مثال السيد المسيح الذى قدم سرى جسده ودمه تحت شكلى الخبز والخمر •

ايضـــاح :

هل قدم ملكيصادق ذبائح حيوانية ؟ كلا • لانه لو قدم ذبائـــح حيوانية لما دعى كاهن الله ذلك ان الاباء والابرار الذين سبقوه والـذين من اترابه مثل هابيل ونوح وابراهيم كانوا قد قدموا ذبائح حيوانية ولم يدعوا كهنة • ولو لم تكن ذبيحة ملكيصادق تختلف عن ذبيحة ابراهيم مـادة ونوعا اذن لما اخرج خبزا وخمرا لابراهيم بل قدم من نوع ذبيحته تماما • وحتى ان كهنوت هارون كان افضل من كهنوت نوح وابراهيم لا بسـبب المساواة بالذبائح الحيوانية بل لان هارون كان يقدم مع قرابينه شيئا من مادة قربان ملكيصادق وهو خبز الوجوه •

الفصل السابع

فى مادة سر الكهنوت

(وضع اليد)

يخبرنا الكتاب المقدس ان الكهنوت يتم بطريقتين ١ ـ الانتخاب وممارسة الخدمة الكهنوتية ٢ ـ وضع اليد • فمن النوع الاول ، مثل هابيل ونوح وابراهيم وملكيصادق وايوب ومن النوع الثانى موسى وهرون الخ • فحين لم يكن كهنوت فى بيت هرون ، حسن لدى الرب ان يضع يده على موسى وعينه كاهنا من طراز جديد وخوله سلطة رسامة الكهنة وبوضع يد موسى تسلسل سلطان الكهنوت ابتداء من هرون اللاوى حتى يوحنا المعمدان ولما شاء السيد المسيح الكاهن الحقيقي أن يعطى ألكهنوت للامم،وضع يده على الرسل ومنحهم قوة الكهنوت بسلطانه وبنفخة فيه وزودهم بروحه القدوس وكما صار موسى كاهنا بوضع الله مباشرة ، لا من التسلسل كهارون وابنائه ، هكذا صار الامم ايضا بوضع اليد الروحى ،كهنة بدون تسلسل شرعى • فان سر وضع اليد فى الكهنوت المسيحى ، افضل بكثير من تسلسله فى اللاويين بصورة طبيعية • حتى ان قوة التسلسل لوحدها لم تكن كافية لتجعل اللاوى كاهنا • ذلك انهم كانوا بحاجة الى وضع اليد • ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة اذ وضع موسى يده عليه (تث ٣٤ : ٩) • وظهر وضع اليد ايضا للملك ولمن هو افضل من جميع الشعب • فان افريم تميز بوضع يمين يعقوب على رأسه لكى يسمو على اخوته شرفا وكرامة • ويظهر ايضا ان القوة السرية ألكامنة فى وضع اليد ، تمنح النعمة للمشتركين فى القرابين ، كما يظهر من نظام وضع يد المقربين فى الناموس ، اذ كانوا يضعون ايديهم فوق قرابينهم •

اذن بواسطة وضع اليد الكهنوتى الذى سلمه الرب ، يتقدس
الكهنة . ولا يكفى ان ينتخب الكاهن انتخابا ،بل ان توضع عليه اليد
ضرورة . فان السيد المسيح ولئن تجلى للقديس بولس الرسول فى طريق
دمشق ، واختاره بنفسه واصطفاه ليحمل اسمه وانجيله امام الملوك والامم
الا ان ذلك لم يكن كافيا ، حتى اذا شاء الروح القدس أن يفرزه للعمل
الذى دعاه الله اليه ، تم ذلك بوضع اليد عليه (اع ١٣:١-٣)
وهكذا اخذت الكنيسة المقدسة تتبع هذا ألوضع ألالهي وتسير بموجبه فى
كل جيل وقد رأينا القديس بولس تارة يوعز الى خدام الانجيل ان يحافظوا
على الموهبة التى نالوها بوضع الايدى ، وطورا يحذرهم من وضع الايدى على
من ليسوا اهلا لذلك ، كما قال لتلميذه تيماثاوس (١تى ٥:٢٢) .

الفصل الثامن

اختصاص الكهنوت فى فئة معينة فى الكنيسة

تشير اسفار الكتاب المقدس الى وجود نوعين من الكهنوت فى
العهدين القديم والجديد على حد سواء ، وهما كهنوت عام وكهنوت خاص .

فالكهنوت العام: هو تكريس الانسان ذاته لله بجملته،وعبادته عبادة صادقة
. وهذا التكريس يدعى ذبيحة فى الكتاب.ففى العهدالقديماشار اليه داودالنبى
بقوله (مز ٥١ : ١٧) « ذبائح الله هى روح منكسرة القلب المنكسر
والمنسحق يا الله لاتحتقره » . اما فى العهد ألجديد فبما أن جميع ألمؤمنين
بعد ان اغتسلوا بماء المعمودية وتبرروا واصبحوا أعضاء حية ليسوع
المسيح الكاهن الاعظم ، اخذوا يقدمون له الذبائح الروحية على مذبح قلوبهم
(١ بط ٢ : ٥) وفى هياكل نفوسهم كقول الرسول « فانكم انتم هياكل الله
الحي كما قال الله انى ساسكن فيهم » (٢ كو ٦ : ١٦) .وهذا

ما عناه بطرس الرسول بقوله « واما انتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي امة مقدسة شعب اقتناء لكي تخبروا بفضائل الـذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب » (١ بط ٢ : ٩) وقول صاحب الرؤيا « وجعلتنا لالهنا ملوكا وكهنة فسنملك على الارض » (رؤ ٥ : ١٠) • وقد حث الرسول بولس اهل رومية (رو ١٢ : ١) عـلى تقديم اجسادهم ذبيحة حية مقدسـة مرضية عند الله عبادتهم العقلية • وزيادة في الايضاح نضيف الى ذلك كله : أن قـول بطرس الرسول • « كونوا انتم ايضا مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا كهنوتا مقدسا الخ» (١بط ٢ : ٥ و ٩) ان جميع المسيحيين كهنوت مقدس وجنس مختار يشبه تماما ما قاله قورح لموسى وهارون « ان كل الجماعة باسرها مقدسـة » (عد ١٦ : ٣) وان الله قال « انتم تكونون لى مملكة كهنة وامة مقدسـة» (خر ١٩ : ٦) • وان قورح بناء على منطوق هذه الاقوال ادعى بحقـه في الكهنوت ، ومثله مثل هارون • لذلك عاقبه الله بالموت لتصرفه المشين المضاد لتعليم الكتاب • وان القديس بطرس بعـد ان دعا المؤمنين بيتا روحيا اردف قائلا « ان الله جعلهم كهنوتا مقدسا ، لتقديم ذبائح روحية ، تمييزا عـن الذبائح الحقيقية التي لايجوز ان يقدمها الا الكهنة الحقيقيون • لاسيما وان بطرس الرسول اقتبس من سفر الخروج (خر ١٩ : ٦) هـذه الاية التي خصت اولا بالشعب الاسرائيلي • ومن الثابت ان الشعب الاسرائيلي الـذي يعلنه الرب بان يكون له مملكة احبار وكهنوت مقدس ، لم يحصل باجمعه على الكهنوت الحقيقي الذي اختص به سبط لاوي دون سواه •

اما قول يوحنا الرائي « كهنة » فان الكهنوت الذي جرى الكلام عليه في هـذا السفر هو كهنوت سكان السماء • وبديهي ان القديسين الذين نالوا السعادة الابدية لايقربون في السماء ذبائح حقيقية انما يقدمون لله ذبائح شكر وتسبيح اى ذبائح روحية •

واما الكهنوت الخاص ،

فلا يشمل الا جماعة خاصة من المؤمنين ، يختارون لخدمة خاصـــــه مقدسة ويفرزون لله بواسطة الشرطونية اى وضع اليد شرعا وقـــد اعلن عن هذا الكهنوت الخاص فى العهد القديم كما سبق شرحه فــــــى الكهنوت الموسوى الذى خص بسبط لاوى برمته دون غيره من الاسباط كقوله تعالى لهارون « واما انت وبنوك معك فتحفظون كهنوتكم مع ما للمذبح وما هو داخل الحجاب وتخدمون خدمة عطية اعطيت كهنوتكم والاجنبى الذى يقترب يقتل» (عد ١٨ : ٧) .وقد حاول البعض اغتصاب هذا الكهنوت غير ان عاقبتهـــم كانت الفشل والمرض والعزل والموت الشنيع كما حدث لقورح واتباعــــه (عد ١٦ : ١) وشاول (صم ١٣ : ١٤) وعــــــوزيا الملك (٢ أى ٢٦ : ١٦).

واما فى العهد الجديد فقد اختار المسيح فئة خاصة من المؤمنين أناط بهم الكهنوت وسماهم رسلا (لو ٦ : ١٣ و (يو ١٥ : ١٦) وعهد اليهــــــم ادارة كنيسته ورعاية ابنائها وارشادهم الى طريق الحق والخـــــــــلاص (مت ٢٨ : ٢٠) وايدهم بالقوة كما اخذها مــــن الاب (مت ٢٨ : ١٨) ومنحهم السلطان على ربط الخطايا وحلها (مت ١٨ : ١٨) وغفرانهـــــا ومسكها . واقامة اسراره ومنحها للمؤمنين باسمه . وامر بالطاعة لهم وسماع كلامهم وهدد بالعقاب الصـــــارم لمن يخالفهم (مت ١٠ : ١٤ و١٥) ناسبا الطاعة لهم،طاعة له ولابيه،كما ان احتقارهم احتقار له ولابيه ايضا(لو ١٠ : ١٦) واعدا بان يكون معهم ومع خلفائهم الى انقضاء العالــــــــم (مت ٢٨ : ٢٠) .

حفظ الرسل لانفسهم هذه الحقوق والامتيازات التى نالوها من الله واستعملوهـــــا فيما يؤول الى تدبير الكنيسة واقاموا لهم نوابا وخلفـــــاء (أع ١ : ٢٤) مانحين اياهم « بسر وضــــع اليد » القوة التى اعطيت لهــــم مــــن الرب مبينين انها مــــن الروح القدس نفسه (أع ٢٠ : ٢٨) .

وخولوهم الحق دون غيرهم فى تعليم وارشاد المؤمنين (١تى ٢:٦) وفوضوا اليهم حق رسامة القسس • كما اقام بولس تيماثاوس فى افسس وتيطس فى كريت ، وخولهما حق اقامة الخدم الكهنوتية وممارستها •

وهكذا تألف هذا النظام العجيب فى الكنيسة لتدبيرها ولادارتهـــــا الروحية مؤلفة من رعاة ورعية او اكليروس وشعب •

الفصل التاسع

درجات الكهنـــوت

ان درجات الكهنوت ثلاث وهى : ١ ـ الاسقفية ٢ ـ القسوسية ٣ ـ الشماسية • وهذه الدرجات الثلاث قد اقيمت فى الكنيسة بحق الهى لا بحق كنائسى اعنى انها اسست ورتبت الابناء على مجرد استحسان المؤمنين بل من الله نفسه ، وتمنح بنعمة الروح القدس • فلا يقع عليها او على احداهـــا تغيير مثل المعمودية التى اسسها الرب ولاتقبل تغييرا • ومما يسترعى الانتباه ان هذه الرتب كانت موجودة فى كهنوت العهد القديم الذى تغير الى أكمل منه فى العهد الجديد • اى كان فيه احبار وكهنة ولاويون •

حيث ان الكهنوت بحسب تعريف وتحديد آباء الكنيسة هو التشبه بالله وحيث ان التشبه بالله هـــو التدرج من السيرة البشرية الى السيرة الملائكية ، فان هذا التدرج يتم على ثلاث مراحل اولا : التطهير من كـــل عمل بشرى ثانيا : الاستنارة وهى السير الحثيث نحو التشبه بالله كقـــوله « فسيروا مادام لكم النور لئلا يدركم الظلام • والذى يسير فى الظلام لا يعلم الى اين يذهب مادام لكـــم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبنـــاء ألنور » (يو ١٢:٣٥) • ثالثا : الكمال وهو البلوغ الى هذا التشبه فالاول هـــو

عمل الشمامسة لذلك دعوا بالمطهرين والثانى هـو عمل الكهنة لذلك سموا بالمنيرين والثالث خاص برؤساء الكهنة لذلك اطلقت عليهم صفة المكملين ٠ ولنأتين الان الى شرح هذه الرتب الثلاث :

الرتبـة الاولى

الاسـقفية

الاسقفية هى الرتبة العليا فى الكنيسة تخضع لها الرتبتان الاخريان ٠ والاسقف كلمة يونانية معناها المراقب او الناظر ٠ وكان اليونان يطلقونهـا علـى الهتهم كما ورد فى اشعار هوميروس ومـؤلفات افـلاطون ، ثم اطلقوها على اصحاب المراكز المدنية العليا ٠ وفى الكنيسة سمى بهـا رؤساء الكهنة بنوع خاص ٠

ويدعى ايضا الاسقف بالكتاب المقدس شيخا وتشير رسائل الرسل فى الكثير من الاحيان الى زعماء الكنائس فتجعلهم رؤساء أو مدبرين أو ملائكـة او رعاة او شيوخا ٠ واكثر هذه الالقاب استعمالا هـو الاسـقف أو الشيخ ويصعب كثيرا التفريق ما بين الاسقف والشيخ فى رسـالة القديس اقليميس الرومانى الى اهل كورنثوس [١] ٠

وقال القديس ايوانيس الدارى (كان القسيس قديما يدعـى باسمين الشيخ والاسقف فكان يدعى شيخا اكراما له اذ اعتاد اليهود أن يدعـوا رؤساء المجامع والـوجوه شيوخا وكان الشيوخ انفسهم يدعون أسـاقفة بسبب تفقدهم الشعب لذلك فان لفظة الاسقف تعطى هذا المعنى ومـن البراهين التى تؤيد ان الشيوخ كانوا يدعون أساقفة ما جاء فى سفر أعمال

---

(١) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ص ٤٠ جـ١ اسد رستم ٠

الرسل قوله « ارسل بولس الى افسس واستدعى قسوس الكنيسة » (أع ٢٠ : ١٧) ويردف قائلا لهم « احترزوا اذا لانفسكم ولجميع الرعية التى اقامكم الروح القدس فيها اساقفة » (أع ٢٠:٢٨) فالذين سماهم للمرة الاولى شيوخا دعاهم فى المرة الثانية اساقفة .

ان الأساقفة اقيموا كما سبق القول خلفاء للرسل فى كل شيء . نعنى بذلك ان كل واحد من الرسل كانت له حقوق عامة وفقا لوصية مرسله (مر ١٦:١٥) فيقيم قسوسا وشمامسة (١ تى ١:٥) ويوبخ المذنبين ويعظ (١ تى ٥:١٩) وحق مكافأة الذين يحسنون التدبير فى وظائفهم وحق محاكمة القسوس المشتكى عليهم وتوبيخهم (١ تى ٥ : ١٩) والاسقف يبارك ولا يبارك ويأخذ البركة من زميله الاسقف فقط. (هدايات ١:٧ عن القانون التاسع للرسل) . ان الاسقف كان فى فجر المسيحية كما قلنا رئيسا للكنيسة يدير امورها ويرعى شؤونها ويقوم بجميع ما يتعلق بها . فلما انتشرت المسيحية فى العالم باسره ، ولاسيما بعد مرور القرون الثلاثة الاولى على نشوئها ، فبعد ان كان لقب الاسقف خاصا بمن يرئس الكنيسة رأت المسيحية بعد ذلك ان تنظم رئاسة الكنيسة تنظيما جديدا وتحدث فيه القابا جديدة متنوعة وفى كنيستنا السريانية الانطاكية جاء ذلك التنظيم على الشكل التالى :

البطريرك ـ الجاثليق او المفريان ـ المتروبوليت ـ الاسقف . كما سنت الكنيسة السريانية على كر الاجيال قوانين وانظمة فى رسامتهم وتحديد سلطتهم وتعيين واجباتهم وعلاقة بعضهم ببعض وعزلهم وغير ذلك نضرب صفحا عن ايرادها .

ولاجل الفائدة نقول كلمة عامة اجمالية عن كل رتبة من الرتب الخاصة فى رئاسة كنيستنا السريانية المار ذكرها .

البطريركية :

البطريرك لفظة يونانية معناها رئيس العشيرة وهو اب الاباء ورئيس المطارنة والاساقفة ،يخفف فيقال فيه بطرك وجمعها بطاركة وبطارك والاول هو المأنوس والاسم البطريركية والبطركية [1] .

واطلق لقب البطريرك على اساقفه الكراسي الثلاثه الكبرى الانطاكيـة والاسكندرية ورومية منذ القرن الخامس [2] .

ويعتبر القديس بطرس الرسول اول بطريرك جلس على الكرسـى الانطاكي ثم تعاقب بعده بطاركة تسلسلت رئاستهم حتى وصلت الى قداسة حبرنا الاعظم مار اغناطيوس يعقوب الثالث وهو المئة والعشرون في عـداد بطاركة انطاكية الشرعيين .

كان مركز الرئاسة البطريركية في انطاكيه اولا واستمر فيها الى عهد مار سويريوس الكبير سنة ٥١٨ ثم نقل الى ما بين ضواحي انطاكيـة واديار ما بين النهرين وعلى الاغلب في دير مار برصوم . وفي سنة ١١٦٦ ارتقى مار ميخائيل الكبير الى الكرسى البطريركي ورغب فـى اتخاد دير الزعفران مقـرا له فلما نصب اغناطيوس الخامس ابن وهيب سنة ١٢٩٣ اقـر دير الـزعفران كرسيا بطريركيا . وفـى ١٩٣٣ اقـام البطريرك افرام الاول برصوم فـى حمص غير ان قداسـة البطريرك الحالى مار اغناطيوس يعقوب الثالث سنة ١٩٥٩ نقل رسميا مقر الكرسي الى دمشق حيث لايزال حتى اليوم .

وكان بطاركة انطاكية عند تنصيبهم يحتفظون باسمائهم الاصلية فلمـا

---

(١) اللؤلؤ المنثور الطبعة الاولى ص ٤٩٨ .

(٢) وأما اسم بابا ومعناه الاب فكان يطلق في القرن الثالث والرابع بل ما بعدهما على عدة اساقفة وكذلك أسقف الاسكندرية سمى أحيانا بابا . الدرر النفسية ص ٣٩٨ .

ارتقى الى الكرسي البطريركي يشوع سنة ٨٧٨ م اتخذ له اسم اغناطيوس تيمنا باغناطيوس النوراني الشهيد ثاني خلفاء الرسول بطرس في كرسي انطاكية • وحذا حذو يشوع اربعة بطاركة من بعده اخرهم يوسف بن وهيب سنة ١٢٩٣ وهو اغناطيوس الخامس الذى استطردت العادة من بعده باضافة اسم اغناطيوس الى الاسم الشخصي للبطريرك الى يومنا هذا فيدعى اغناطيوس فلان بطريرك انطاكية وسائر المشرق •

الجثلقة أو المفريانية جاثليق لفظة يونانية تعني العام ، الكلى وهي رتبة تتوسط البطريركية والاسقفية ج جثالقة والاسم الجثلقة [١] وانشئت اولا في سليق وقطيسفون (المدائن) عاصمة الدولة الفارسية في الربع الاول من الجيل الخامس وخضعت لها ابرشيات المشرق [٢] ثم استبدل اسم هذه الرتبة بلفظة المفريانية ، والمفريانية لفظة سريانية معناها المثمر • ونقل مقرها الى تكريت سنة ٦٢٨ عند رسامة مار ماروثا مفريانا • وسنة ١٠٨٩ نقل الكرسي من تكريت الى الموصل • والغيت هذه الرتبة بقرار مجمعي سنة ١٨٦٠ بعد وفاة المفريان باسيليوس بهنام الرابع الموصلي وكانت العادة قديما عند ارتقاء المفريان ، ان يحفظ له اسمه الاسقفي • ومنذ القرن السادس عشر اصطلحوا على تسميته بـ (باسيليوس) مضافا الى اسمه الشخصي •

وفي ١٥ ايار سنة ١٩٦٤ تجددت رتبة المفريانية برسامة باسيليوس اوجين الاول على يد قداسة الحبر الاعظم مار اغناطيوس يعقوب الثالث الجالس سعيدا على الكرسي الانطاكي، واصبح مقرها في الهند •

---

(١) اللؤلؤ المنثور الطبعة الاولى ص ٥٠١ و ٥٠٢

(٢) تاريخ الكنيسة الهندية لقداسة البطريرك يعقوب الثالث ص٢٢

المطران : كلمة يونانية اصلها متروبوليت يراد بها رئيس الاساقفة المقيم فى مدينة كبيرة ج مطارين ومطارنة والاسم المطرانية [١] • ونشأت هذه الرتبة عند كثرة عدد المؤمنين فى كل ولاية واقليم [٢] •

الرتبة الثانية

القسوسية

القس لفظة سريانية معربة اصلها (قاشيشو) ومعناها الشيخ [٣] وقد ورد ذكرها فى اعمال الرسل حيث قيل « انهم (الرسل) اقاموا فى كل كنيسة قسوسا » (اع ١٤ : ٢٣) واوصى الرسول بولس تلميذه تيطس ليقيم قسوسا بقوله « من اجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الامور الناقصة وتقيم فى كل مدينة شيوخا كما اوصيتك (تى ١ :٥) • ومن وظائف القس ان يتمم كل الاسرار المقدسة من تعميد وتقديم الذبيحة الالهية وحل خطايا التائبين اما وضع اليد فهو خاص بالاساقفة وحدهم • وأما قول الرسول بولس لاسقف افسس « لاتهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع ايدى المشيخة (١تى ٤ :١٤) فلا يؤخذ منه ان للقسوس الحق فى وضع اليد لان كلمة الشيخ فى العهد الاول كما اسلفنا كانت مشتركة بين الاسقف والكاهن ومن ثم دعا بطرس نفسه شيخا (١ بط ٥ : ١) وهو هامة الرسل •

ومن هذه الدرجة تفرعت :**الخورنة** • وصاحب الرتبة يدعى الخورى

---

١ ـ اللؤلؤ المنثور ، الطبعة الاولى ص ٥٠٢ •

٢ ـ الدرز النفسية ص ٣٩٦ •

٣ ـ جرت العادة فى العهد الرسولي فى الكنيسة أختيار فضليات الارامل المسنات ورسامتهن قسيسات • وكن يقفن فى المذبح وراء القسس فى الجهة اليسرى من المذبح (الاشعة لابن العبري ، الميمر السابع ، الباب الثانى ، الفصل الاول •

ويتقدم اليوم كهنة الكنيسة في حين انه كان قديما نائبا للاسقف في القرى والارياف الخاضعة لكرسيه او معاونا له في تدبير الكنيسة . وقد عرفت هذه الوظيفة في بلاد الشرق في النصف الثاني من المئة الثانية وقد ربطتها مجامع القرن الرابع بقوانين جعلت اصحابها عبارة عن قسوس مفتشين او زائرين او حوارنة يرجعون ابدا الى سلطة الاسقف.[1]

الرتبة الثالثة

الشماسية

الشماس لفظة سريانية معناهـــا الخـــادم ، ووظيفته دون القسيس ويعاونه . ج الشمامسة والاسم الشماسية . وقـــد جاء ذكرها فـــى الكتاب المقدس عندما انتخب الرسل سبعة رجال مملوئين من الروح القدس ورقوهم الى درجة الشماسية (اع ٦ :١ ــ ٧) . ووردت هـــــذه الـــــدرجة صريحـــة في رســـــالة الرسول بولس منها « مع اساقفة وشمامسة » (فـــى ١ : ١) « يجب ان يكـــــون الشمامسة ذوى وقـــار » (١ تى ٣ :٨) « ليكن الشمامســـة كـــل بعـــــل امرأة واحدة » (١ تى ٣ : ١٢) . ويتقدم الشمامسة الانجيليين ، رئيس له درجـــــــة الارخدياقونية . واوجدت في القرن الثانـــى والثالث ، الابدياقن والقارىء والمرتل[2] .

الارخدياقون (رئيس الشمامســة) لفظة يونانية ج ارخدياقونيـــة ، احدثت هذه الرتبة في العصر الرسولى كما يتضح من سفر اعمال الرسل . اذ انهم انتخبوا سبعة رجال وسموهم شمامسة وكان اسطيفانوس رئيســـهم واستمرت هذه الدرجة في الكنيسة من عهد الرسول الى يومنا هذا . وقـــد

١ ــ الدرر النفيسة ص ٣٩٥
٢ ــ نفس المصدر .

تقرر بشأنها فى مجمع نيقية المقدس(والارخدياقون «رئيس الشمامسة » يقوم فى الصلاة الى جانب الاسقف لتنفيذ اوامره فى تنظيم جميع الصلوات وأمور الكنيسة وهو يفصل ما يحدث بين الشمامسة من خلافات لكى تحفظ كرامة الاسقف وهيبته) • ويشهد الاباء على ذلك ، قال مار سويريوس يعقوب البرطلى مطران دير مار متى « والارخدياقون رئيس الشمامسة ، لا يبدأ احدهم قبله الا باذن منه • وهو كجبرائيل رئيس الملائكة (الكنوز ركن ٣ ف ٣٨)،وله ان يدبر المذبح (هدايات ب ٧ف ٦) • وقد فصلت باقى واجباته فى كتابى الهدايات لابن العبرى والكنوز للبرطلى •

الشماس الانجيلى هذه الرتبة هى كمال الشماسية • لقد مر معنا ان الشماس لفظة سريانية معناها الخادم • وهو خادم الاسقف والقسيس فى اثناء قيامهما بالصلوات والاسرار الالهية ، ومفتقد الفقراء والارامل والمرضى ، ومدبر اوقاف الكنيسة • وكان يعظ بتفويض من الاسقف [1] •

وندون بعض القوانين المتعلقة بالشماس مستقاة من كتاب الهدايات :
(الشماس لايبارك بل يبارك من الاسقف والقس ، لاحق له ان يعمد ولا ان يقدس بل يحق له ان يساعد الاسقف فى الخدمات الكنسية) هدايات ٧ : ٦) • وجاء ايضا فى قوانين الرسل ف ٢ : وبعد صعود ربنا ، عندما قدمنا الذبيحة الطاهرة رسمنا اساقفة وقسسا وسبعة شمامسة احدهم اسطيفانوس الشهيد الذى كان يتقد بحرارة الروح ألقدس وعرض نفسه للرجم وعاين المسيح عن يمين الاب وابواب السماء مفتوحة ، ومع هذا فلم يقدم ذبيحة ،او يضع يده على احد بل ظل محتفظا برتبة الشماسية) هدايات ٧:٦ وجاء ايضا (اذا قيل ان فيليفوس عمد الخصى الحبشى فانه لم يخطف كرامة الكهنوت ، ولكن انما امره الرب أن

---

١ ـ الدرر النفيسة ص ٣٩٥

يقوم بهذا العمل) هدايات ٧ : ٦ •

الابودياقن لفظة يونانية معناها نصف شماس • جمع ابدياقونية ، وهو دون الشماس ومساعده • تنحصر وظيفته فى اخراج الموعوظين وغير المؤمنين من الكنيسة فى اثناء تقديم الذبيحة الالهية ، وحفظ الابواب وحراستها لئلا يدخل اليها احد من غير المؤمنين • جاء عنه فى كتاب الهدايات (ايها الاسقف عندما ترسم ابدياقونا ضع عليه اليد ، واتل الصلاة التى تناسب يوم الاحد واوصه امام جميع الشعب ان يدخل (ألكنيسة) بالطهر والصوم والصلاة ، ليصبح اهلا ان ينال رتبة ا اسمى) هدايات ٧:٨ •

القارىء وظيفته تلاوة القراءات المقدسة • جاء عنه فى كتاب الهدايات (ايها الاسقف عندما ترسم قارئا ضع عليه اليد مع تلاوة صلاة مناسبة واعطه فى يوم الاحد امام مرأى الشعب كتابا ليقرأ وليكن هادئا ، متواضعا ،متعلما ،) الهدايات ٧:٨) وجاء ايضا (الذين يختصون بقراءة الكتب المقدسة أمام الشعب ، هولاء يصعدون الى المنبر حيث يتلون القراءات المقدسة) هدايات ٧ : ٨ •

المرتل وظيفته الاشتراك فى الترتيل • وهذا لايكون عن طريق الرسامة بل بامر الاسقف واذن منه • هدايات ٧ : ٨ •

ووجدت ايضا فى الكنيسة الشماسة منذ العصر الرسولى (١ ع ٢١:٩) وكانت الشماسات ينتخبن من فضليات العذارى والارامل ، ويرسمن بحسب طقس خاص خارج المذبح،وكن يقفن وراء الابدياقونيين ولم يسمح لهن بالقيام بالخدمات الكهنوتية ولا بالدخول الى المذبح ، بل بالمساعدة فى تعليم النساء الموعوظات وعمادهن والقيام ببعض حاجات البيعة كالكنس وانارة الشموع • (الاشعة لابن العبرى الميمر السابع الباب الثانى ألفصل الاول عن كتاب اقليمس ويعقوب الرهاوى) ايضا الدرر النفيسة ص ٣٩٦)

الفصل العاشر

الدعوة الكهنوتية

أن الكهنة هـــم رسل الله يعلمـــون البشر الشرائـع الالهية والوصايا الكنسية ، وهم وكلاؤه على الارض ، يتممون خدمة الاسرار • فخدمتهم اذن عظيمة جدا لاتعلوها خدمة • ولذلك لم يكتف الكتاب بان يخلع عليهم لقب « رســـل رب الجنود » (ملا ٢:٧) بل دعاهـــم ايضا الهة• اذ قال لموسى النبى «انى جعلتك الها لفرعون » (خر ٧ : ١) • وذلـــــك لانهم قابضون فى الارض على السلطان الالهى • لذلك لايستطيع الانسان ان يحصل على هذه الخدمة الا بدعوة من الله تعالى • ونعنى بالدعوة ، اختيـــار الله الشخص وتكليفه بمهمة روحية ، وتحميله رسالة سماوية • فكمـــا أن السيد المسيح ارســـل من الآب (يو ٥:٣٦ و ٣٧) والتلاميذ والرســـل ارســـلوا من المسيح (يو ٢٠ : ٢١) ، هكـــذا والكهنة ايضا يجب ان يرسلوا لاكمال القديسين ولبنيان جسد المسيح (اف ٤:١٢) • فيجب ان لا تعطى مسئولية هذه الخدمة العظيمة الا للمملوئين من الحكمة وقداســة الايمان ، وكقول الكتاب ايضا «ولا يأخذ احد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون ايضا » (عب ٥:٤) • امـا الــــذين يأخـــذون هذه الرتبة سعيا وراء المادة والمجد الباطل ، وطمعا باغراض شخصية اخرى ، بعيدة عن روح الرسالة والدعوة الكهنوتية ، فهؤلاء يدعـــون اجـــــــراء (يو ١٠:١٢)•وقد قال فيهم النبى حزقيال (٣٤:٢) انهم « يرعون انفسهم » لا الرعية واشار اليهم الرب بلسان ارميا قائلا «لم ارسل الانبياء بل هم جروا • « لم اتكلـــم معهم بل هم تنبأوا » (ار ٢٣:٢١) •فمثل هؤلاء يجنون عـــلى انفسهم وعلى كنيسة الله فى ان واحد • والله تعالى يدعو كهنته ويرســـلهم للخدمة ، بوسائل شتى وطرق متنوعة اهمها

أولا : الدعوة المباشرة :

وذلك كما دعا هرون، اذ اختاره من بين جميع شيوخ بنى اسرائيل بعلامة فائقة الطبيعة ، اذ افرخت عصاه فازهرت زهرا وانضجت لوزا (عد ١٧:٦) ولذلك يقول الرسول بولس « ولا يأخذ احد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون ايضا « (عب ٥:٤)، وكما دعا برنابا وشاول « وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الايدى ثم اطلقوهما » (اع ١٣:٢-٣) وهكذا كان الله يدعو انبياءه ورسله دعوات مباشرة ويرسلهم الى شعبه ليوصلوا اليهم اوامره الالهية ، ويعلموهم شرائعه المقدسة .

ثانيا : الدعوة غير المباشرة :

وذلك بواسطة الاكليروس او الشعب الذين ينتخبون قدام الرب بارشاد الروح القدس ، كانتخاب ماتياس والشمامسة السبعة . لذلك يجب على الذى يروم الانتساب الى سلك الكهنوت ، ان يضع نصب عينيه اهداف ألرسالة المقدسة التى تلقى على عاتقه ، والتى يدعوها الرسول بولس ب « العمل الصالح » اذ يقول « صادقة هى الكلمة ان ابتغى احد ألاسقفية فيشتهى عملا صالحا » (١تى ٣:١) . فيريد الرسول بولس « بالعمل الصالح » ، السعى وراء الخير والفضيلة ، وهداية المؤمنين الى معرفة ألحق وليس السعى وراء الرئاسة او الجاه وما اشبه ، لذلك لم يورد الرسول عبارته بصيغة النفى « لايشته احد الاسقفية » ، لئلا يظهرها بمظهر امر صعب وعبء ثقيل مما يسبب التهرب منها ، خاصة فى ايام الاضطهادات . كما انها لم ترد بصيغة الامر « يجب على الجميع ان يشتهوا الاسقفية » لئلا يفسح المجال للذين يسعون وراءها بسوء قصد التوصل الى غاياتهم البشرية ، والعبث بها .

ان بعض الذين وهبت لهم النعمة ، كالنبوة والرسالة فمنهم من انقـــاد الى الـــــــدعوة طائعا مسرورا ، كهرون وأشعيا . ومنهم مـن مانـــع كموسى وارميا . وكلا الطرفين فعلا ذلك بخوف الله وحسن النية . فالذى مانـــع بسبب نسبته الضعف الى نفسه والذى انقاد انما انقاد اظهارا لطاعة الله . لذلك لايجوز للانسان ان يرفض عندما تدعوه النعمة لاقتبالها لئلا يفسد نظـــــام الكنيسة الجميل ، وتبطل خدمة الاسرار الكهنوتية . كما لايجـــوز له ان يمتنع ايضا عن قبولها بسبب سموها وعظم امرها . ولا تقبـــل الحجج والاعذار فى مثل هذه الحالة مهما كان نوعها ولونها . فليحذر الانسان اذن العصيان ، وليعلم ان نتيجة ذلك وخيمة جدا ودليلنا فى ذلك يونان النبى الذى عرض نفسه للهلاك بهروبه من وجه الله .

الفصل الحادي عشر

شروط سر الكهنوت

اولا : المـادة :

وهى وضع اليد (قد مر شرحها) . ثانيا : الصورة هى الالفاظ الخاصه التى تتلى على المرتسم كل بحسب درجته كما سياتى ذكره فـــى شرح طقس الرسامات . ثالثا : الخادم ، وهو رئيس الكهنة ، ويعتبر مصـدر المنح الالهية وعلة الخــــــلاص كما يقول ابن العبرى (بما ان العناية الالهية تسعى وراء خلاص البشر ، لذلك منحتهم رئاسة الكهنوت لكى يجدوا الخــــــلاص بواسطتها . وحيث ان الخلاص لا يحصل عليه بدون التأله ، والتأله لا يتم الا باتحاد مع الله ، والاتحاد لا يحصل عليه الا بعد التشبه بالله ، ويستحيل عـلى الانسان ان يتشبه بالله ما لم يعتمد ، والعمـــاد لايتم بدون رئاسة الكهنوت ، فرئاسة الكهنوت اذن هى مصدر كل الخيرات والمنح الالهية السماوية) . وعلى

خادم السر ان يتحلى بسيرة مقدسة فاضلة ، كما بين ذلك الرسول بولس فى تبيان السيرة التى يجب ان يتحلى بها من يكرس نفسه لله ويتقدم الى هــذا السر العظيم • فلقد جاء فى رسائله الى تلميذيه تيماثاوس وتيطس عــــن الاسقف والقس ما يلى:« يجب ان يكون الاسقف بلا لوم بعـل امرأة واحدة صاحيا عاقلا محتشما مضيفا للغرباء صالحا للتعليم غير مدمن الخمر ولاضراب ولاطامع بالربح القبيح بل حليما غير مخاصم ولا محب للمال يدبر بيته حسنا له اولاد فى الخضــوع بكل وقار وانما ان كان أحد لايعرف ان يدبر بيتــه فكيف يعتنى بكنيسة الله غير حديث الايمان لئلا يتصلف فيسقط فـــــى تعيير وفخ ابليس (١تى ٣:٢-٧) و (تى ١:٦-٧) وعن الشمامسة ايضــا (١ تى ٣:٨)• فعلى ضوء اقـــوال بولس الرســـول هذه يجب ان يتوفر فى الكاهن ما يلى ١ ـ ان يتجنب الرذائل كالطمع والربح القبيح ومحبة المال والادمان على الخمر والغضب وسرعة الضرب والخصام •

٢ ـ التحلى بالفضائل المسيحية على قدر الطاقة البشرية كالحلـــــم والصلاح والاحتشام والحكمة واضافة الغرباء •

٣ ـ الانصراف الى الدرس والمطالعة الروحية ليزداد علما وتفقهـــا كما تطلب منه وظيفته لان شفتى الكاهن تحفظان معرفة مـن فمهم يطلبـون الشريعة لانه رسول رب الجنود (ملا ٢:٧) • وبعد ان يتفقه بالعلم الدينــى وبالشريعة الالهية ينصرف من ثم الى العمل بموجب ذلك • اى ان يكـــون العمل مقرونا بالتعليم لئلا يبكته رسول الامم بقوله « فانت اذا الذى تعلـــم غيرك الست تعلم نفسك » (رو ٢:٢١) •

٤ ـ بعل امرأة واحدة • لقد اورد المفسرون هذا القول بتاويلات عديدة وذهبوا فى شرحه مذاهب شتى • فقال بعضهم لقد كان الذين ينضـــمون الى الكنيسة فى بدء المسيحية يتخذون لانفسهم نساء عديدة وظلوا على عادتهم هذه

حتى بعد تنصرهم اذ لم يكن مسموحا لهم ان يتركوا نساءهم ، كما يخبر القديس بولس الرسول « ان كان اخ له أمرأة غير مؤمنة وهي ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها » (١كو ٧: ١٢) فقالوا ان الرسول اعتمد في هذا القول ، على ان مثل هؤلاء لايجب أن يتخذ منهم كهنة ، ولئن تتلمذوا وامنوا •أما الذى يسمح له أن يكون كاهنا فهو الذى تتلمذ وكان قد اتخذ لنفسه امرأة واحدة فقط•وقال آخرون كان المؤمنون فى تلك الايام يتخذون لانفسهم امرأتين جريا على سنة موسى التى تجيز ذلك • وكان بعضهم يتخذون لهم جوارى ايضا • لذلك قال الرسول يجب أن يكون بعل امرأة واحدة أى ان لا يكون اثنتان فى آن واحد أمامن كان قد اتخذ له امراة واحدة وبعد مماتها اتخذ ثانية فلا يجب أن يمنع من الدخول فى سلك الكهنوت • بيد أن اباء الكنيسة فهموا النص الرسولى بان الكاهن يجب أن يتزوج واحدة ومرة واحدة فقط على مثال اتحاد المسيح رئيس الكهنة والكنيسة •

الفصل الثاني عشر

فى الرسامات الكهنوتية

قال العلامة ابن العبرى: كما ان رئاسة الكهنوت والكهنوت سواء أكان ذلك سماويا أم ارضيا ، يحصل على كماله بيسوع رئيس الكهنة الحقيقى ، وعلى هذا النمط تعمل القوة الالهية التى وضعها الروح القدس فى رئيس كهنتنا فى جميع امور الكهنوت الارضى فتصل القوة الالهية بواسطته الى جميع الدرجات التى دون درجته ، وبدون المنحة التى تعطى بواسطته لا يستطيع أحد من الذين هم ارقى منه درجة أن يكمل أو يمارس الاسرار السامية •

فمثلا لو لا الميرون الذى يقدسه رئيس الكهنة لما جاز للكاهن أن يكمل خدمة الاسرار ذلك ، أن الميرون يقدس المذبح الذى تقدم عليه الاسرار • وهنا نواجه بالسؤال التالى : اذا كان كمال الاسرار الالهية منوطا برئيس الكهنة وحده فلم يكمل الكهنة سرى المعمودية والقربان ؟ فنجيب : ولئن كان الكهنة يكملون بعض الاسرار ولكنه في فى الوقت نفسه لا يستطيعون أن يكملوا شيئا بدون استخدام ما يكمل بواسطة رئاسة الكهنوت فمثلا ا : أن الكاهن لم يصبح كاهنا الا بواسطة رئاسة الكهنوت • ب : انه لا يستطيع أن يكمل سر المعمودية ما لم يستعمل الميرون الذى يقدسه رئيس الكهنة ، كما لايستطيع ان يقدس ذبيحة على مذبح غير مقدس او طبليث غير مقدس من قبل رئيس الكهنة بواسطة المسح بالميرون المقدس • وهذا كله يدعى بالكمالات الكهنوتية أو الرسامات التى تمارس بموجب طقوس كنسية خاصة وصلت الينا اقدم صلواتها فى الدمقالية • ثم جاء آباء الكنيسة فاضافوا اليها حتى وصلت الى يومنا هذا بالشكل الحالى •

طقس رسامة رئيس الكهنة
أي المطران والمفريان

بعد تلاوة فرض الساعة الثالثة صباحا يدخل البطريرك الى قدس الاقداس ومعه مطرانان ويدعو المنتخب او المرشح ، ويسدل الستار • ثم يلبس البطريرك المرشح قميصا وهمنيخا وزنارا وزنودا ويضع على رأسه منديلا ثم يقول له « يدعوك الروح القدس لتكون متروبوليتا أو أسقفا للمحل الفلانى» • ويجثو المدعو أمام البطريرك قائلا « اوافق واقبل » ثم يقف المرشح فى احدى جهات المذبح حتى ينهى البطريرك خدمة القداس • وعند زياح الاسرار

يتجه مطرانان نحو المرشح ويأخذانه الى أمام مائدة الحياة • أما البطريــرك فيغسل رؤوس انامله ويقبض على الصليب والعكاز ، بينما ينشد الشمامسـة نشيد « طوبى للعبيد الصالحين » • ثم يباشر البطريرك والمطارنة والاساقفـة بخدمة وضع اليد بحسب الصورة المدرجة وتقسم الى خدمتين :

الخـدمة الاولى :

وتحتوى عـلى صلوات ومزامير ٢١ ، ٤٢ ، ٧٢ ، ٥١ ، و١٥٠ وقراءات من سفر الاعمال ١:٢ ـ ٨ و ١٤-١٦ و ١:٢-٢ و ١٤ و ٢٢ و ٢٣ و ٣٣ و ٣٩ و ص٦:٢-٦ و ١٤:٨ و ١٧ ، ١٨ ، ٢١ و ٢٥:١٢ و ٢:١٣-٤ ورسالـة بولس الرسول اتى ١:١٨-١٩ وص ١:٣-٧ و ١٣ وص ٦:٤ ، ٩٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ص ٣:١٥ ١٩ ٢٢ ص٦ : ١١-١٤ و ١٦ • وانجيل مت ١٣:١٦ - ١٩) •

وحساى وفروميون واناشيد وقالات متنوعة • تلاوة الانجيل المقدس يقف البطريرك على درجة مائدة الحياة ووجهه نحو المغرب ويقف المرشـح المرتسم أمام مائدة الحياة منحني الرأس ووجهه نحو المشرق ، ويوضع الانجيل المقدس على كتفيه وظهره طيلة تلاوة الانجيل • وبعد الانتهاء من تـــلاوة الانجيل المقدس يقف المرتسم عن الجهة الجنوبية من جناح المذبح وبعد أن يرفع المصنفة من رأسه ، يتلو (الشلموث) (أى الاقرار (معلنا فيهـا ايمانـه الارثوذكسي القويم وتعهده بحفظ القوانين الكنسية والطاعة للبطريرك •ثم يجثو امام المذبح على ركبتيه •

الخدمـة الثانية :

وتشتمل على صلوات وحساى ومناداة وصلاة استدعاء الروح القدس والتسمية الجديدة أى اعطاء الاسم الابوى للمرتسم ، مع تلاوة صورة السر

عندما يعلن البطريرك قائلا «رسم في كنيسة الله المقدسة» • ثم يردف احد المطارنة أو الاساقفة فورا « فلان مطرانا أو اسقفا للكنيسة المقدسة في المدينة الفلانية الابرشية المباركة » • ويكرر البطريرك قائلا « فلان ـ وهنا يذكر الاسم الابوى الممنوح للمرتسم ـ اسقفا أو مطرانا للكنيسة المقدسة الارثوذكسية في المكان الذى سبق ذكره) فيجيب المطارنة والاساقفة « بارخمور » • ثم يختم البطريرك المرتسم بابهامه على جبهته برسم الصليب المقدس قائلا « باسم الآب والابن والروح القدس » ويرسم صليبا على جبهة المرتسم عند تلاوة كل دعوة ، ثم يجلس المطران أو الاسقف المرتسم على الكرسى فيزيحه الكهنة أمام باب المذبح • ثم يتلو فصلا من انجيل يوحنا ص ١٠ :١-١٦ • ثم يسلمه البطريرك عصا الرعوية الحبروية اذ يضع يده في اعلاها ويضع الاساقفة الحاضرون كل بدرجته يده بعد يد البطريرك ثم يد المرتسم في اخر الكل بعدئذ يرفع المطارنة والاساقفة ايديهم من العصا ، لكى يسلمها البطريرك الى المرتسم ، فيبارك بها الشعب • ويقبل يمين البطريرك ثم يعطى السلام للمطارنة والاساقفة ويقدمونه الى باب المذبح ويبارك الشعب بالصليب المقدس وينهي القداس الالهى • ثم يكتب البطريرك للاسقف الجديد كتاب عهد يسمى ب «السوسطاتيقون» يقلده فيه السلطات الاسقفية والولاية على ابرشيته ويوصيه بما يرتضى عمله ويأمر الرعية بأطاعته •

طقس تنصيب البطريرك

بعد تلاوة فرض صلاة الساعة الثالثة ، يدخل رئيس المجمع الى قدس الاقداس ومعه سائر المطارنة والاساقفة • ويأتون بالمنتخب ويضعون قباعة جديدة ومصنفة على رأسه • ويلبسونه قميصا وهمنيخا وزنارا وزنودا • ثم

يجثو أمامه الى الارض رئيس المجمع وسائر المطارنة والاساقفة . وينـــادي رئيس المجمع قائلا له « ان الروح القدس يدعوك لتصير بطريركا على مدينة انطاكية وسائر الكورة الخاضعة للكرسي الرسولي الانطاكى ، وابا للآبـاء ، أى ابا لنا جميعا . حيئذ يجثو المنتخب أمامهم قائــــلا « اوافق وأقبل » .

ان رتبة تنصيب البطريرك تسمى كمال الكمالات لانها خاتمة الـــرتب والتبريكات الكهنوتية تمتاز عن رسامة المطران او الاسقف أو المفريان بالامور التاليـة : ـ

١ ـ ان البطريرك ينتخب بقرعة جميع الاساقفة أو بتسليمهم ، العام لانه أب الآباء والاب العام للبيعة بأسرها .

٢ ـ بصلاة استدعاء الروح القدس المنسوبة الى اقليميس تلميذ بولس الرسـول .

٣ ـ بتسليمه عصا الرعاية ، اذ يمسك بها كل الاساقفة معا يدا فوق يد كل بحسب مقامه ، ثم يأخذون يمين المنتخب ويضعونها فوق أيديهم جميعـا ويتركونها بيده[1] .

٤ ـ البطريرك لايجثو بل يقف أمام المذبح مرتديا بدلته الخاصـة لانه منتخب من قبل السنودس . ويتلو السنادوس صلاة سرية ويرفع صوته (اقبل البطريرك ثم يتلو احد الاساقفة (النعمة الالهية ألخ) ثم يزيح عـلى الكرسي ثلاثا هاتفا (اكسيوس) ثم يتلو الانجيل الموســوم (بالراعـى الصـــالح) ثم يتلو رئيس المجمع صلاة الشكر ثم يسلم عصا البطريركية بالطريقــة المار ذكرها وعندها يصرخ رئيس المجمع (عصا الغلبة) هدايات ٣:٧ وضمت الى

---

(١) المشرق السنة الاولى ص ١٠٠٩ فى بحث تأسيس جثلقة المدائن بقلم الراهب عبدالاحد (قداسة البطريرك يعقوب الثالث) نقلا عن كتـــاب الشرطونيات .

طقس رسامة البطريرك أيضا خطبة لفظ بها يعقوب ابن صليبي مطران أمد فى اثناء الاحتفال بالبطريرك ميخائيل الكبير أواخر سنة ١١٦٦ (اللؤلؤ المنثور ص ٨٤) .

شرح طقس رسامة رئيس الكهنة

نجد فى طقس رسامة رئيس الكهنة ثمانية امور هامة : ـ

١ ـ قراءة الشلموت (الاقرار) الذى فيه يقر المرتسم بعقائد الايمان المستقيم ويخضع لملافنة البيعة ويحرم الهراطقة ويجهر بطاعته الشرعية للبطريرك الانطاكى ، مشهدا بذلك الله والملائكة وزملاءه بانه سيقوم بواجب رئاسة الكهنوت خير قيام على قدر استطاعته . وهذا الشلموث أو الاقرار الفه البطريرك قرياقس فى القرن التاسع[1] .

٢ ـ يقوم برسامة الاسقف البطريرك ويجب أن يشترك معه اسقفان او ثلاثة . فان حدث أن أقتبل احد الاسقفية من أسقف واحد ، يحرم الراسم والمرسوم ، الا فى حالات اضطرارية للغاية (هدايات ٣:٧) . وقد حدد القانون الرابع النيقاوى حضور جميع اساقفة الابرشية للاشتراك فى الرسامة فان وجد ما يمنع حضور الجميع فلابد من حضور اسقفين أو ثلاثة (هدايات ٣:٧) كقول الرب (حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك أكون فى وسطهم (مت ١٨ :٢٠) .

٣ ـ طلب الاساقفة من المدعو تسليم نفسه لرعاية قطيع المسيح ، اشارة الى أن رئيس الكهنة لم يدن الى هذه الوظيفة من تلقاء نفسه ، بل نتيجة لدعوة من الروح القدس .

---

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٨٣ .

٤ ـ الأنجيل الذى يتلى عليه يشير الى دعوة بطرس هامة الرسل . فهو والحالة هذه أؤتمن على خدمة الرسل ، وانه يعترف بالوهة السيد المسيح كبطرس الرسول .

٥ ـ الانجيل الذى يتلوه المرتسم بعد رسامته والموسوم (بالراعي الصالح) يشير الى انه يمثل المسيح فى كنيسته .

٦ ـ فتح الانجيل فوق رأسه فى اثناء التوحيف يشير الى ان السيد المسيح بالذات الذى بسط يمينه وبارك تلاميذه عندما صعد الى السماء ، هو نفسه الان يكمل هذه الرسامة .

٧ ـ استلامه عصا الرعاية اشارة الى سلطانه .

٨ ـ رفعه على الكرسي وتزيجه بترديد (اكسيوس) يستحق ويليق ثلاثا ، اشارة الى سمو هذه الدرجة ورفعتها .

طقس رسامة الكهنة

يقف المدعو أمام المذبح فى أثناء القداس ، مكشوف الرأس مرتديا بدلة الشماسية . وعند الرسامة يغسل رئيس الكهنة اصابعه ويجلس على كرسيه أمام المذبح ويتلو الوصية ، فى حين أن المدعو يجثو على ركبتيه . وبعد ان ينهى رئيس الكهنة تلاوة (الامولوغيا) (الاقرار والاعتراف) يقوم من على كرسيه ويمسك بيمين المدعو قائلا له « يدعوك الروح القدس لتكون كاهنا فى الكنيسة المقدسة » ويدخله الى المذبح ويأمره بان يجثو على ركبتيه . ثم يبدأ بطقس الرسامة الذى يحتوي على صلوات ومزامير وفروميون وسدرات واناشيد متنوعة وقالات مختلفة ورسالة مار بولس الرسول (١ كو ١٢:٢٨ و ١ تي ٣ و ٤ :١١ وتى ١:٥-٩ واتى ٤:١٤-١٦) ثم الانجيل المقدس (يو

١٩:٢٠ و ١٦:١١-٢٢) ويو ١٧:١٢) • وخلال تلاوة الانجيل وعند قولـه (نفخ فيهم) ينفخ رئيس الكهنة علـى مثال الصليب ثلاثا فيوجه المدعو • ثم يتلى قانون الايمان النيقاوى • ثم يتلو أحد الشمامسة « المناداة » • ثم يقرب المدعو الى رئيس الكهنة الذى يضع يمينه على رأسه تاليا صورة الرسامة التي تدعو وتقدم من درجة الشماسية الى درجة الكهنوت • ويهتف رئيس الشمامسة قائلا : « فلان قسيسا » للمذبح المقدس الالهى فى المكان «الفلاني» الخاضع للكرسي الرسولى الانطاكى •

ثم يتلو رئيس الكهنة صلوات سرية على الاسرار ثم يكشفها ويضـع كلتا يديه مبسوطتين على الجسد المقدس ويمد ذراعيه ويرحف ثلاث مرات فـى كل منها يغترف من الجسد ويحملها الى الكاس ويطرحها فيه • ثم يرحف ثلاث مرات على الكأس ثم يأخذ حفنتيه الى المدعو ويضع يديه على رأسه ويمسحه • ثم يرفع يديه ، وذراعاه ممدودتان الى فوق ويخفضهما مرحفا على رأسه • ويصنع هذا ثلاثا وعيناه تتطلعان الى فوق • ثم يضع يمينه على رأس المدعو ويدير يسراه على شكل دائرى على رقبته ووجهه وكتفه ثلاثا • وخلال ذلك يغطى رئيس الكهنة رأس المدعو ويديه ببدلته وعلى الشمامسة أن يهزوا المراوح عند ترحيف رئيس ألكهنة على الاسرار وعلى رأس المدعو • ولمـا يضع رئيس الكهنة يمينه على رأس المدعو ويسراه تتحرك على شكل دائـرى يتلو سرا صلاة استدعاء الروح القدس • ولايجوز ان يرفع يمينه من عـلى رأس المدعو حتى الانتهاء من هذه الصلاة • ثم تتبعها صلوات أخرى ثم يتجه رئيس الكهنة نحو الغرب حيث المدعو ويضع يمينه على رأسه قائلا صـورة السر وهى (يرسم فى كنيسة الله الشماس فلان كاهنا للمذبح المقدس الالهى فى المحل الفلانى الخاضع للكرسى الرسولى الانطاكى) ويردف الشماس

قائلا (فلان قسيسا للمذبح المقدس فى المحل الارثوذكسى الذى سبق فسمى)•
ثم يختم رئيس الكهنة المرتسم فى جبهته ثلاثا مثال الصليب قائلا : بأسم الاب والابن والروح القدس • ثم يتلو رئيس الكهنة صلاة الشكر • ثم يتجه نحو المرتسم ويمسك بيمينه ويقيمه من على ركبتيه وينزع منه الهرار ويلبس الثياب الكهنوتية ويضع فى يده المبخرة ليبخر امام المذبح والانجيل ورئيس الكهنة فالاكليروس والشعب • ثم يعطى المرتسم السلام لمائدة الحياة ويقبل يمين رئيس الكهنة ويعطى السلام للاكليروس قسوسا وشمامسة • ثم يتناول القربان المقدس وينهى القداس •

شرح طقس رسامة الكاهن

سبق ان قلنا أن خدمة الكهنوت تنحصر فى اهتمامها بشؤون الذين تتطهروا منذ مدة طويلة ليشاهدوا الاسرار المقدسة كالعماد والقداس والاشتراك فيها • ويجوز أيضا لرئاسة الكهنوت القيام بهذه الخدمة ولئن كانت حائزة على خدمات اخرى خاصة أكثر سموا ورفعة ، هى (الكمال) • ونكتفى بالتحدث عن الوصية التى تتلى على الكاهن الجديد قبل رسامته ، اقتباسا عن اللؤلؤ المنثور ص ٨٣ (يقر المرتسم فى التوصية باتباعه آباء الكنيسة الجامعة وملافنتها المؤيدين خاضعا لبطريرك انطاكية ومطران الابرشية وينبذ حارما الهراطقة والمنشقين الذين علموا الضلال معددا اياهم واحدا فواحدا منذ العصر الرسولى حتى القرن التاسع •. وهى اثنتان مطولة نحو من عشر صفحات وموجزة تأليف يعقوب مطران ميافارقين فى أواسط القرن العاشر وهى المألوف استعمالها) •

طقس ترقية الخوري

عند ترقية الخوري يرتدي قميصا وهمنيخا وزنارا وزنودا ويقف في باب المذبح حتى قبيل نهاية القداس • وعندما يباشر رئيس الكهنة باجراء طقس الرسامة يمسك بيد المرتسم اليمنى ويقول له «ان الروح القدس يدعوك لتصير خوريا للكنيسة الفلانية» حينئذ يقدمه كاهنان أمام المذبح حيث يجثو على ركبتيه ثم يعقبها رئيس الكهنة بتلاوة صلاة الابتداء • وينشد الشمامسه بعد ذلك بعض الاناشيد والقالات • ثم يقرأ الحساى فرسالة مار بولس الرسول (٢تى ٢:١-٣و١١و١٢ وتى ١:١٠و٢:١-٣و٧-٨) • ثم يتلو رئيس الكهنة فصلا من انجيل القديس يوحنا ١٤:١٥-٢٦) ثم يرتل قوقليون وتتلى طلبة وصلوات سرية وعلنية ثم يضع رئيس الكهنة يمينه على رأس المرتسم ويقول «يرقى فلان الى درجة الخورنة للمكان الفلاني» • فيقول الشمامسة بارخمور• ثم يرسم رئيس الكهنة على جبين المرتسم ثلاثة صلبان قائلا: باسم الاب والابن والروح القدس • وبعد صلاة سرية يلبسه زنارا ازرق وفي أثناء ذلك يهتف الاكليروس ثلاثا (اكسيوس) للاب الخور افسقفوس • وتختم بصلاة الشكر •

طقس رسامة الشماس [١] وشرحه

رسامة الشماس الانجيلي تشبه رسامة القس • أنما «المناداة» تكون كالتالي : « ليرسم فلان شماسا »• ويجثو الشماس على ركبته اليمنى فقط ويزيح

---

(١) وهنالك طقوس خاصة لدرجات الشماسية الصغرى الابدياقون والقارىء والمرتل •

الاسقف الهرار على رأسه ويضعه على كتفه الايسر • أما الارخدياقون فـلا يرسم بوضع اليد بل بالسوسطاطيقون (هدايات ٦:٧)

ان الصفة الخاصة بالشمامسة عند رسامتهم ، هى الجثو على ركبة واحدة اشارة الى ان خدمتهم محصورة فى أمر واحد فقط وهو تقديم الذين يتطهرون لمشاهدة الاسرار الالهية • والشمامسة يباركون ولاسلطان لهم أن يباركوا •

السريات العامة فى طقس الرسامات

وعددها احدى عشرة وهى :

١ ـ التقدم أمام الاسرار الالهية : اشارة الى أن المرتسم يقتبل المنح أمام الذى صار ذبيحة من أجلنا •

٢ ـ الجثو على الركبتين : اشارة الى التكريس الذاتى لله بملء الرضا والسرور •

٣ ـ المناداة : اشارة الى انتخاب المرتسم من الله ودعوته بواسطة رئيس الكهنـة •

٤ ـ الترحيف بكلتا اليدين وذلك على مثـال مافعل الرب يسـوع عندما بسط يديه على تلاميذه وباركهم • ويعمـل ذلك ثلاثا اشارة الى سر الثالوث الاقدس • ويتطلع رئيس الكهنة الى فوق أثناء الترحيف مشيرا أن هذه الموهبة نازلة من فوق من عند ابى الانوار كقول الرسول يعقوب •

٥ ـ وضع اليد اشارة الى قول الرب لموسى أضع يدى عليك • ويضع يده اليمنى اشارة الى تقويته وممارسته الفضيلة وحفظه وصيانته •

٦ ـ الترحيف باليد اليسرى اشارة الى ابعاد الاعداء المضادة •

٧ ـ الغاية من الرشم بالصليب ان المرتسم قد مات عن الخطيئة •

٨ ـ ارتداء الثياب الخاصة اشارة الى الخدمة الخاصة الموكلة اليه •

٩ ـ المناداة التى يتلوها المرتسم هى شهادة رئيس الكهنة على أن الذى دعى قد أختير من الروح القدس لا من قبل رئيس الكهنة •

١٠ ـ السلام الذى يعطيه له زملاؤه اشارة الى أنه أصبح أمينا على الاسرار مثلهم •

١١ ـ تناوله من الاسرار اشارة الى أن النعمة تشرك فى صلاحها كلا بحسب امكاناته ومقدرته •

الباب السابع

سـر الـزواج

الفصل الاول

تعريف سر الزواج

الزواج سر مقدس به يرتبط ويتحد معا رجل وامـرأة مؤمنـان اتحادا مقدسا بنعمة الروح القدس وبواسطة صلاة الكاهن وبركته للحصـــول على ولادة البنين وتربيتهم التربية المسيحية • وسمى هذا السر أكليلا بسبـــب الاكاليل التى توضع فوق رأسى العروسين عند اتمام طقسه •

الفصل الثاني

تأسيس سر الزواج

الزواج ناموس طبيعى سنه الله منذ ابتداء الخليقة عندما قال تعالى «ليس جيدا أن يكون ادم وحده فاصنع له معينا نظيره (تك ٢: ١٨) فخلق المرأة وبعد ان خلقهما ذكرا وانثى «باركهم وقال لهم أثمروا وأكثروا واملاءوا الارض» (تك ١: ٢٨) وقد ثبت الله هذه الشريعة بعد الطوفان وجددها بالبركة اذ بارك نوح وبنيه بقوله «أثمروا واكثروا واملاءوا الارض» (تك ٩: ١و٧)

وقد أيد الرب يسوع رباط الزواج بقوله «الذى جمعه الله لايفرقـــه انسان» (مت ١٩: ٦) وباركه بحضوره العرس فى قانا الجليل (يو ٢: ١-١٢) وأكد الرسول بولس وبنى على هذا الاساس المتين أيضا فى (١كـــو ١١: ١١) بقوله «غير ان الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجـــل فى الرب» وبناء على ماتقدم يمكننا اعتبار الزواج ١ ـ بانه ناموس طبيعى مـرتب

من الله • ٢ـ انه فى العهد الجديد سر من اسرار المسيح التى تقدس هذا الناموس الطبيعى بعد سقوط الانسان كقول الرسول «هذا السر عظيم» (أف ٥:٢٢-٣٢) • ومن جواب السيد المسيح على سؤال الفريسيين عما اذا كان مسموحا للانسان ان يطلق امرأته لكل علة « أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وانثى • وقال من اجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا اذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذى جمعه الله لايفرقه انسان» (مت ١٩:٤-٦) وكتب عنه الرسولان بطرس (١ بط ٣:٥)وبولس(١كو١١)بعناية تامة موضحين سموه وقداسته وواجباته•

ومما هو جدير بالذكر أن الزواج فى العهد الجديد أفضل بكثير مما كان فى الناموس الطبيعى والناموس الموسوى لانه كان خاليا من معنى السر ولآباء الكنيسة أقوال تعتبر ان الزواج سر مقدس منها •

قال القديس أغناطيوس النورانى (يجب على المتزوجين والمتزوجات ان يجروا اتحادهم برأى الاسقف لكى يكون الزواج مطابقا لارادة الله لابحسب الشهود) •

وقال القديس يوحنا الذهبى الفم عند كلامه ضد الاغانى والاحتفالات غير اللائقة فى الاعراس (قل لى لماذا تسمح من بادىء الامر بأن تمتلى آذان ابنتك من الشوائب بالاناشيد القبيحة وبذاك الاحتفال الذى لامحل له •الست تعلم أن الصبوة سهلة الزلق ؟ لماذا تهتك أسرار الزيجة الموقرة ؟ فانه ينبغى أن ترفض كل هذه وتعلم ابنتك الحياء منذ البدء وتدعو الكهنة وتعقد اتحاد الزواج بالصلوات والبركات لكى ينمو شوق العريس وتزداد عفة العروس ويدخل عمل الفضيلة لكل وجه) •

وقال العلامة ترتليانس (كيف يمكننا ان نعبر عن سعادة الزيجة التى تعقدها الكنيسة ويثبتها القربان وتختمها البركة ؟

الغاية من تأسيس هذا السر أن الزواج قد رسمه الله تعالى لخير ألانسان وسعادته ولامور شتى أشهرها :

١ ـ نمو الجنس البشرى وحفظه بالتناسل حسب الامر الالهى (أثمروا وأكثروا واملأوا الارض) (تك ١ : ٢٧و٢٨) وولادة البنين ليكونوا خدام ألايمان والدين • وهذا كان هدف الاباء القديسين الذين تزوجوا كما يظهر من الكتاب المقدس • فأن الملاك حذر طوبيا وبين له كيفية ابعاد قوة الشيطان وقال له طوبيا (٦ : ١٦و١٧) أنا أظهر لك من هم الذين سيستطيع أن يقوى عليهم الشيطان هم الذين يتزوجون لكى يبعدوا الله من قلبهم ويتبعون شهواتهم كالحيوانات التى لافهم لها (مز ٣٢ : ٩) ثم يضيف طوبيا (٦ : ٢٢) تأخذ صبية بمخافة الرب من أجل البنين لا الشهوة لكى تحصل على بركة زرع ابراهيم وهذا هو السبب الرئيسى الذى من أجله رتب الله الزواج منذ البدء (تك ١ : ٢٨)

٢ ـ ليكون بمنزلة دواء ضد هيجان الشهوة التى لايمكن أن تكون طاعتها حلالا الا بهذا السر المقدس (١كو ٧ : ٢و٨و٩) ويقى الانسان من الزنا ومن الافكار ألشريرة كقول الرسول بولس «الزواج خير من التحرق» بعد أن فقد الابوان الاولان برارتهما أخذت الشهوة تثور على العقل •وألذى يشعر بضعف تجاهها ولايستطيع مقاتلة الجسد فيمارس الزواج ليتخلص من خطية الشهوة •. لذلك قال الرسول (١كو ٧ : ٢) من أجل الزنا ليكن لكل واحد امرأته والامرأة رجلها والزواج خير من التحرق •

٣ ـ هى التعاون والتعاضد ومساعدة كل من الزوجين للاخر وفقا لقول الرب ليس جيدا ان يكون ادم وحده فأصنع له معينا نظيره •

الفصل الثالث

فى نظام الحياة الزوجية

يعلمنا الكتاب المقدس عن الواجبات المتوجبة على كل من الزوجين لحفظ نظام زواجهما بسعادة وخير • فقد بين الرسول بولس واجبات كل من الزوجين بقوله للنساء « أيها النساء أخضعن لرجالكن كما للرب • لان الرجل هو رأس المرأة كما ان المسيح أيضا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد • ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء » ويقول للرجال « ايها الرجال أحبوا نساءكم كما احب المسيح ايضا الكنيسة وأسلم نفسه لاجلها لكي يقدسها كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كاجسادهم من يحب امرأته يحب نفسه فانه لم يبغض احد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضا للكنيسة لاننا اعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه من أجل هذا يترك الرجل اباه وأمه ويلزم امرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا هذا السر عظيم ولكنني انا أقول من نحو المسيح والكنيسة (أف ٥:٢٢–٣٢) ويؤخذ من هذه النصوص أن رباط الزيجة يصوّر اتحاد المسيح بالكنيسة • وعلى هذا المعنى يكون الزواج مقدسا وعظيما • كما يؤخذ من النص ذاته أنه يجب على الزوجة أن تخضع لزوجها لانه رأسها ، وتطيع أوامره وتنفذها باخلاص ووقار • وعلى الزوج من جانبه ان لايستغل هذا الخضوع فيستبد ، ويدفعه الغرور والنزق الى اعتبار الزوجة كخادمة ، بل يحترمها ويحبها كنفسه • ومن واجبات الزوجين أيضا أن لا يمنع أحدهما الاخر الا اذا اتفقا مرة ليتفرغا للصوم والصلاة كما يقول الرسول (١كو ٧:٥) • وان يسيرا بحسب روح النعمة التى قبلاها بالايمان والمحبة والرحمة والصوم والصلاة • وان يجتهدا بتربية أولادهما تربية صالحة لكى يكونوا

اتقياء فضلاء ، وبذلك يفوزان بالخلاص كما قال الرسول فى المرأة أنها « ستخلص بولادة الاولاد ان ثبتن فى الايمان والمحبة والقداسة مع التعقل » (١ تى ٢:١٥) وبالعكس اذا اساءا تربيتهم ينالان العقاب من الله كما حدث لعالي الكاهن (١ صم ٤:١٧ و ١٨) .

الفصل الرابع

الزواج سر

تعتقد الكنيسة ان الزواج المسيحي سر أسسه السيد المسيح ، كما ذكرنا سابقا أسوة بباقي الاسرار الاخرى ، لاستيفائه كل الشروط المطلوبة فى السر . وواضح ان السر هو اشارة حسية تدل على فعل النعمة الالهية ويكون له ثلاثة شروط ١ ـ المادة ٢ ـ الصورة ٣ ـ الخادم .

مادة السر

ان قوة الزواج تقوم على اتفاق الطرفين والرضى المتبادل بينهما وانهما يحفظان أحدهما الاخر امانة زوجية الى اخر نسمة من حياتهما ويجب ان يظهر هذا بالكلمات التي تشير صراحة الى أن الزواج ليس موهبة عادية ، بل عهد مشترك . لذلك فان اتفاق طرف واحد فقط لا يكفي لاتحاد الزواج ، بل يجب أن يكون هذا الاتفاق من الطرفين . تعلنه الالفاظ . فلو جاز ان يكون الزواج صحيحا وحقيقيا باتفاق داخلي فقط دون دلالة خارجية ، لجاز أن يحصل أمر اخر . اى لو حدث أن اتفق اثنان على الزواج ، وهما بعيدان أحدهما عن الاخر ، ولم يكشف الواحد للاخر رغبته أو رأيه بواسطة ما ، لارتبطا بشريعة الزواج الحقيقية غير القابلة الانحلال والانفكاك . وهذا بعيد عن العقل ولا تقره الشرائع الكنسية ابدا . لذلك ان الاتفاق يجب أن يعلن بالفاظ تشير الى الزمن الحاضر . أما الكلمات التى تشير الى المستقبل فلا

تعقد زواجا بل هي وعد فقط . واضح أيضا ان ما سيكون في المستقبل لم يحدث بعد فعلا وما لم يحدث فعلا ، ليس له وجه من الصحة أو أن ثباته غير أكيد . لذلك ليس لاحد حق زواجي على المرأة التي يعد أن يأخذها ولكنه ملزم بالحفاظ على وعده . وان لم يحافظ عليه يلام لانه كذب في عهده والذي ارتبط بعهد الزواج مع أخرى وندم بعدئذ فلا يستطيع تغيير أو ابطال او حل ما حدث . اذن حيث ان الالزام الزوجي ليس وعدا بسيطا بل اتفاقا بموجبه يعطي للامرأة سلطانا على جسده وكذلك الامرأة ، لذلك يجب ان يتم عهد الزواج بالفاظ تشير الى الزمن الحاضر ، تربط الرجل بالامرأة برباط لايفك . والاتفاق هو معنى الزواج الحقيقي اذ أن قوة الزواج تقوم بالالتزام والارتباط والاتفاق لا على المشاركة الجسدية . كما يتضح من أن أبوي الجنس البشري كانا مرتبطين بالزواج الحقيقي قبل الخطية وفي تلك الفترة لم يحصل بينهما مشاركة جسدية كما يشهد الآباء القديسون . لذلك قال الآباء ان الزواج لا يقوم باتحاد جسدي بل بالاتفاق .

وحيث ان العلامة الحسية تدل على فعل النعمة الالهية غير المنظورة ، فالمادة في هذا السر تشير الى نعمة النمو أي ولادة الاولاد . وقد أكبر الرسول بولس هذه النعمة بقوله (١ تي ١٥:٢) « ولكنها ستخلص بولادة الاولاد » . وتشير ايضا الى نعمة ثانية هي الايمان . ولا نعني بذلك الايمان الذي نأخذه بالمعمودية بل الايمان الذي يربط الاثنين الواحد بالآخر ويجعلهما ان يعطيا الواحد للآخر سلطانا على جسديهما ويعدا ألا يحنثا ابدا بعهد الزواج المقدس . ويؤكد ذلك قول آدم « هذه لحم من لحمي وعظم من عظامي » وقول السيد المسيح « لذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته » وقول الرسول بولس « ليس للامرأة سلطان على جسدها بل لرجلها . وهكذا ايضا

الرجل ليس له سلطان على جسده بل لامرأته » . لذلك وضع الرب التهديدات والعقوبات القاسية على الزناة لانهم يتجاوزون ايمان الزواج ، اذ يفرض هذا الايمان أن يكون الرجل والامرأة متحدين بمحبة خالصة مقدسة طاهرة ولايحبا بعضهما بعضا كمحبة الزناة بل كما أحب المسيح كنيسته كقول الرسول بولس .

وهنالك نعمة ثالثة وهى سر رباط الزواج الذى لايفك . والزواج من حيث كونه سرا يشير الى اتحاد المسيح بكنيسته .

صورة السر :

صورة السر : هى البركة التى يتلوها الكاهن على العروسين وهذه صيغتها بحسب الطقس السريانى . (هوذا الاكليل بيد السيد المسيح يهبط منحدرا من السماء ويضعه الكاهن على رأس الختن الذى يستحق هذا الاكليل) ثم (هوذا الاكليل بيد السيد المسيح يهبط منحدرا من السماء ويضعه ألكاهن على رأس العروس التى تستحق هذا الاكليل)

أما خادم السر فهو ألكاهن

الفصل الخامس
أوصاف الزواج المسيحي

اذا تأملنا بالناموس الطبيعي بعد الخطية وبالناموس الموسوى نرى أن الزواج قد سقط من درجة كرامته الاولى التى كانت قبل ألخطية . فنرى فى الناموس الطبيعى مثلا (تك ٤:١٤ و٢٩:٢١) ان معظم الاباء القديسين يتخذون لهم عدة نساء ونجد فى الناموس الموسوى (تث ٢٤:١) سماحا صريحا بترك الامرأة واعطاء كتاب الطلاق أما الشريعة الجديدة فقد رفعت

منزلة الزواج وكرمته • فمنعت تعدد الزوجات كما لم تجز الطلاق الا لعلة الزنا •

تعدد الزوجات :

تعدد الزوجات : وان كان بعض الاباء لايلامون لاتخاذهم عدة زوجات بسماح من الله غير ان هذه السنة غريبة عن طبيعة الزواج المسيحى كما بين السيد المسيح (مت ١٩:٥و٦) «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته ويكونان كلاهما جسدا واحدا • اذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذى جمعه الله لايفرقه انسان » وبهذا أعلن صراحة ان الزواج رتب من الله ليحدد باتحاد اثنين فقط لا أكثر • فاقتران المرأة برجال كثيرين فى آن واحد كما كانت العادة عند الامم الوثنية هى سنة تتنافى والطبيعة المسيحية وكذلك تعدد الزوجات لرجل واحد هو غير جائز أيضا فى الشرع المسيحى وذلك نظرا الى الامور التالية :

١ ـ ان الله تعالى لما خلق ادم وحواء خلقهما ذكرا وأنثى أى بعلا واحدا وزوجة واحدة فلو اراد الله أن يكون للانسان أكثر من امرأة لخلق له نساء عديدات لاسيما وان الحالة وقتئذ كانت تقتضى ذلك لزيادة الجنس البشرى • ٢ ـ من ذكر امرأة واحدة للرجل فى كل النصوص الالهية فى العهد الجديد حيث لم يرد ولانص واحد فى الكتاب صريح أو ضمنى بتعدد الزوجات على الاطلاق •. ويتضح ذلك من جواب السيد المسيح للفريسيين (مت ١٩:٤-٨) ومن قول الرسول بولس (١كو ٧:٢-٥و١٠)

٣ ـ ان تعدد الزوجات مجلبة لاضرار كثيرة عائلية واجتماعية ومدعاة للشقاق والانقسام • لان الزواج من امرأة واحدة من شأنه أن يرفع من الود الخالص والحب المتبادل بين الزوجين • فيشعر كل منهما بلذة

وأنشراح فى حياته مع الاخر وبالعكس فان كثرة النساء تضعف المحبـــة الزوجية وتفضى الى النزاع المستمر • أضف الى ذلك ان ألرجل الـــواحد قد لايقدر على تأدية الواجب الزوجى لنساء كثـــيرات •

ان الكنيسة ولئن كانت تحرم تعدد الزوجات الا انها لاتمنع فى اعادة الزواج عن الذين يريدون الزواج ثانية رجالا كانوا أو نساء بعد وفاة أحد الزوجين • قال الرسول بولس «ولكن أقول للغير المتزوجين وللارامل أنـه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجـــوا لان التزوج أصلح من التحرق » (١كو ٧:٨و٩) •

الفصل السادس

الطـــلاق

قال السيد المسيح فى خطبته على الجبل «وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق واما أنا فأقول لكم ان من طلق امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى» (مت ٥:٣٢) وقال فى جوابه للفريسيين الذين سألوه هل يحل للرجل ان يطلق امرأته لكل سبب ، فاجاب وقال لهم أمـــا قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وانثى وقال من اجـل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا اذا ليسا بعـد أثنين بل جسد واحد فالذى جمعه الله لايفرقه انسان •• وأقول لكم ان مـن طلق امرأته الا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى» (مت ١٩:٣-٩) راجـــع أيضا مر (١٠:٢-١٢) و (لو ١٦:١٨) وقال الرسول بولس «أم تجهلون أيهـا الاخوة لانى اكلم العارفين بالناموس أن الناموس يسود على الانسان مادام حيا فان المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى ولكن ان مات الرجل •فقد تحررت من ناموس الرجل فاذا مادام الرجل حيا تدعى زانية ان

صارت لرجل آخر ولكن ان مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى أنـها ليست زانية ان صارت لرجل أخر (لو ٧: ١-٣) وقـال جوابا على اسـئلة وجهت اليه من اهل كورنثوس «واما المتزوجون فاوصيهم لا أنا بل الرب ان لاتفارق المرأة رجلها وان فارقته فلتلبث غير متزوجة او لتصالح رجلها ولايترك الرجل امرأته» (١كو ٧: ١٠و١١) فلدى استعراضنا هذه النصوص الكتابية يتضح لنا أن الزواج سر مقدس لاينفك بعد ربطه الا فى حالتين هما الاولى موت أحد الطرفين • والثانية : زنى المرأة وقد درجت الكنيسة على هذه السنة منذ نشأتها وحتى الان واقوال الاباء تثبت ذلك أى اثبات •

الفصل السابع

موانـع الزواج

لكى يكون ألزواج مكرما ومقدسا على حد قول الرسول بولـس (عب ١٣: ٤) فيجب أن تتوفر فيه الشروط التى يمليها الكتاب المقدس والشرع الكنسى [١] اذا خلا منها لايعد شرعيا ويفقد بالتالى كرامته وقدسيته •

وقد نصت القوانين الكنسية بأن هنالك اربعة أسباب فى موانع الزواج وهى : ـ ١ القرابة الروحية ٢ ـ قرابة الاقرباء ٣ ـ العبودية ٤ ـ اختلاف الديـن •

أما القرابة الروحية فهي :

أ ـ رضاعية ، فلا يحل لذكر أو أنثى رضعا من ثدي واحد أن يتزوج الواحد الآخر •

---

(١) تجد فى كتاب (تبريك الخطب والاكاليل) الذى طبعه الطيب الذكـر البطريرك افرام برصوم سنة ١٩٤٨ ، الشروط المطلوبة لعقد سـر الزواج وذلك أخذا عن كتاب الهدايـات لابن العبري (١٢٨٦ +) وقوانين بيعية اخرى •

ب ـ اشبينية المعمودية ،لان الذى يقتبل المعتمد يصبحله أبا،وامرأته تصبح له أما • والاشبينة التى تقتبل المعتمدة تصبـــح أما لها ورجلها ابا ، واولادهما اخوة وأخوات الخ •

ج ـ اشبينية الاكليل ، وهى ان الاشبين يصبح أخا للعريس والاشبينة اختا للعروس ، واولادهما اخوة وأخوات •

الفصل الثامن
طقس الاكليل

يمهد طقس الاكليل بخطبة الاملاك (المعروفة بالعقد) • يقوم به الكاهن خادم السر ، بحضور وليى الخطيب والخطيبة الى جانب الخطيبين •

يبدأ الكاهن بصلاة ، ثم يأخذ يمين ولى الختن ويقول : قدمت ايهـــا الابن الخ ••• ثم يمين ولى العروس ويقـــــول : •• ثم ياخذ يمينيهما معا ويقول •• ثم صلاة البركة • ثم يلى ذلك طقس تبريك الاختان والعرائس وهو من جمع وترتيب وتصحيح مار يعقوب الرهاوى وغيره من الملافنـــــة ويقسم الى خدمتين :

الخدمة الاولى :

وهى صلاة بركة الخاتمين وتحتوى على صلاة الابتداء ومزامير وحساى واناشيد خاصة وتختم بطلبة مار يعقوب • وفى خلالها يرحف الكاهن بيمناه على الخاتمين الموضوعين بيسراه ويقول « ليبارك هذان الخاتمان باسم الاب والابن والروح القدس » ثم يلبسهما الخاتمين تاليا صلاة خاصة وهكـــذا تنتهى الخدمة الاولى •

الخدمة الثانية :

وهى صلاة بركة الاكليلين ، وتحتوى على صلوات واناشيد ومزاميـــر

وحساى وفصل من رسالة الرسول بولس الى اهل افسس وفصل من انجيل متى (١٩ : ٣ - ١١) وصلـــــوات متنوعة وتختم بالـــــوصية التى تبين واجبات العروسين الواحد نحو الاخر • وفى خلال هذه الخدمة يبـــارك الكاهن الاكليلين (باسم الاب والابن والروح القدس) ويلبسهما العروسين حيث يرحف الاكليل ثلاثا اولا فوق رأس الختن عـلى مثال الصليب قائلا : « هوذا الاكليل بيد السيد المسيح يهبط منحدرا من السماء ويضعه الكاهن على رأس الختن الذى يستحق هذا الاكليل » ثم يرحف بالاكليل ثلاثا على مثال الصليب ايضا على رأس العروس قائلا « هوذا الاكليل بيد السيد المسيح يهبط منحدرا من السماء ويضعه الكاهن على رأس العروس التى تستحق هـــــذا الاكليل » وبعد تلاوة الوصية المار ذكرهـــا يتم تسليم العروس الى العريس وذلك بوضع يدها فى يده دلالة على الاقتران الشرعى • ويلى هـــذا الطقس طقس خاص بعقد زواج الارامل والذى ميزه عن طقس اكليل البتولين هـــو القس اشعيا السبيرينى فى اواخر القرن الرابع عشر وقدم عليه تعليقا •

الباب الثامن

سر مسحة المرضى

الفصل الاول

تعريف سر مسحة المرضى وأسماؤه

مسحة المرض سر مقدس به يمسح الكاهن حواس المريض بزيت مقدس ويستمد له من الله شفاء النفس والجسد • وسمى بمسحة المرضى لان المرضى وحدهم يقتبلونه • كما دعى ايضا بصلاة القنديل •

الفصل الثاني

فى تأسيس سر مسحة المرضى

امس هذا السر السيد المسيح نفسه عندما ارسل رسله الاطهار الى العالم وقال لهم «اشفوا مرضى طهروا برصا مجانا اخذتم مجانا اعطوا» (مت ١٠:٨) وذكر مرقس البشير فى انجيله ان الرسل « دهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم » (مر ٦ : ١٣) •

ولذلك نرى ايضا الرسول يعقوب يدلى بصراحة عن وجود هذا السر فى الكنيسة بقوله « أمريض احد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر له » (يع ٥ : ١٤و١٥) ومن قول الرسول هذا نفهم ان سر المسحة مؤسس من الرب يسوع • ذلك ان الرسول لم يتكلم عنه كواضع شريعة او مشترع ناموس انما يتكلم عنه باعتباره سرا موجودا فى الكنيسة ومعروفا للمؤمنين ، يحثهم على استعماله لاجتناء فوائده الروحية وثماره

الخلاصية • ومما يبرهن على ذلك استيفاؤه كل الشروط التى تلزم لانمام السر وهى : ١ ـ الشخص القابل للسر وهو المريض « أمريض أحد » ٢ ـ خادم السر « فليدع قسوس الكنيسة» ٣ ـ صورة السر « صلاة الايمان فيصلوا عليه » ٤ ـ مادة السر « يدهنوه بزيت » ٥ ـ مفعول السر « صلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر له » •

الفصل الثالث
مفاعيل سر مسحة المرضى

لهذا السر نتيجتان روحية وجسدية • **فالروحية** تنحصر بما يلى : ١ ـ تمنح النعمة التى تغفر الخطايا العرضية منها والمميتة اذ تسبقه التوبة • ـ ٢ ـ يحرر النفس من الضعف الذى استولى عليها بسبب الخطايا ٣• ـ ان الشيطان عدو الجنس البشري لايهدأ من محاربة المؤمنين ونصبه فخاخ الخطية لاجتذابهم اليه • ويشتد قتاله هذا فى الساعة الاخيرة من حياة الانسان كي يقضى عليه قضاء مبرما محاولا ان ينزع منه رجاءه واتكاله على الله • فالسر يعطى للمؤمن قوة وسلاحا ليجابه به قوة الشيطان بشجاعة • فيتقوى قلب المريض ويرسخ اتكاله على صلاح الله فيتحمل بهدوء وصبر كل ضيق •

اما النتائج الجسدية

فهى انه يمنح الشفاء للجسد اذا كان ذلك من صالح المريض بحسب القصد الالهى •أما أن المرضى قلما يستفيدون من هذا السر بالنسبة الى الشفاء الجسدى ، فلا يعود ذلك الى ضعف هذا السر بل الى ان الشفاء هو

بيد الله ، يؤتيه من يشاء ومتى شاء وهو هو الفاعل في السر لا الكاهن الذى هو واسطة في اتمامه • فاذا رأى الرب ان في شفاء المريض خيرا له عافاه وأبقاه (٢مل ٢٠:٥) واذا راى بالعكس ان انتقاله أفضل نقله اليه واخذه عنده (أش ١:٥٧و٢) • والرب صالح ما يحسن في عينيه يعمل • (١صم ١٨:٣) •

هذا ويعود عدم الشفاء الى اسباب اخرى منها : أ ـ عدم ايمان قابله • لان الايمان شرط جوهري قد نص عنه الرسول بقوله « وصلاة الايمان تشفي المريض » فالايمان هو الاساس الذى تبنى عليه نعم الله • وقد اخبرنا الانجيل المقدس (مت ٥٨:١٣) ان الرب لم يجترح الآيات والمعجزات في مدينته لعدم ايمان اهلها • ب ـ عدم استحقاق المريض وذلك لتمرده على الله وعصيانه عليه ومخالفته شريعته • (ار ٢٢:٣) ج ـ انها حكمة الله التى لا تدرك •. فان ارامل كثيرات كن في اسرائيل في أيام أيليا ولكن ايليا لم يرسل الا الى ارملةصرفة صيدا وبرصا كثيرين كانوا في زمن اليشع في اسرائيل ولم يطهر واحد منهم الا نعمان السرياني (لو ٢٥:٤ ـ ٢٧) •

زد على ذلك كله ان الدين المسيحي بعد ان رسخت اصوله • لم يبق بحاجة الى معجزات تدعمه كما كان الامر في اول نشأته • اما المؤمنون فينبغي ان يكون ايمانهم قويا في هذا السر مهما كانت نتائجه لان ذلك خاص باحكام الله •

الفصل الرابع
شروط سر مسحة المرضى

١ ـ المادة :

لقد جعل الرب الزيت مادة لهذا السر لان الرسل كانوا يستعملونه لشفاء المرضى قبل موت الرب وقيامته (مر ٦:١٣) • ولعظمة شأنه فقد كان يمسح به الكهنة والملوك والانبياء قديما بحسب امر الله (خر ٢٩:٧ و ١صم ٩:١٦ و ١٠:١ و ١٦:١ و ١٢) ثم ان السيد المسيح اوضح فى المثال الذى ضربه عن الرجل الذى نزل من اورشليم الى اريحا وضربه اللصوص ، ان جراحاته ضمدت بالزيت والخمر (لو ١٠:٣٠ ـ ٣٤) • ان هذه المادة مناسبة كل المناسبة للسر لانها تشير الى ما يحدث داخل النفس بقوته • فكما ان الزيت نافع لاراحة اوجاع الجسم هكذا أيضا هذا السر يخفف آلام النفس واوجاعها • ومن صفات الزيت ان يعيد الصحة ويبعث السرور فى الانسان ويعيد قوى الجسد المرهق المتعب • وهذه كلها تشير الى ما يعمل فى المريض بقوة استخدام السر •

تقديس الزيت :

يقدس الاسقف هذا الزيت ليكون صالحا لاستعماله مادة لهذا السر المقدس • وله طقس خاص يسمى بـ (طقس مسحة المرضى) • وكيفية اجراء ذلك : قال العلامة ابن العبرى نقلا عن البطريرك جاورجى (فى منتصف الصوم الاربعيني المقدس المصادف يوم الاربعاء يجتمع الاكليروس فى الكنيسة فيأخذ رئيس الكهنة قارورة مملوءة بزيت نقي ويضعها على مائدة الحياة ويباشرون بتلاوة الطقس فيتلون اولا المزمور ٥١ ، ثم الحساى ثم صلاة سرية « ايها المسيح الاله » ثم يقول جهرا « هلم الخ » ثم صلاة سرية « نعم اطلب » ثم يقول جهرا « انت الان » ثم يعطي السلام ويتلو « لتكن نعمة الله » وهو

يرشم الصلبان • ثم يختم المسحة باسم الآب والابن والروح القدس بثلاثة صلبان •• ثم تتلى صلاة التقديسات الثلاث والصلاة الربانية ثم صلاة الختام) (هدايات ٣:٥) ومما يجب ملاحظته ايضا ان هنالك فارقا ما بين الزيت الذى يستعمل لمسح المرضى والزيت الذى يمسح به المعتمدون قبل نوالهـــم سر الميرون المقدس (هدايات ٣:٥) وقال القديس مارسويريوس الانطاكـــي (ان الكاهن الذى يمسح المريض بزيت المعمودية يتوقف عن الكهنـــوت ثلاث سنوات ويمنع من الاشتراك فى القربان المقدس) ذلك ان الرســول بولس يقول«ان المعمودية واحدة والايمان واحد» هكذا والمســحة واحدة أيضا • أما مسحة المرضى التى قال عنها يعقوب الرسول (يع ٥:١٤و١٥) فلها طقس خاص[1] • وان ما يمتاز به زيت المعمودية عن زيت مســـحة المرضى هو انه بعد تلاوة صلوات التقديس على الزيت المخصص للمعمودية يسكب رئيس الكهنة نقطة واحدة من الميرون على ذلك الزيت لاكمـــال تقديسه • وخلال ذلك يتلو الشمامسة معنيثا خاصا •

٢ ـ صورة السر :

هى تلاوة الصلوات المخصصة عند مسح حواس المريض عند ممارســة السر ، كما ويؤيد ذلك مار يعقوب الرسول • بقوله (ويصلــون عليه) • فيظهر من هذا القول ان صورة السر هى نوع من الصلاة يجب ان تتلى •

ومما هو جدير بالذكر ان صورة بقية الاسرار تشير الى ما تتركه مـن الاثر ، كقول الخادم فى سر المعمودية « يعمد فلان » واما صـــورة مسحة المرضى فتتم بالصلاة فقط • لان هذا السر بالاضافة الى النعمة الـــروحية التى يمنحها لقابله ، يعطيه ايضا شفاء الامراض الجسدية • وحيث ان المرضى

(١) كتاب الشرطونيات •

لايشفون دائما من امراضهم ، لذلك فان صورة هذا السر تغلب عليها صيغة الاستشفاع والابتهال • وفى الختام سنستعرض الطقس الخاص بهذا السر ،

٣ ـ خادم السر :

ان خدمة السر محصورة بفئة خاصة هى « قسوس الكنيسة » الذين عينهم الله لاقامة كافة اسراره وأتمنهم عليها (يو ٢٠: ٢١ـ٣٢) •. ومعنى هذا ان تلك من حق رجال الكهنوت فقط على اختلاف درجاتهم •

قابل السر :

ان هذا السر لا يتم الا للمرضى فقط حسب قول الرسول (أمريض احد بينكم) • فالمرضى وحدهم يمسحون بالزيت المقدس بمنزلة سر ، على ان يتوبوا توبة صادقة معترفين ضرورة بخطاياهم اعترافا شرعيا ، وذلك وفقا لتعليم يعقوب الرسول حيث يقول « وان كان قد فعل خطية تغفر له » •

اما بالنسبة الى المؤمنين الاصحاء ، فلا مانع من حضورهم وقت تتميمه للاشتراك فى بركته • ويجوز ان يدهنوا بالزيت ايضا ولكن هذه المسحة لاتعطى لهم طالما هم اصحاء بمنزلة السر بل بمنزلة زيت مقدس بكلمة الله والصلاة مع رشمهم باسم الثالوث الاقدس على شكل صليب بدون لفظ صورة السر •

الفصل الخامس
طقس اتمام مسحة المرضى

لهذا السر فى كنيستنا السريانية الانطاكية طقسان مطول ومختصر ، اما المطول ويقال له صلاة القنديل لاستعمالهم فيه قنديلا فيكون كالتالى : ـ يستحضر اناء زجاجي يوضع فى وسطه قطعة عجين مدورة الشكل يركز فيها خمسة قناديل على مثال الصليب ويملأ القنديل زيتا وذلك على مثال

العذارى الخمس • ويحتوى الطقس على خمس خدمات •

الخدمـة الاولى :

وتحتوي على التقديسات الثلاث والصـلات الربانية وصلاة الابتداء والمزمورة ٥١ وبعض الاناشيد الخاصـة بالتوبة • ثم يرسم الصليب ثلاثا وتوقد الفتيلة الشرقية • والحساى ومن رسالة مار بولس الرسول الى اهـل رومية والانجيل المقدس (لو ١:١٩ ـ ١٠) ونشيد وصـلاة الختـام وقوريليسون اربعين مرة •

الخدمـة الثانية :

التقديسات الثلاث ، الصلاة الربية ، صـلاة على الزيت ، اقـوال مقتبسة من المزامير واناشيد خاصة بالتوبة والحساى ومن رسالة الرسـول بولس الى اهل كورنثوس ومن انجيل القديس متى ونشيد وصـلاة •. ثم توقد الفتيلة الغربية وقوريليسون اربعين مرة •.

الخدمـة الثالثـة :

صلاة الابتداء يرسم الكاهن ثلاثة صلبان على جبهة التائب المريض قائـلا : (تتطهر وتقدس الخ) • ثم مزامير واناشيد خاصة بالتوبة وفصل من رسالة يعقوب الرسول (يع ١٣:٥) وفصل من انجيل لوقا البشير ونشيد ، ثم توقد الفتيلة الشمالية فقوريليسون اربعن مرة •

الخدمـة الرابعـة :

صلاة الابتداء ومزمور وحساى واناشيد خاصة بالتوبة ومن رسـالة مار بولس الى اهل كورنثوس ومن انجيل القديس متى واناشيد وطلبة لمار يعقوب وصـلاة خاصـة تتلى عـلى المريض ثم توقد الفتيلة الجنوبية وقوريليسون اربعين مرة •

الخدمة الخامسة :

التقديسات الثلاث والصلاة الربية وصلاة الابتداء • ثم يقول الكاهن (باسمك أيها الآب الخ) • وهنا يختم المريض بالصليب ثلاثا قائلا (تتطهر وتتقدس الخ) وينفخ فى وجهه على مثال الصليب قائلا باسم الآب والابن والروح القدس ثم يتلو بعض الآيات من المزامير والحساى وأناشيد خاصة بالتوبة وفصلا من رسالة بولس الرسول الى اهل افسس وفصلا من نجيل القديس متى • ثم توقد الفتيلة الوسطى ثم تموريليسون وطلبة لمار يعقوب وصلاة تتلى على الزيت • ثم يرفع الكاهن الانجيل المقدس فوق المريض ويتلو رئيس الكهنة ان وجد طلبة خاصة فقوريليسون اربعين مرة • وفى نهاية هذه الخدم الخمس يمسح الكاهن المريض باسم الثالوث الاقدس بزيت القنديل •

اما الطقس الثانى المختصر فيجري على الترتيب التالى : يحضر الكاهن ومعه شماس وتوقد شمعتان ويضع الكاهن البخور ويتلو صلاة الابتداء • ثم المزمورة ٥١ ثم الحساى فنشيد خاص بالتوبة والابتهال فطلبة لمار يعقوب • ثم يضع الكاهن يده اليمنى على رأس المريض تاليا صلاة مطلعها (ارسل اللهم الخ) ثم يدهنه بالزيت فى جبهته قائلا (ينقى ويتطهر الخ) • ثم يمسح عينيه قائلا (ليرحمك الخ) • ثم يتلى فصل من رسالة مار يعقوب الرسول (يع ٥:٧ ـ٢٠) ثم فصل من انجيل متى (مت ٢٥:١ـ١٣) • واذا كان المريض يحتضر فلتتل الصلاة الاخيرة المعروفة بصلاة توديع النفس •

ملحق عــام

في شرح الالفاظ الاعجمية والسريانية الواردة في هذا الكتاب [1]

أبرشيبة : يونانية ، يراد بها ولاية الاسقف الكنسية ج • ابرشيات •

امولوغيا : يونانية ، اقرار واعتراف • وهو كتاب الاعتراف بصحة المعتقد يوقعه ويتلوه البطريرك الجديد قبل تقليده الرتبة ، والاسقف قبل سيامته ج امولوغيات •

باعــوث : سريانية ، طلبة ج بواعيث •

بريودوط : يونانية ، كتاب العهد أي تقليد الــولاية للاسقف يكتبه

حســاية : سريانية ، استغفار غفران •

ســـدر : سريانية ترتيب ج سدرات واسدار •

سوسطاثيقون : يونانية ، كتاب العهد أي تقليد الولاية للاسقف يكتبه البطريرك •

طبليــث : لاتينية ، اللوح أو خوان مربع وهو خشبة مستطيلة الشــكل تبارك وتوضع في وسط المائدة وعليها يرفع القربان •

طقــس : ، نظام وترتيب • وفي العرف الكنسي يطلق على شعائر الديانة وحفلاتها ج طقوس •

عنيـــان : سريانية ، جواب وهي ترتيلة تعاد (ردة) ج عنيأنات وعنأني ومثلها عونيث •

فروميــون : يونانية ، فاتحة مقدمة • تسمى بها الجزء الأول من صــلاة الاستغفار •

(١) عن اللؤلؤ المنثور ص ٦١٥ – ٦٢١ • طبعة ثانية بحلب •

قانسما : يونانية ، مجالس ، نوع من التراتيل البيعية المنثورة .

قاثليقي : يونانية ، عام جامع سميت بها الليتينية التي ينشدها الشمامسة في القداس لشمولها المقاصد كافة .

قال : سريانية ، قول ، صوت ، وهو ترتيلة منظومة تنشد بلحن خاص من الاول الى الثامن .

قانون : يونانية ، نظام تسبيح بيعي منثور . استنبطه اندراوس الكريتي من أئمة اليونان حول سنة ٧٠٠ وعم استعماله ج قوانين .

قوقليون : يونانية ، دائرة . وفي اصطلاحنا الكنسي آيات من المزامير تنشد على اللحون الثمانية .

تقليد : عربية ، يراد بها في عرفنا ما اتفق عليه أئمتنا في فروض العبادة أو اللغة .

ليتورجية : يونانية ، الخدمة الجمهورية ، وهي مجموع صلوات القداس ، ويقال لها ايضا انافورا وهي ايضا لفظ يوناني معناه رفع القربان .

ليطونية : يونانية ، طلبة ويقال فيها ايضا بحسب اصلها ليتانيا أو ليتينية .

مسحة : سريانية ، زيت مقدس يدهن به المعتمدون والمرضى .

معنيث : سريانية ، أغنية ترتيلة وهي نشيد منثور يجري على الالحان الثمانية ج معانيث .

ميمر : سريانية ، مقالة خطبة قصيدة وهي الاعم ج ميامر .

فهرس الكتاب

صفحة

مصادر الكتاب ٣

المقدمة ٥

الباب الاول ـ الاسرار فى وجه العموم

الفصل الاول :
تعريف السر ٧

الفصل الثاني :
السر من حيث هو علامة وعمل ٨

الفصل الثالث :
عدد الاسرار وتاريخها ١٠

الفصل الرابع :
شروط اتمام السر ١٢

الفصل الخامس :
مفعول الاسرار ونتائجها ١٧

الفصل السادس :
ضرورية الاسرار ١٨

الباب الثانى ـ سر المعمودية

الفصل الاول :
تعريف سر المعمودية ١٩

الفصل الثاني :
اسماء سر المعمودية ٢٠

الفصل الثالث :
رتبة المعمودية بين الاسرار ٢١

الفصل الرابع :
تأسيس سر المعمودية ٢٢

الفصل الخامس :
شروط سر المعمودية (المادة) ٢٣

الفصل السادس :
صورة سر المعمودية والخادم ٢٦

الفصل السابع :
ضرورة المعمودية ٢٩

الفصــل الثامن :
معموديـة الاطفـال ٣٠
الفصــل التاسـع :
مفعـول المعمودية ٣٢
الفصــل العاشـر :
عدم اعادة المعموديـة ٣٦
الفصــل الحادي عشر :
الاشـــابين ٣٩
الفصل الثاني عشر :
واجبات المعتمدين ٤٠
الفصــل الثالث عشر :
كيف كان يمارس سر المعمودية قديما ٤١
الفصــل الرابع عشر :
طقس المعمودية فى الكنيسة السريانية ٤٤
الفصــل الخامس عشر :
تفسير طقس العماد ٥١

الباب الثالث ـ سر الميرون

الفصــل الاول :
تعريف سر الميرون ٥٩
الفصــل الثاني :
تأسيس سر الميرون ٥٩
الفصــل الثالث :
علاقة سر الميرون بسر المعمودية ٦٠
الفصــل الرابـع :
شروط اتمام سر الميرون (المادة) ٦١
الفصــل الخامس :
صورة سر الميرون وخادمه ٦٥
الفصــل السادس :
مفاعيل سر الميرون ٦٦
الفصــل السابع :
ضرورة الميرون وعدم اعادته ورتبته بين الاسرار ٦٧
الفصــل الثامن :
تقديس الميرون ٦٨
الفصــل التاسـع :
طقس تقديس الميرون ٧٠

	صفحة
الفصـل العاشـر :	
شرح طقس تقديس الميرون	٧٢

الباب الرابع ــ سر القربان المقدس

الفصـل الاول :	
ماهية سر القربان رتبته بين الاسرار	٧٦
الفصـل الثاني :	
اسـماء سر القربان	٧٧
الفصـل الثالث :	
تأسيس سر القربان	٧٧
الفصـل الرابـع :	
شروط سر القربان (المادة)	٧٩
الفصـل الخامس :	
صورة سر القربان	٨٣
الفصـل السادس :	
خادم سر القربـان	٨٧
الفصـل السابع :	
القداس ذبيحة العهد الجديد ، والاستحالة	٨٨
الفصـل الثامن :	
مفعول سر القربـان	٩٧
الفصـل التاسـع :	
التنـــاول	٩٨
الفصـل العاشـر :	
القداس الآلهـي	١٠١
الفصـل الحادي عشر :	
رشـم الكـأس	١٠٤
الفصل الثاني عشر :	
قوانين منتخبة خاصة بسر القربان	١٠٥

الباب الخامس : سر التوبة والاعتراف

الفصـل الاول :	
تعريف سر التوبة والاعتراف	١٠٧
الفصـل الثاني :	
أنـواع التوبـــة	١٠٧
الفصـل الثالث :	
فى قبول التوبة ومغفرة الخطايا	١٠٩

صفحة

الفصل الرابع :
مفعول التوبة ١١٤
الفصل الخامس :
فى أنواع الخطايا ١١٤
الفصل السادس :
شروط سر التوبة والاعتراف ١١٥
الفصل السابع :
شروط التوبة ١١٦
الفصل الثامن :
وفاء القانون ١٢٥
الفصل التاسع :
طقس التوبة ١٢٦

الباب السادس : سر الكهنوت

الفصل الاول :
تعريف سر الكهنوت ١٢٩
الفصل الثاني :
تعريف رئاسة الكهنوت ١٣٠
الفصل الثالث :
ادوار الكهنوت ١٣٠
الفصل الرابع :
فى سمو الكهنوت المسيحي من المقارنة ما بينه وبين الكهنوت الموسوي ١٣٥
الفصل الخامس :
فى سمو الكهنوت المسيحي من المقارنة ما بين الملك والنبوة ١٤١
الفصل السادس :
بماذا يشبه ملكيصادق المسيح ١٤٢
الفصل السابع :
فى مادة سر الكهنوت ١٤٤
الفصل الثامن :
اختصاص الكهنوت فى فئة معينة فى الكنيسة ١٤٥
الفصل التاسع :
درجات الكهنوت ١٤٨
الفصل العاشر :
الدعوة الكهنوتية ١٥٧

صفحة

الفصل الحادي عشر :
شروط سر الكهنوت ١٥٩
الفصل الثاني عشر :
فى الرسامات الكهنوتية ١٦١

الباب السابع : سر الزواج

الفصل الاول :
تعريف سر الزواج ١٧٣
الفصل الثاني :
تأسيس سر الزواج ١٧٣
الفصل الثالث :
نظام الحياة الزوجية ١٧٦
الفصل الرابع :
الزواج سر ١٧٧
الفصل الخامس :
أوصاف الزواج المسيحي ١٧٩
الفصل السادس :
الطلاق ١٨١
الفصل السابع :
موانع الزواج ١٨٢
الفصل الثامن :
طقس الاكليل ١٨٣

الباب الثامن ـ سر مسحة المرضى

الفصل الاول :
تعريف السر واسماؤه ١٨٥
الفصل الثاني :
تأسيس سر مسحة المرضى ١٨٥
الفصل الثالث :
مفاعيل سر مسحة المرضى ١٨٦
الفصل الرابع :
شروط سر مسحة المرضى ١٨٨
الفصل الخامس :
طقس اتمام سر مسحة المرضى ١٩٠
ملحق عام ١٩٣

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧	٣	أن	ان
٢٢	٨	مميره	ميمره
٢٣	١٧	والثلاثة هم	والثلاثة هم فى الواحد
٢٤	٨	تظهر	تطهر
٢٨	١٨	كالشماسة	كالشمامسة
٣٣	٤	تبررتم	تبررتم
٣٣	٥	الثاولوغرس	الثاواوغوس
٣٥	١٤	المعمورية	المعمودية
٣٦	١٩	معموريته	معموديته
٣٨	٥	البطريك	البطر برك
٤٠	٧	تجير	تجيز
٤٨	٧	جبيين	جبين
٥٣	١٣	٦	٩
٥٤	٩	أذا	اذا
٦٠	٦	العدد	العهد
٦٠	١٢	مسحه	مسحة
٦٣	٢	السهد	العهد
٧٠	١٢	ونقودياقون	وافودياقون
٨٠	٢	بالحرية	بالحربة
٩٣	٢	رسالتنا	ربنا



الأسرار السبعة

حسب معتقد وطقس الكنيسة السريانية الأرثوذكسية

تأليف

المطران سويريوس زكا عيواص و الأب الربان اسحق ساكا

طبعة أولى

١٩٧٠

مطبعة شفيق - بغداد